المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات العليا العربية

فرع البلاغة



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٧٨١

# البديع في القرآن عند المتأخرين وأثره في الدراسات البلاغية

رسالة لنيل درجة الماجستير في البلاغة


إعداد الطالب

دخيل الله بن محمد الصحفي





إشراف الدكتور

إبراهيم أحمد الحاردلو






١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

# ملخص الرسالة


الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .. وبعد :

فقد جاء البحث مشتملا على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب ، كل باب يحتوى على فصلين ، ثم خاتمة بأهم النتائج وثبت بأهم المصادر والمراجع وفهرست للموضوعات .

أما المقدمة : فقد تحدثت فيها عن الأسباب التى دفعتنى لاختيار الموضوع ، ثم تكلمت عن المنهج العام فى تناولى لهذا الموضوع .

وأما التمهيد : فقد تعرضت فيه للمعنى اللغوى والاصطلاحى لكلمة بديع ، ثم تكلمت فى ايجاز عن المراحل التى ارتبط بها علم البديع .

وأما الباب الأول فيقع فى مبحثين :

الأول : تناولت فيه دراسة نشأة علم البديع وتطوره منذ بدأ التأليف الى أن استقر على يد الخطيب القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩هـ ثم ختمت المبحث بكلام لابن جنى عن الألفاظ ، وقد بينت أن النسق الموتى فى القرآن شىء أصيل وليس حلية لفظية كما يرى بعض البلاغيين .

وفى المبحث الثانى : تكلمت عن البديعيات تعريفها ، نشأتها ، عددها ، ثم ختمت المبحث عن الأسباب التى أدت الى انتشارها ، وأبديت رأيى فيها .

وأما الباب الثانى : فتناولت فى الفصل الأول ، منهج أبى السعود فى التفسير واهتمامه ببديع القرآن ، ثم أفردت القول لما جاء من بديع المعنى واللفظ فى تفسيره ، وقد انحصر عنده بديع المعنى فى خمسة وعشرين فنا وبديع اللفظ فى أربعة أنواع ، ثم ختمت الفصل عن أثر القرآن فى هذه الألوان التى وردت فى تفسيره .

أما الفصل الثانى ، فقد قمت فيه بدراسة تحليلية لألوان البديع المعنوية واللفظية التى وردت فى سورة الرعد ثم تكلمت عن الفواصل القرآنية فى سورة التكوير ، وقد أجريت قبلها احصاء شاملا لفواصل القرآن الكريم ، وقد قصدت بهذا الدراسة التطبيقية على سور من القرآن الكريم .

أما الباب الثالث : فكان حول البديع وقضية الاعجاز ، ويحتوى على فصلين :

الأول : عن ابن الأثير ومنهجه فى كتابه المثل السائر ، ثم تحدثت عن المحسنات المعنوية واللفظية بمفهوم المتأخرين عنده ، وختمت الفصل عن أثر القرآن فى هذه الأنواع .

وأما الفصل الثانى : فقد خصصته لابن أبى الاصبع فى كتابه "بديع القرآن" حيث تكلمت عن منهجه ، ثم وضحت أهم المواضع التى اختلف فيها عن مدرسة السكاكى ، ثم أفردت القول فى مبتكراته .

وأخيرا ختمت المبحث عن أثر القرآن فى كتابه "بديع القرآن" .


المشرف على الرسالة
أ.د. إبراهيم ... 

عميد كلية اللغة العربية
د. محمد بن مريسي الحارثي

دخيل الله محمد الصحفي

( أ )

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد فكان من الحجة والبلاغة بمكان ، أخرس بها لسان أهل الزور والبهتان ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين

وبعد :

فلعل أقل العلوم حظا - من بين علوم البلاغة ، وأقلها عناية من حيث اهتمام الباحثين به ، هو علم البديع ، والذى يبدو لى أن السبب راجع الى الخلاف الذى دار قديما بين العلماء حول مكانة البديع من مطابقة الكلام لمقتضى الحال التى هى عماد البلاغة العربية ، فمعظم البلاغيين لايرون له دورا فى تحقيق هذه المطابقة ، بل ان هناك من ذهب الى أن المحسن البديعى ان لم تكن له نكتة فهو من علم البديع وان وجدت له نكتة فهو من علم المعانى .

وعندما نظرت فى كتب المتأخرين من مدرسة السكاكى وشراحه رأيت كثرة مسائل هذا العلم وقضاياه ، ولاحظت أن طريقة المعالجة عندهم لاتعتنى بهذه المسائل ، ولاتقف عندها ولاتوضح أسرارها ، ذلك لأنهم لايعترفون بأن لمسائل علم البديع - حتى وان قلنا بأنها محسنات وكفى - أسرارايمكن أن تكشف وتبين لفنون هذا العلم ، فقد جعلوه ذيلا فى البلاغة العربية يأتى بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة .

مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

ولما كانت تلك نظرة جل المتأخرين ، رأيت أن أختار نماذج من المتأخرين الذين عادوا بالبديع الى سيرته الأولى فجاءوا بشواهد له من قمة التراث العربى "القرآن الكريم" وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن كلام العرب البلغاء من شعر ونثر ، فكان البديع عندهم وسيلة من وسائل التعبير ، وليس غاية تبذل فى سبيلها الجهود ، وتتسابق فى ادراكها القرائح والعقول .

وقد اخترت ثلاثة من البلاغيين ، المتأخرين ، واحدا من المفسرين البلاغيين وهو أبو السعود فى تفسيره "ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم" ذلك لأن تفسيره حوى منهجى مفسرين بلاغيين قبله ، وهما ، تفسير الزمخشرى وتفسير البيضاوى ، وقد استفاد منهما كثيرا .

وأما الآخران فهما كتاب المثل السائر لابن الأثير ، وبديع القرآن لابن أبى الأصبع .

ومادفعنى الى اختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية :

أولا : ان علم البديع - كما قلت - لم ينل من بين علوم البلاغة عند المتأخرين الاهتمام الذى حظى به علما "المعانى والبيان" اذ جعلوه ذيلا فى البلاغة العربية ولايذكرونه الا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة .

ثانيا : أن أهمية هذا الموضوع وقيمته الكبرى مستمدة من قمة التراث العربى ممثلا فى "القرآن الكريم" وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والشعر العربى الذى كان فى تلك الفترة التى ازدهرت فيها العربية وثبت اسلوبها الأنموذج الأعلى وهو القرآن الكريم ، ثم هو - أى البديع - فى

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

القرآن معدود عند بعض العلماء المتأخرين كابن أبى الاصبع ، والسيوطى (فى المعترك) والزركشى فى (البرهان) وجها من وجوه الاعجاز عندهم . فهو المصدر المعين لهم .

وقد جاء البحث مشتملا على تمهيد وثلاثة أبواب كل باب يحتوى على فصلين ، وخاتمة بأهم النتائج ، وثبت بأهم المصادر والمراجع وفهرست للموضوعات .

أما التمهيد فقد تعرضت فيه للمعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى لكلمة بديع ، ثم تكلمت فى ايجاز عن المراحل التى ارتبط بها علم البديع ، مرحلة الفطرة ومسايرة الطبع الصافى ومرحلة مابعد العصر العباسى وهى مرحلة التكلف والتصنع وذلك حتى عصر السكاكى .

أما الباب الأول : فيقع فى مبحثين :

الأول : عنيت فيه بدراسة نشأة علم البديع وتطوره منذ عصر التأليف الى أن استقر على يد الخطيب القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ثم ختمت المبحث بكلام لابن جنى عن الألفاظ ، ومن ثم تحدثت عن السجع والجناس وكلام الشيخ عبد القاهر عنهما ، وبينت أن النسق الصوتى فى القرآن شئ أصيل ، وليس حلية لفظية كما يرى بعض البلاغيين .

وفى المبحث الثانى : تكلمت عن البديعيات ، تعريفها ونشأتها واختلاف الباحثين حول ذلك - اعنى نشأتها - وعددها وختمت المبحث بالأسباب التى أدت الى انتشار هذه البديعيات وبينت رأيى فيها .

أما الباب الثانى : فتناولت فى الفصل الأول ، منهج أبى السعود فى التفسير وتأثره ببديع القرآن ، حيث تكلمت

عن المنهج الصحيح لتفسير القرآن الكريم ، منهجه في التفسير ، من تفسير للقرآن بالقرآن ، والقرآن بالسنة ، وعن الفقه في منهجه وعن التفسير بالرأى وهو الذى التزم به أبو السعود في تفسيره ثم وضحت مدى استخدامه للأقيسة في علم الكلام عنده ، ثم تحدثت عن مذهبه فقد كان حنفيا ، وكان يرد على فرق الجبرية ، والمعتزلة ، والكرامية ، وغيرهم وأخيرا بينت موقفه من الاسرائيليات .

ثم وضحت رأيي في كلمة محسن ، واخترت بدلها كلمة بديع وبعد ذلك أفردت القول لما ورد من بديع المعنى واللفظ في تفسيره ، وقد انحصر عنده بديع المعنى في خمسة وعشرين نوعا وهى :

(الطباق ، المقابلة ، مراعاة النظير ، الاستطراد — اللف والنشر ، الكلام الموجه ، المشاكلة ، تجاهل المعارف ، المناسبة ، التجريد ، المذهب الكلامى ، التقسيم ، الاستدراج والاستقصاء ، التفضيل ، الاحتراس ، الاستدراك ، التتميم ، الادماج ، العنوان ، التفسير بعد الابهام ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، الاكتفاء ، الالتفات .

وقد جاء بديع اللفظ عنده في أربعة أنواع هى : براعة الاستهلال ، حسن التخلص ، التجانس ، الفواصل القرآنية ، ثم ختمت الفصل عن أثر القرآن في تفسير أبى السعود وماجاء فيه من ألوان البديع .

أما الفصل الثانى : فقد عنيت فيه بدراسة تحليلية لألوان البديع المعنوية ، واللفظية ، لما جاء في سورة الرعد ، ومنها ، المقابلة ، والطباق ومراعاة النظير ،

والتقسيم والمشاكلة ، والترتيب والتقسيم ، والاكتفاء ورد الاعجاز على الصدور والاستخدام وغيرها ممالاحظناه من خلال تحليلنا للسورة ثم بينت أن أكثر الفنون ورودا فى القرآن الطباق ، والمقابلة وقد يليها المشاكلة ، والالتفات ، والتقسيم ، والتفصيل ، وقد حاولت استنباط بعض الأسباب التى جعلت فنى الطباق والمقابلة أكثر ورودا من غيرها .

ثم تكلمت عن الفواصل القرآنية فى سورة التكوير ، وقد قمت قبلها باحصاء شامل لفواصل القرآن الكريم تبينت من خلاله أن أكثر ماتنتهى به فواصل القرآن الكريم حرف النون والميم ، ويليها اللام والراء ، وأقلها ورودا حرف الواو والشين والغين ، ولايوجد بها حرف الخاء .

ثم تحدثت عن الفواصل من خلال سورة التكوير ، ورأيت فيها تنويع الفواصل ، وقد تكلمت عن فن الجناس ، وعن أجراس الحروف وبينت منزلتها فى البلاغة العربية ، وقد قصدت بهذا الدراسة التطبيقية على سور من القرآن الكريم .

أما الباب الثالث : فيدور حول البديع وقضية الاعجاز ويحتوى على فصلين ، تكلمت فى الفصل الأول عن ابن الأثير ومنهجه ، ثم تحدثت عن المحسنات المعنوية واللفظية بمفهوم المتأخرين من مدرسة السكاكى ، فكان تحت المعنوية : التجريد والالتفات ، والتفسير بعد الايهام ، والاستدراج ، عكس الظاهر والتناسب بين المعانى ويشمل الطباق والمقابلة ، وصحة التقسيم وفساده وترتيب التفسير والاقتصاد والتفريط ، والافراط والارصاد ، والتوشيح ، مبينا فى ذلك أثر بديع القرآن فيها .

ثم تحدثت عن المحسنات اللفظية ، وهى التصريع والسجع والترصيع ولزوم مالا يلزم ، موضحا أثر القرآن الكريم فى ذلك وكيف أكثر ابن الأثير من الشواهد منه .

أما الفصل الأخير : فقد خصصته لابن أبى الاصبع فى كتابه (بديع القرآن) حيث أفردت الحديث عن منهجه ، ثم بينت أهم المواضع التى اختلف فيها عن مدرسة السكاكى ، وهى التحليل والوضوح ، والاكثار من الشواهد ، والاسلوب الأدبى الذى رأيناه فى كتابه ، ثم تطرقت لاضافات ابن أبى الاصبع وبينت اختلاف الباحثين فى ذلك ، ثم أبديت رأيى حيث قمت بدراسة وافية لمبتكراته وبينت ماسلم له وماتداخل عليه ، ومن ثم ختمت الفصل عن أثر القرآن الكريم فى بديع ابن أبى الاصبع ، ووضحت كيف جعل مصادره القرآن الكريم ودواين العرب القدماء ، واعتمد على الأصول القديمة من التراث شعره ونثره

وأخيرا وضعت ثبتا بأسماء المصادر والمراجع التى كانت عونا لى فى هذه الدراسة وبهذا يكتمل المنهج العام الذى سرت فيه باحثا علم "البديع فى القرآن عند المتأخرين وأثره فى الدراسات البلاغية " .

وبعد :

وانى اذ أشكر الله الذى أمدنى بتوفيقه وعونه حتى خرج هذا البحث واستوى على سوقه ، لأشكر من بعده جامعة أم القرى على اهتمامها بالعلم وطلابه وتوفيرها السبل الكثيرة لطلابها الدارسين .

وأتوجه بالشكر لسعادة عميد كلية اللغة العربية سابقا الدكتور عليان محمد الحازمي ولاحقا الدكتور محمد بن مريسي الحارثي على مابذلاه من جهد في اكمال هذه المرحلة من البحث ولا أنسى فضيلة المشرف على الرسالة ، الذي غرس فأحسن الغرس وبعث في طاقة خلاقة ، حتى خرج هذا البحث ثمرة طيبة من ثمار غرسه الكريم الأستاذ الفاضل الدكتور ابراهيم أحمد الحاردلو الذي أمدني بتوجيهاته الرشيدة ، وأعانني بارشاداته السديدة وفتح لي قلبه وعقله ، وذلل لي المعاب ويسر لي المراد .

واني أتقدم ثانية بخالص شكري الى كل من أسهم بجهده المشكور في كل ماأعان عليه ، حتى خرج هذا البحث على صورته الوافية .

وأخيرا فان نلت الرضى ، وبلغت السداد فهذا أملي والا فحسبي الصدق في النية والاخلاص في العمل ، ومأأؤمله أن تقال العثرات ويغضى عن الهفوات .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

# الباب الأول

# نمو مصطلح البديع وتشعبه





# الباب الأول

## تمهيد :

قبل الخوض فى المراحل التاريخية التى مرت بها كلمة بديع ، يحسن بنا أن نتعرف على المعنى اللغوى ، والمعنى الاصطلاحى لهذه الكلمة ليكون ذلك دليلا يضىء لنا الطريق ، ومنهاجا يعصمنا من الزلل المقزع بجهدنا المتواضع واطلاعنا القانع . فنستميحكم العذر ان لم نوفق فى نقع غلة الصادين للازدياد . فلايلام المرء بعد الاجتهاد .

## البديع فى اللغة :

جاء فى القاموس المحيط ، البديع ، المبتدع والمبتدع[(١)] باسم الفاعل واسم المفعول .

والبدع : الأمر الذى يجىء أولا ، وأبدع ابداعا ، والشاعر أتى بالبديع ... والمادة كلها تدور حول الابتداء بشىء من غير أن يكون له مثال سابق ، وفى القرآن الكريم فى وصف الله سبحانه وتعالى : {بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ}[(٢)] أى منشؤهما على غير مثال سابق ، وكل من أنشأ مالم يسبق اليه ، يقال له مبدع ، وسميت البدعة بذلك لأن قائلها أو فاعلها ابتدعها من غير أن يكون له سلف فيها ولم يعرفها العرف ، ومنه بدائع الدهور[(٣)] . أى الأمور المستحدثة التى لم يسبق لها نظير .

---

(١) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ط/١٣٧٢هـ/١٩٥٢م مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، مصر ٣/٣ .

(٢) سورة البقرة : ١١٧

(٣) البديع من المعانى والألفاظ ، د. عبد العظيم المطعنى الطبعة الأولى دار وهدان للطباعة والنشر ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٥ .

والابداع ، والاختراع فى اللغة بمعنى واحد ، والبديع فعيل بمعنى مفعول .

ومنه الابداع فى الفنون والآداب وكل فن أو أدب مبدع معناه أن صاحبه أتى على وجه خال من التقليد والمحاكاة . فهو مبدع وعمله مبدع بفتح الدال .

ويقال : "سقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ، وأنشد ابن الأعرابى فى السقاء لأبى محمد الفقعسى :

يَنْضَخْنَ ماءَ البَدَنِ المَسْرِىّ

نَضْخَ البَدِيعِ الصَفِقِ المُصْفَرّا" (١)

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف تهامة :

"ان تهامة كبديع العسل حلو أوله ، حلو آخره" (٢) .

واذا كان البديع فى اللغة يعنى كل جديد محدث ومخترع لاعلى مثال ، فانه فى البلاغة مصطلح علمى من المصطلحات الثلاثة التى انقسم اليها علم البلاغة بعد السكاكى حيث أصبح علما "يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة" (٣) .

ويعرفه ابن خلدون بقوله : "هو النظر فى تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق اما بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه

---

(١) بديع القرآن لابن أبى الاصبع المصرى ، تحقيق حفنى محمد شرف ط/الثانية ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ص ٧ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ، للامام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى : ابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، طاهر أحمد الزاوى ، ط/الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٠٦/٢ .

(٣) شروح التلخيص للخطيب القزوينى ، مطبعة عيسى الحلبى وشركاه ، مصر ، بدون تاريخ ٢٨٢/٤ .

بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما ، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك" (١). فالمناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى لاسم البديع أو "اللطيف" كما يسمى أيضا (٢).

والمراد بالعلم أن تتكون عند الدارس من طول ممارسته لمسائل الفن وتحليل العلماء . مقدرة على التعرف على هذه المسائل وفهمها وتحليلها على كيفية فهم العلماء وتذوقهم لها .

فيلحظ مافى الأساليب من طرائق فى أداء المعانى ، وأنواع فى تثقيف الأدب واتقان بنائه ، وهذا ناتج عن ممارستهم لمسائل هذا العلم الذى يتصل بجملة القواعد والمعارف المتصلة بالموضوع ، فعلم البديع مثلا هو جملة الأصول والتحقيقات التى تدور حول مانسميه محسنات معنوية أو لفظية ، وهكذا ينظر الى كل علم من هاتين الجهتين .

---

(١) علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، طبعة ١٩٧٤م دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ٧ .
وفيه اضافة على ماوجدت فى المقدمة ، اذ يقول ابن خلدون فى تعريف علم البديع : "وهو النظر فى تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق اما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك" .
مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، وضع الحواشى خليل شحادة مراجعة سهيل زكار ص ٧٦١ .

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، لعبد الرحيم أحمد العباسى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ٣/٥٥ .

والمراد بوجوه تحسين الكلام ، مجموعة فنون البديع ، كالطباق والمقابلة ، ومراعاة النظير ، والمشاكلة والمزاوجة ، والجناس والسجع ، وغيرها مما تتناوله دراسة علم البديع ، ومعرفتها تعنى تصور مفاهيمها وحدودها ومواقعها فى الكلام ، وهذا شيء لايتساهل فيه أهل العلم ، فلابد من المعرفة التفصيلية الدقيقة التى تقوم على منهج صحيح .

ووجوه التحسين تعنى مايعد حسنا أو تحسينا عند أهل الطبع ومن لهم رأى فى تذوق الأدب ومعرفة مراتبه ، فليس منها التزيينات والحيل الفارغة لأن هذه تقع مستكرهة مرذولة (١) .

وقد ارتبط هذا العلم ـ علم البديع ـ بتطور مرحلتين متوازيتين من الثقافة العربية هما الشعر والنثر ، والنقد والبلاغة . فعندما عرف القدماء منذ الجاهلية الى ماقبل العصر العباسى بقليل تطورا مرحليا فى أدبهم امتازوا فيه بالسليقة والاعتماد على الذوق والطبع بعيدا عن التكلف والزخرف ، وكان النقد والبلاغة ينهلان أيضا ) من ذلك اللون الأدبى فى التقويم والحكم على الأثر الأدبى من خلاله . وحين تقدم الأدب والشعر تقدما واسعا ، خاصة بعد نزول القرآن الكريم، وهو متأثر بذلك اللون الحضارى والثقافى الذى ظهر فى العصر العباسى واشتهر به كان النقد والبلاغة أيضا يتتبع ذلك التقدم فيرصد عناصره مما جعل الدارسين يختصمون من أجل وضع اتجاهاتها كل فيما يراه صوابا حتى "كان من مجموع ماكتبوا ذلك التراث الخالد ، الذى سمى حينا "بيانا" وأحيانا "بديعا" كما سمى بلاغة وفصاحة وهى ألقاب أو

---

(١) انظر : دراسة فى علم البديع ، د. محمد أبوموسى ص ٤ .

مصطلحات لاتبتعد كثيرا فى مدلولها كما لاتبتعد كثيرا فى موضوعها ، اذ أن موضوعها جميعا الأدب وهو ذلك المأثور من جيد المنظوم والمنثور" . (١)

وهذا يعنى أن الأدب عرف عصرين متباينين ، هما عصر القدماء وعصر المحدثين الذى تكون على يد بشار وابن هرمه ومروان بن أبى حفصة ومطيع بن اياس وغيرهم من مخضرمى الدولتين ومن أتى بعدهم من صناع الشعر العربى .

"فلما كان القرن الثانى الهجرى أخذ الشعر العربى يلبس رويدا ثوبا من الزخرف والتنسيق قصد توشيته بحلى زخارف لاعهد له بها على هذا النحو .. ذلك هو الذى وقع عليه فيما بعد اسم البديع أو اللطيف" . (٢)

ومعنى هذا أن القدماء ألموا بالمحسنات البديعية واستلهموها بحسهم الفطرى فكان استعمالهم لهذه المصطلحات عفوا دون تكلف ومعاناة . فقد عرفوا الطباق ، ومراعاة النظير ، والارصاد ، والمشاكلة ، والمذهب الكلامى والاستطراد والعكس والتبديل ، والرجوع والتورية ، والاستخدام ، والالتفات ، واللف والنشر ، والجمع والتقسيم ، والتجريد ، والمبالغة ، والمقابلة ... وغيرها من المصطلحات البديعية ولكنها جاءت بدون معاناة ولامكابدة ولااجالة فكرة كما يقول الجاحظ وانما هى بديهة وارتجال . (٣) فغزا شعرهم وأقوالهم فى

---

(١) البيان العربى للدكتور بدوى طبانة ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة السادسة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ١٨ .

(٢) الصبغ البديعى ، د. أحمد موسى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م ص ١٦ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ٢٩/٣ .

يسر وأناة لأن "العرب لاتنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر ، واحكام عقد القوافى وتلاحم الكلام بعضه ببعض" (١) . كما أنها تفاضل "بين الشعراء فى الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوادر أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولاتحفل بالابداع والاستعارة ، اذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض ، وقد كان يقع ذلك فى خلال قصائدها ، ويتفق لها فى البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر الى المحدثين ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها على اخواتها فى الرشاقة واللطف تكلفوا الاحتذاء عليها ، فسموه "البديع" فمن محسن ومسىء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومفرط" (٢) .

ونتيجة للتغيير التدريجى ثم المفاجىء الذى عرفه المجتمع العربى مع فجر الاسلام والعصر الأموى ، ثم انتقاله القوى الى العصر العباسى.هذا التغيير انعكس على الشعر كما انعكس على النقد والبلاغة ، فبينما حقق شعراء العصر الاسلامى

---

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ١/١٢٩ .

(٢) الوساطة بين المتنبى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، دار القلم بيروت لبنان ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ص ٣٣.

والأموى تفوقا فى متانة التعبير وصحة الأداء وسلموا من قصور القدرة اللغوية والتى كانت وسيلتهم فى الابداع اللغوى . انتقل الأمر الى خلافه فى العصر العباسى فمن الشعر المطبوع الى المصنوع الى لون فيه من التكلف والزخرف الذى أعطاه بحق تلك الظاهرة التى عرف بها عبر أجيال طويلة بصور متفاوتة سواء كان ذلك فى الفن أو فى النقد والبلاغة .

وهكذا يصبح للبديع مصطلحه الخاص بين المصطلحات فبينما كان يطلق عند الجاحظ ومن سبقوه من رواة اللغة والشعر ، كانوا يطلقون لفظ البديع على الاستعارة مع أنواع أخرى كالتطبيق والجناس.وقد ظل هذا الاطلاق الى عهد عبد القاهر الجرجانى الذى اعتبر الاستعارة فى كتابه أسرار البلاغة من البديع ، اذ يقول : "وأما التطبيق والاستعارة ، وسائر أقسام البديع لاشبهة أن الحسن والقبح لايعترض الكلام بهما الا من جهة المعانى من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب" (١) .

وهكذا بقى عالقا بعلمى المعانى والبيان حتى عصر السكاكى الذى لم يستطع أن يفرد له بابا خاصا كما فعل شراح المفتاح بعده بل جعله تابعا لعلمى المعانى والبيان .

---

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق هـ . ريتر ، دار المسيرة بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٢٠ .

الفصل الأول

# نمو مصطلح البديع وتطوره

تعني المادة في اللغة : الجديد والمحدث والمخترع ؛ ففي لسان العرب بدع الشيء يبدعه بدعا ، وابتدعه : أنشأه وبدأه .. والبديع والبدع ، الشيء الذي يكون أولا .. والبديع المحدث العجيب ، والبديع المبدع ، وأبدعت الشيء اخترعته لاعلى مثال سابق ، والبديع من أسماء الله تعالى ؛ لابداعه الأشياء واحداثه اياها قال تعالى : {بديع السموات والأرض} (٢) أي مبدعها على غير مثال سابق . "ومنه الابداع في الفنون والآداب وكل فن أو أدب مبدع معناه أن صاحبه أتى به على وجه خال من التقليد والمحاكاة . فهو مبدع بكسر الدال وعمله مبدع بفتحها" (٣) .

ومنه البدعة وسميت بذلك لأن قائلها أو فاعلها ابتدعها من غير أن يكون له سلف فيها . وأبدع الشاعر : جاء بالبديع ومنه بدائع الدهور . أي الأمور المستحدثة التي لم يسبق لها نظير .

وقد استخدمت المادة في كلام العرب نظما ونثرا ، وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في هذه المعاني . فمن النثر قول علي كرم الله وجهه : "ان أبغض الخلائق الى الله رجلان : رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد

---

(١) لسان العرب ، طبعة دار المعارف مادة بدع ٢٣٠/١ .
(٢) سورة البقرة : ١١٧
(٣) البديع من المعاني والألفاظ ، الطبعة الأولى ص ٥ .

السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة" (١). ومن الشعر قول حسان ابن ثابت :

قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم
أوْ حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحدثةٍ
إنّ الخلائق فاعلم شرها البدع (٢)

وقول الفرزدق :

أبت ناقتى إلا زيادا ورغبتى
وما الجود من أخلاقه ببديع (٣)

والبديع من الشعر هو مالم يسبق اليه قائله ، ولاعمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو مايقاربه .

وفى القرآن جاءت كلمة بديع مرتين : قال تعالى : {بَدِيعُ السَّموات والأرضِ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فيكونُ} (٣)، وقال تعالى : {بَدِيعُ السَّموات والأرضِ أنى يكونُ له ولدٌ ولم تكنْ له صاحبةٌ وخلق كلَّ شيءٍ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ} (٤) أى أوجدهما على غير مثال سابق .

وقد وردت بعض مشتقات الكلمة فى القرآن أيضا فى قوله تعالى : {ورهبانية ابتدعوها} (٥) أى أنهم جاءوا ببدعة .

أما فى الحديث النبوى فقد وردت الكلمة أيضا فى معنى الشيء الطيب ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصف

---

(١) نهج البلاغة ، الشريف الرضى ، شرح الأستاذ الامام محمد عبده ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ١/٥١
(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٤ .
(٣) ديوان الفرزدق ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ١/٣٩٥ .
(٤) سورة البقرة : ١١٧
(٥) سورة النساء : ١٠١
(٦) سورة الحديد : ٢٧

تهامة : "ان تهامة كبديع العسل حلو أوله ، حلو آخره" (١) .

وقد ظل هذا المعنى ملحوظا فى الابداع الأدبى سواء كان شعرا أو نثرا فكان استعمال الكلمة وما اشتق منها لايخرج عن ذلك المعنى الذى لاحظناه فيما سبق من أقوال وهو الجدة والطرافة والحداثة الى غير ذلك من معان تدور فى هذا المضمار .

المفهوم الاصطلاحى للبديع فى عصوره المختلفة .

أما فى الأوساط البلاغية والنقدية فلعل الجاحظ (٢٥٥هـ) أول من دون مصطلح "البديع" فى مؤلف علمى وكان يعنى به ذلك المعنى اللغوى الذى وقفنا عليه فيما مضى وهو الجدة والطرافة كذلك ، ومن ثم يتسع هذا المصطلح لديه ليشمل الاستعارة والتشبيه وكل مافيه طرافة وجدة ، فهو يعلق على الأبيات التالية :

إِنَّ الأُلَى حانت بِفَلْجٍ دماؤهم
هُمُ القومُ كلُّ القومِ ياأمَّ خالدِ

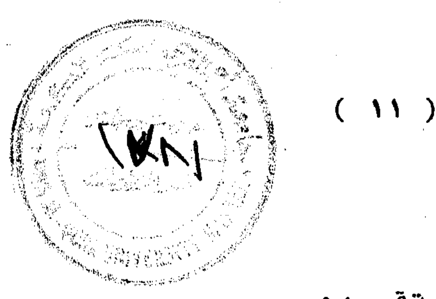
هُمُ سَاعِدُ الدَّهرِ الذِى يُتَّقَى به
وَمَاخَيرُ كَفٍّ لاتنوءُ بِسَاعِدِ

أسودُ شرًى لاقتْ أسودَ خفيَّةٍ
تَسَاقَوا على حردٍ دِماءَ الأَساوِدِ

يقول : قوله : "هم ساعد الدهر" انما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع ، وقد قال الراعى :

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص ١٠٦ .





هم كاهل الدهر الذى يتقى به

ومنكبه ان كان للدهر منكب

وقد جاء فى الحديث : "موسى الله أحد وساعد الله أشد"[(١)] .

والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان . والراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابى يذهب فى شعره فى البديع مذهب بشار"[(٢)] .

وقد بالغ الجاحظ فادعى أن البديع مقصور على العرب وبه فاقت لغتهم غيرها من اللغات أو كل لغة ، وأربت على كل لسان ، والشاعر الراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابى يذهب فى شعره فى البديع مذهب بشار ، وتعنى عبارة الجاحظ "وهذا الذى تسميه الرواة البديع" على أن اطلاق هذا اللفظ على ماكان يطلق عليه من الألوان البلاغية هو من تسمية الرواة أى رواة اللغة والشعر مثل الأصمعى وأبى زيد وخلف الأحمر وغيرهم وهذا يخالف ماشاع بين الدارسين من أن أول من أسرف فى هذا اللون مسلم بن الوليد .

كما يلاحظ من خلال نصه أيضا اتساع هذا المصطلح حيث يطلق على اللون البديعى فى بيت الأشهب السابق وهو :

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٧/٤ . ولفظه : "فساعد الله أشد ، وموساه أحد" .
وجاء فى الجزء الثالث للامام بلفظ "ساعد الله أشد وموسى الله أحد وربما قال ساعد الله أشد من ساعدك وموسى الله أحد من موساك" توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بدون طبعة ٧٤٣/٣ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجى ٥٥/٤-٥٦ .

هُمُ ساعدُ الدهرِ الذي يُتقَى به
وماخيرُ كفٍ لاتنوءُ بساعد

هو الاستعارة المكنية فى قوله "ساعد الدهر" كما نراه يستعمله هذا الاستعمال الذى يشمل فى مفهومه سائر فنون البلاغة فى كتاب الحيوان ، حيث يسرد أمثلة كثيرة من الشعر العربى تحت عنوان "قطع من البديع"(١) ومن هذه الأمثلة نتبين فنونا بلاغية لاتدخل فى مصطلح البديع بالمعنى الذى اصطلح عليه المتأخرون من البلاغيين .

واذا كان الجاحظ أول من استخدم مصطلح البديع فى مؤلف علمى ، فان ابن المعتز (٢٩٦هـ) أول من ألف كتابا بعنوان البديع ، ولعله أول مؤلف علمى يخلص للبلاغة العربية اذ أنه لم يتعد فنون البلاغة ولم يجاوز دائرتها الى فنون أخرى وهذه ميزة لم تتوافر لكثير من المؤلفات العربية سواء تلك التى سبقت ابن المعتز أو التى جاءت بعده ، فكثير من هذه المؤلفات يمتزج فيها البحث البلاغى الخالص ببحوث شتى تتصل بالدراسات القرآنية أو بغيرها من الدراسات ولم يكن كتاب ابن المعتز على هذا المنوال بل جاء خالصا للبحث البلاغى .

وقد أثبت ابن المعتز بكتابه هذا أن مايقوله أنصار الحديث من أن المحدثين هم مخترعو البديع ـ ليس صحيحا بل هو موجود فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف وفى نتاج الجاهليين والاسلاميين شعرا ونثرا وهو يؤكد ذلك منذ السطور الأولى حيث يقول : "قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ماوجدنا

---

(١) الحيوان للجاحظ ، دار احياء التراث العربى تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ٥٧/٣ .

فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه " (١) . ثم يزيد مايهدف اليه فى كتابه بيانا فيقول : "وانما غرضنا فى هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شىء من أبواب البديع " (٢) .

وهذا - يعنى - أن ابن المعتز يريد أن ينبه الناس أو ممن انتصر للشعر الحديث وأن يكون هو بعيدا عن صفوفهم لأنه يفند أمرا من أجل الأمور التى لجأوا اليها فى مقولتهم وهو زعمهم بأن المحدثين قد اخترعوا البديع وافتنوا فيه .

فاذا نظرنا فى كتاب البديع ، فاننا نلاحظ أنه يخص هذا المصطلح بفنون خمسة هى : الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد اعجاز الكلام على ماتقدمها والمذهب الكلامى ، وبعد أن أنهى حديثه عن هذه الفنون الخمسة ، ذكر فنونا أخرى أطلق عليها محاسن الكلام نعد منها ثلاثة عشر فنا هى : الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج من معنى الى معنى ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذى يراد به الجد ، وحسن التضمين ، والتعريض ، والكناية

---

(١) البديع لابن المعتز ، تحقيق كراتشفوفسكى ، دار الحكمة دمشق ط/بدون ص ١ .
(٢) نفس المصدر ص ٣ .

والافراط فى الصفة ، وحسن التشبيه ، واعنات الشاعر نفسه فى القوافى ، وتكلفه من ذلك ماليس له وحسن الابتداءات .

ويبدو أن ابن المعتز بعد أن انتهى من الحديث عن الفنون الخمسة التى أسماها بديعا ختم كتابه بقوله : "وماجمع فنون البديع ولاسبقنى اليه أحد ، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين وأول من نسخه منى على بن هارون بن يحيى بن أبى المنصور المنجم" (١) يبدو أنه "سمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتثبتين اعتراضا على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى ، وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر ، فأقرهم على دعواهم ، وكتب بقية المحسنات وضمها الى الفنون الخمسة لينفى عن نفسه مظنة الجهل بتلك البقية" (٢) .

وفى ذلك يقول ابن المعتز : "ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لاينبغى للعالم أن يدعى الاحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولاضيق فى المعرفة فمن أحب أن يقتدى بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا الى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره" (٣) .

وقد كان لهذه الكلمة التى ترك الخيار لمن أراد أن يضيف الى الفنون التى ذكرها مدى واسع النطاق فتسابقوا الى

---

(١) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .
(٢) البيان العربى ، بدون تاريخ ص ١٣٣-١٣٤ .
(٣) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .

اضافة كثير من هذه الفنون الى ماذكره ابن المعتز حتى صارت لجاجة فيما بعد .

وقد كان فى مقدمة هؤلاء قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) فعلى الرغم من أنه لم يستعمل مصطلح البديع فانه يضيف الى ماذكره ابن المعتز من فنون وألوان فنونا أخرى وألوانا لايزال بعضها حتى اليوم دائرا فى فلك علم البديع بالمعنى الضيق المقابل لعلمى المعانى والبيان ، فقد قدم قدامة فى كتابه "نقد الشعر" ألوانا عديدة من فنون البديع اتفق مع ابن المعتز فى سبعة منها وانفرد هو بالباقى .

أما السبعة التى اتفق مع ابن المعتز عليها فهى الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة (١) ، والالتفات ، والاعتراض ، وان كان قدامة يسميه "التتميم" والافراط فى الصفة الذى يطلق عليه قدامة الغلو والمبالغة والتشبيه وقد جعله قدامة غرضا من أغراض الشعر .

وانفرد عن ابن المعتز بالفنون الآتية : صحة التقسيم ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة ، والاشارة ، والارداف ، والتمثيل ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وقد عد المتأخرون البابين الأخيرين بابا واحدا ، وسموه التنكيت ، وائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت ، ويطلق عليه التمكين عند المتأخرين ، والتوشيح ، والايغال ، واعتدال الوزن ،

---

(١) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، ط/١ ، ١٩٧٩م ، دار عطوة للطباعة ، ص ٨٠، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨ .

واشتقاق لفظ من لفظ ، وتلخيص الأوصاف ، والتوازى ، والمضارعة ، وعكس اللفظ ، أو عكس مانظم من بناء وأخيرا اتساق البناء والسجع .

ثم ان الملاحظ على قدامة أنه لم يكتف بسرد هذه الفنون بل أخذ يحددها تحديدا دقيقا حتى انه كان يسرف فى هذا التحديد اسرافا كبيرا ، كما أكثر من ضرب الأمثلة والشواهد عليها ، وهذا هو الذى جعل بعض علماء البلاغة يعدون قدامة فى طليعتهم ويعنون بآرائه ومصطلحاته ، بين معجب ومزيف لهاحتى وصفه العلوى بأنه "جواب البلاغة ونقادها البصير والمهيمن على معانيها وخُريتها الخبير"(١) بل جعلوه اماما ورائدا خاصة فى البديع ، وأن يكون فى نظرهم ثانى اثنين اخترعا جمعه وتدوينه ، الأول هو ابن المعتز ، يقول ابن أبى الاصبع أثناء اشادته بجهود قدامة وابن المعتز فى هذا المجال : "جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ، فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه وهما قدامة ابن جعفر الكاتب وابن المعتز وعدتها ثلاثون بابا"(٢) .

وأخيرا نلحظ أن بعض المصطلحات التى استخدمها قدامة قد تغيرت مدلولاتها على أيدى من أتى بعده من البلاغيين فهو يستعمل مصطلح المطابق فى مفهوم الجناس التام ويقرن بينه وبين مصطلح المجانس الذى هو صورة من صور الجناس غير التام

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز للعلوى ، ط/دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م ٣٧٨/٢ .
(٢) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ١٤ .

كما يستخدم مصطلح التكافؤ فى المعنى الذى أطلق عليه البلاغيون "المطابقة" .

ولم ينل صنيع قدامة هذا اعجاب بعض النقاد فقد أخذ الآمدى عليه مخالفته ابن المعتز فى مصطلحات الفنون البلاغية حيث قال : "وهذا باب - أعنى المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر "المتكافىء" وسمى ضربا من المجانس ، المطابق ، وهو : أن تأتى الكلمة مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها ويكون معناه مخالفا نحو قول الأفوه الأزدى :

وأقْطَعُ الهوجلَ مُسْتَأنِساً
بِهوجلٍ عَيْرانةٍ عَنْتَرِيس (١)

والهوجل الأول : الأرض البعيدة ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق الموثقة ... وماعلمت أن أحدا فعل هذا غير أبى الفرج ، فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات ، وكانت الألفاظ غير محظورة ، فانى لم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه ، مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الأنواع وألف فيها ، اذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة .

وقد رأيت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت" (٢) .

---

(١) عيرانة عنتريس : الناقة السريعة المليئة .
(٢) الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط/المكتبة العلمية ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م ص ٢٥٧-٢٥٨ .

واذا كان قدامة قد تناول بعضا مما جمعه ابن المعتز وأضاف اليه جزءا آخر على الرغم من أنه لم يذكر هذا وذاك تحت مصطلح البديع كما صنع ابن المعتز ، فان أبا هلال العسكرى (٣٩٥هـ) يرجع الى مصطلح البديع مرة أخرى فى الصناعتين حيث يجعل الباب التاسع من أبواب الكتاب العشرة خاصا بفنون البديع ، فنراه يسرد الألوان التى تناولها بالشرح والتمثيل وهى من جهود العلماء والنقاد الذين سبقوه وفى مقدمتهم ابن المعتز ، وقدامة بن جعفر ، فيذكر منها تسعة وعشرين فنا هى : الاستعارة ، والمجاز ، والتطبيق ، والتجنيس ، والمقابلة ، وصحة التقسيم ، وصحة التفسير ، والاشارة والارداف والتوابع ، والمماثلة ، والغلو والمبالغة والكفاية ، والتعريض ، والعكس ، والتبديل ، والتذييل ، والترصيع ، والايغال ، والتوشيح ، ورد الاعجاز على الصدور ، والتكميل ، والتتميم ، والالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وتجاهل العارف ، والاستطراد ، وجمع المؤتلف والمختلف ، والسلب والايجاب ، والاستثناء ، والمذهب الكلامى ، والتشطير فضلا عن ما أخرجه عن دائرة البديع كالايجاز والاطناب ، والسجع والازدواج ، والتشبيه ، ثم يوضح أنه زاد على هذه الثروة البديعية التى أحصاها عن المتقدمين سبعة أنواع وهى : المجاورة ، والاستشهاد ، والتعطف ، والمضاعفة ، والتطريز ، والتلطف والمشتق" (١) .

---

(١) كتاب الصناعتين ـ الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى ، تحقيق الدكتور مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٢٩١-٤٨٢ .

وقد اتفق أبو هلال فى هذا الباب - أعنى التاسع - مع ابن المعتز فى الغرض من تأليف كتابه البديع حيث يقول فى نهاية حصره لهذه الفصول : "هذه أنواع البديع التى ادعى من لارواية له ، ولادراية عنده أن المحدثين ابتكروها ، وأن القدماء لم يعرفوها وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين ، لأن هذا النوع من الكلام اذا سلم من التكلف ، وبرىء من العيوب كان فى غاية الحسن ونهاية الجودة " (١) .

وقد عد الايجاز والاطناب والكفاية والتعريض ، والاستعارة والمجاز من فنون البديع وهذا يجعلنا نقطع أن العسكرى كان لايزال يستخدم مصطلح البديع بمعناه الواسع الذى سبق أن استعمله الجاحظ وابن المعتز ، وقدامة . وان كنا رأيناه يخرج التشبيه والسجع والازدواج من دائرة البديع مما ضيق مفهوم البديع عنده بعض الشىء .

وهكذا نرى أن البلاغيين العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجرى كانوا ينظرون الى البديع تلك النظرة الشاملة التى تعنى الجديد والطريف والمخترع ، وقد ظلت على هذا النحو حتى القرن الخامس أيضا .

ولعل فى مقدمة علماء هذا القرن ابن رشيق (٤٦٣هـ) فى كتابه "العمدة " الذى يعد بحق ثمرة طيبة لجهود من سبقه من العلماء ، فهو يضم خلاصة الآراء التى قيلت فى الشعر ، وان كنا نلاحظ بين دفتيه ماهو من بنات أفكار ابن رشيق ، وان كانت قليلة ، فهى تشكل آراء لها خطرها فى تطور مسيرة

(١) المرجع نفسه ص ٢٩٤ .

الفكر البلاغي والنقدي عند العرب القدماء . ويستخدم ابن رشيق مصطلحات المخترع ، والبديع ، والتوليد في معان مختلفة فالمخترع من الشعر هو "مالم يسبق اليه قائله ، ولاعمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو مايقرب منه كقول امرىء القيس :

سَموتُ اليهَا بعد مانامَ أهلُهَا
سُموَّ حبابِ الماءِ حالاً على حالِ (١)

فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء اليه فلم ينازعه أحد اياه وقوله :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطبًا ويابسًا
لدى وكرِهَا العنَّابُ والحشفُ البالي" (٢)

وفن المخترع قوله طرفة :

يشق حبابَ الماءِ حيزومها بها
كما قسمَ التربَ المُفائِلُ باليَدِ (٣)

وأما التوليد فهو : "أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة" (٤) ومن أمثلته قول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وقيل : وضاح اليمن :

فاسقط علينا كسقوطِ الندى ليلة لاناهٍ ولازاجرِ (٥)

"وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل :

---

(١) ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف ص ٣١ .
(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني ص ٢٦٢ .
(٣) ديوان طرفة ص ٢٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٦٣ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٦ .

يخرجن من مستطير النقع دامية
كأن آذانها أطراف أقلام

فقال عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال :
تزجى أغن كأن إبرة قرنه
قلم أصاب من الدواة مدادها " (١)

حيث ولد بعد ذكر القلم اصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى ، واذ كان القرن أسود .

وأما الابداع فهو : "اتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ، الذى لم تجر العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى ، والابداع للفظ ، فاذا تم للشاعر أن يأتى بمعنى مخترع فى لفظ بديع فقد استولى على الأمد ، وحاز قصب السبق" (٢) .

ويفهم من النص السابق أن البديع فى نظر ابن رشيق صار خاصا باللفظ فى مقابل الاختراع الذى صار خاصا بالمعنى ، فهل يمكن القول بأن ابن رشيق قد مهد الطريق بذلك لطغيان الفكرة القائلة بأن البديع أمر وراء المعنى ، أو أنه مجرد حلى لفظية يزداد بها الكلام حسنا وبهاء ؟ أغلب الظن أنه كذلك ، فهو مثلا يجعل الاستعارة أول ألوان البديع ، ولكنه يقول عنها : "وليس فى حلى الشعر أعجب منها وهى من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها" (٣) .

---

(١) العمدة لابن رشيق ص ٢٦٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٦٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

فابن رشيق يستعمل مصطلحات ثلاثة هى : البديع ، والحلى والمحاسن فى معنى واحد هو الابداع فى اللفظ فلاغرو ان كان للبديع كما يقول ابن رشيق "ضروب كثيرة وأنواع مختلفة " (١) ومن ثم سيذكر منها ماوسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة .

والملاحظ عليه من خلال عرضه لضروب البديع الكثيرة وأنواعه المختلفة تغيير لبعض المصطلحات ، كأن يطلق رد الاعجاز على الصدور ، اسم التصدير ، أو يسمى تجاهل العارف بالتشكيك ، أو يطلق على تأكيد المدح بما يشبه الذم "الاستثناء " أو يضم ألوانا عديدة تحت اسم واحد كما صنع فيما أسماه الاشارة حيث يخرج من عباءتها الايماء والتعريض والتورية ، والكناية والتتبع وهو ليس فى حقيقته الا الكناية .

وقد أضاف بعض الألوان التى لاتمت بصلة الى البديع ، مثل باب الحشو وفضول الكلام وباب الاستدعاء وغيرها ، ومما يدل على أن البديع عنده كما هو عند سابقيه شامل لعناصر الحسن الأدبى من غير تفريق أو محاولة لتحديدها على علوم البلاغة الثلاثة .

ومن علماء القرن الخامس المشهود لهم بالتأثير الواضح فى تطور الفكر البلاغى والنقدى عند العرب ابن سنان الخفاجى (٤٦٦هـ) صاحب كتاب "سر الفصاحة " ، فقد بحث ابن سنان كثيرا من صور البديع وان كان لم يبحثها تحت مصطلح البديع ، بل تناولها حين تكلم عن نعوت الألفاظ تارة ، ونعوت المعانى

(١) المرجع السابق ص ٢٦٥ .

تارة أخرى وقد تأثر ابن سنان بقدامة بن جعفر كما يتضح هذا التأثير بصورة أدق حين نراه ينقل عبارات مطولة من نقد الشعر .

أما الألوان التى تناولها فهى : "حسن الاستعارة ، والحشو ، والتوشيح أو التسهيم ، حسن الكناية ، السجع والازدواج ، والترصيع ، والجناس ، والمطابقة ، والتبديل ، والايجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، التمثيل ، والصحة فى التقسيم ، صحة التشبيه وصحة المقابلة فى المعانى ، وصحة التناسق والنظم ، وهو مايعرف عند المحدثين بحسن التخلص ، وصحة التفسير ، كمال المعنى ويسمى عند قدامة التتميم والمبالغة فى المعنى والغلو ، التحرز مما يوجب الطعن ، ويسمى عند المتأخرين الاحتراس والتكميل ، والاستدلال بالتمثيل ، والاستدلال بالتعليل" (١) .

تلك هى الألوان البديعية التى تناولها والملاحظ عليها أنها ألوان مسبوق بها سوى الاستدلال بالتعليل وهو مايعرف عند عبد القاهر بحسن التعليل ، وقد كان له فضل ابتكاره ويعد أول من تحدث عن حسن التعليل من البلاغيين بعد أبى هلال الذى أدرجه تحت "الاستشهاد والاحتجاج" (٢) ومن الشواهد التى ساقها أبو هلال قول بشار :

---

(١) كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م/١٤٠٢هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ١١٨، ١٦٠-١٦١، ١٦٣، ١٧١، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١-٢٧٧ .

(٢) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٤٧٠ .

فلاتجعلِ الشورى عليك غضاضة
فإنّ الخوافيَ قوة لِلقوادمِ (١)

ولهذا العالم الجليل آراء ثاقبة منها رفضه منيع بعض العلماء حين جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء ، كالترصيع الذى يسمونه ترصيعا وموازنة وتسميطا ، وتسجيعا وهذا كله راجع الى شيء واحد فهذه الآراء وغيرها مما ذكره فى كتابه (٢) سواء فى ثنايا الكلام ، أو تحت فصول بارزة فيه (٣) ، تدل على مدى ماكان يتمتع به ابن سنان من ذوق أدبى رفيع وحس مرهف . كما تكشف عن مدى اسهامه فى تطور الفكر البلاغى والنقدى عند العرب . ومن آرائه الثاقبة أيضا قوله فى "حسن الترديد" : "وذهب قوم الى حسن الترديد وهو أن يعلق الشاعر لفظة فى البيت ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير :

من يلقَ يوما على علاتِه هرما
يلقَ السماحة مِنه والندى خلقا

وهذا عندى لاتعلق له بالنقد لأن التأليف فى هذا الترديد كسائر التأليف فى الألفاظ التى لاتستحق بها حمدا ولاذما ، ولايكسبها حسنا ولاقبحا ، وقد صنف قوم فى نقد الشعر رسائل ذكروا فيها أبوابا من الصناعة لاتخرج عما ذكرناه فى كتابنا هذا ، الا أنهم ربما جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء كالترصيع الذى يسمونه ترصيعا وموازنة ، وتسميطا ، وتسجيعا

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٧١ ، ديوان بشار ص ١٧٣ . وفى الديوان ... مكان الخوافى .
(٢) كتاب سر الفصاحة لابن سنان ص ٢٨٥ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٧٨ ومابعدها ، فى ذكر الأقوال الفاسدة فى نقد الكلام .

وهو كله يرجع الى شيء واحد ، فاذا وقف على ماصنفوه فى هذا الباب وجد الأمر فيما قلنا ظاهرا والتكرير بينا " (١) .

ومعلوم أن الجاحظ ومن سبقوه من رواة الشعر كانوا يطلقون لفظ البديع على علوم البلاغة جميعها ، وقد ظل هذا الاطلاق الى عهد عبد القاهر (٤٧١هـ) الذى عد فى كتابه "أسرار البلاغة" الاستعارة والتشبيه والتمثيل وسائر أقسام البديع وفى ذلك يقول : "وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع لاشبهة أن الحسن والقبح لايعترض الكلام بهما الا من جهة المعانى خاصة من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب" (٢) .

ويعتبر الزمخشرى أول من قام بتطبيق بلاغة الامام عبد القاهر على آى الذكر الحكيم ، وقد كان اهتمامه خاصة بعلمى المعانى والبيان ، ومع ذلك لم يخل تفسيره من مصطلح البديع وفنونه .

ففى قوله تعالى : {وجئتك من سبأ بنبأ يقين} (٣) يقول : "من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجىء مطبوعا ، أو ليضعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده" (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨٤-٢٨٥ .
(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، ط/الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، مكتبة القاهرة ص ١١٢ .
(٣) سورة النمل : ٢٢
(٤) الكشاف للزمخشرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ط/٢ ، ١٩٧٢م ٣/١٤٤ .

وقد جاء في تفسيره ألوانا من الأساليب التي أدرجها المتأخرون تحت علم البديع ، وكانت نظرته الى هذه الأساليب لاتقل أهمية عن علمي المعاني والبيان فهي من مقتضيات الأحوال وولائد السياق .

والأنواع التي ذكرها في تفسيره هي :

المشاكلة (١)

التجانس (٢)

الاستطراد (٣)

اللف (٤)

الكلام الموجد (٥)

التفصيل (٦)

المقابلة (٧)

التورية (٨)

الازدواج (٩)

الطباق (١٠)

الادماج (١١)

تأكيد المدح بما يشبه الذم (١٢)

---

(١) الكشاف ٢٦٣/١، ٣١٥، ٦٥٥ ، ١١٣/٣ .
(٢) الكشاف ٣٣٨/٢ ، ١٤٤/٣ .
(٣) الكشاف ٣٤٠/١، ٤٥٤ ، ٧٤/٢، ٥٥٤ .
(٤) الكشاف ٣٠٤/١، ٣٣٦ ، ٤١/٢ ، ٢١٨/٣ .
(٥) الكشاف ٣٣٦/٢، ٣٣٥ .
(٦) الكشاف ٤٨٩/١، ٥٨٨ ، ٥٣٥/٢ .
(٧) الكشاف ٤٠١/٣، ٤٣٤ .
(٨) الكشاف ٣٣٥/٢ .
(٩) الكشاف ١٦٤/٤ .
(١٠) الكشاف ١٣٦/٢، ٢٥٨، ٢٦٤ ، ٤٤٣/٣ .
(١١) الكشاف ١٣٤/٢ .
(١٢) الكشاف ٥١٥/٢ ، ١٥٦/٣ .

ثم نعود الى التأليف والجمع مرة أخرى تحت مصطلح "البديع" وذلك على يد العلامة مجد الدين مؤيد الدولة بن أسامة بن مرشد بن منقذ أبى المظفر الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٤هـ .

حيث ألف كتابه "البديع فى نقد الشعر" وقد اشتمل على خمسة وتسعين لونا من ألوان البديع ، اعتمد فيها على من سبقه من العلماء ، يقول فى مقدمة كتابه :

"هذا كتاب جمعت فيه ماتفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه ، فلهم فضيلة الابتداع ، ولى فضيلة الاتباع ، والذى وقفت عليه : كتاب البديع لابن المعتز وكتاب الحالى للحاتمى ، وكتاب المحاضرة للحاتمى ، وكتاب المناعتين للعسكرى ، وكتاب اللمع للعجمى وكتاب العمدة لابن رشيق ، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه ، وذكرت منه أحسن مثالاته ، ليكون كتابى مغنيا عن هذه الكتب لتضمنه أحسن مافيها" (١) .

ثم بدأ كتابه بفهرس شامل للألوان التى اشتمل عليها ، بدأه بالتجنيس المغاير ، وختمه بالتهذيب ، ثم قال : "فيكون جملة مااشتمل عليه كتابنا هذا خمسة وتسعين بابا" (٢) .

ومن الألوان التى ذكرها فى كتابه : التجنيس ، والتطبيق ، والعكس ، والتتميم ، والتورية ، والتجزئة ،

---

(١) البديع فى نقد الشعر ، ابن منقذ تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، والدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة ابراهيم مصطفى ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، بدون تاريخ ص ٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

والتفسير ، والاستخدام ، والتجاهل ، والمبالغة ، والاستعارة والتصدير ، والاستطراد ، والاحتراس ، والمساواة ، والتذييل والكناية ، والاشارة ، مما يدل على أن كلمة بديع عنده مازالت ترادف كلمتي "بيان" و"بلاغة" .

ثم جاء السكاكي وألف كتابا أسماه "مفتاح العلوم" وجزأه ثلاثة أجزاء :

الأول : أفرده لعلم الصرف ، والثاني خص به علم النحو وأما القسم الثالث فقد أوضح فيه علمي المعاني والبيان ، وهو أكبر الأقسام وأكثرها شهرة حتى ان الذهن لينصرف مباشرة الى هذا الفرع حين يذكر كتاب المفتاح ، دون القسمين الآخرين .

وقد سار في دراسة هذين العلمين ، على منهج يتخذ من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساسا يبني عليه التعريف ثم يوضح الغرض من كل منهما وكان ذلك في مقدمة وفصلين تكلم فيهما عن مسائل هذين العلمين ، ومايتعلق بهما من أمور تتصل بالفصاحة والبلاغة . وبعد أن أنهى ذلك قال : "واذا تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فهاهنا وجوه مخصوصة كثير مايصار اليها لقصد تحسين الكلام فلاعلينا أن نشير الى الأعرف منها وهي قسمان : قسم يرجع الى المعنى وقسم يرجع الى اللفظ" (١) .

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، ط/الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص ٤٢٣ .

والملاحظ أن السكاكى لم يجعل البديع علما مستقلا كعلمى المعانى والبيان ، ولم يطلق على ماذكره مصطلح البديع ، بل عدها وجوها مخصوصة لقصد تحسين الكلام ومن ثم قسمها الى قسمين ، قسم يرجع الى المعنى ، وآخر يرجع الى اللفظ ، وأخذ يعدد الألوان التى تنطوى تحت كل قسم ، فمن القسم الأول "المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ، اللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التقسيم والتفريق ، والايهام ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتوجيه ، وسوق المعلوم مساق غيره . الاعتراض ، الاستتباع ، الالتفات ، وتقليل اللفظ ولاتقليله " (١) .

ومن القسم الثانى : الجناس ، والسجع ، ورد العجز على الصدر ... ومن ثم نرى أنه يتناول هذه الألوان تناولا موجزا فهو لايفعل أكثر من أن يقدم تعريفا لها ثم يردفه بمثال أو مثالين دون أن يقف ليحلل هذه الأمثلة ويكشف عما فيها من جمال الأسلوب وروعة الأداء على نحو مافعل مثلا عبد القاهر الجرجانى . ويعلق الدكتور شوقى ضيف على ذلك فيقول : "... وانما نجد فيه الدقة والقدرة البارعة على التبويب والاحاطة الكاملة بالأقسام والفروع . غير أن ذلك عنده لم يشفع بتحليلات عبد القاهر والزمخشرى التى كانت تملأ نفوسنا اعجابا ، فقد تحولت البلاغة فى تلخيصه الى علم بأدق المعانى لكلمة علم ، فهى قوانين وقواعد تخلو من كل مايمتع

---

(١) المصدر السابق المصطلحات ص ٤٢٣-٤٢٨ .

النفس ، اذ سلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحادة ، حتى فى لفظها وأسلوبها الذى لايحوى أى جمال ، ومالجمال وللساكى ؟ انه بصدد وضع قواعد وقوانين كقوانين النحو وقواعده ، وهى قواعد وقوانين تسبك فى قوالب منطقية جافة أشد مايكون الجفاف" (١) .

والحقيقة أن السكاكى لم يعرض لهذه الألوان على أنها علم مستقل عن العلمين الآخرين وانما هى أنواع تشترك فى مسائل المعانى والبيان لتزيين الكلام وتحسينه ، لذلك لانجد من السكاكى مايشير الى أن ثمة فروقا بين هذه المحسنات وبين غيرها من مباحث علم المعانى والبيان . فعد منها الالتفات والايجاز والاطناب ، ويلفت نظر القارىء الى أن هذه الألوان قد سبق الحديث عنها فى علم المعانى .

وممن عاصر السكاكى عالم أغنى المكتبة العربية بكتاب عنوانه "المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر" وهو ضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧هـ) وقد جاء كتابه فى مقدمة ومقالتين اشتملت المقدمة على أصول علم البيان ، وهو يريد به ماهو أعم وأشمل عما عرفناه اليوم ، وماسبق أن عرفناه لدى السكاكى مما جعل مقابلا لعلمى المعانى والبيان ، اذ يعنى به الفصاحة والبلاغة ، ويفرق ابن الأثير بين مهمة النحوى ، والبيانى ، ومهمة كل من النحوى واللغوى فيما بينهما من اشتراك فيقول : "ان موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، ويسأل صاحب هذا العلم عن أحوالهما

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، دكتور شوقى ضيف ، دار المعارف الطبعة السادسة بدون تاريخ ص ٢٨٨ .

اللفظية والمعنوية ، ويشترك هو والنحوى أو اللغوى فى أن الثانى ينظر من دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى ، وتلك دلالة عامة ، أما صاحب البيان فان له نظرة فوق هذه النظرة ، لأنه ينظر فى فضيلة تلك الدلالة التى هى دلالة خاصة " (١) .

ومعنى هذا أن الدلالة التى يقف عندها النحوى دلالة عامة ، أما الدلالة البيانية فهى دلالة خاصة اذ المراد فى هذه الحال هيئة مخصوصة من الحسن يتمتع بها الأسلوب وذلك أمر وراء النحو والاعراب كما يقول ابن الأثير (٢) .

ومن ثم يستطيع النحوى أن يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعرف مواقع اعرابه ولكنه لايفهم مافيه من الفصاحة ، والبلاغة ، ويقرر ابن الأثير حكما له خطره وهو تخطئة من يعرض للشعر حين يقتصر على شرح المعنى ومافيه من الكلمات اللغوية وتبين مواضع الاعراب فيه دون شرح ماتضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة (٣) . فابن الاثير صاحب منهج مغاير لمنهج السكاكى اذ كان "شديد الأهمية بالنسبة لتاريخ النظريات الأدبية والدراسات البلاغية" (٤) ومن ثم فهو أقرب الى منهج الأوائل الذين تناولوا البلاغة العربية بروح تختلف عن الروح التى وجدت فى كتاب السكاكى "مفتاح العلوم" فهو يميل

---

(١) المثل السائر لضياء الدين ابن الأثير ، تقديم وتحقيق د. احمد الحوفى ، والدكتور بدوى طبانة ، دار الرفاعى بالرياض ط/الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٥١ .
(٢) المصدر السابق ص ٥١ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ٥٢ .
(٤) علم البديع عند العرب لكراتشكوفسكى ، ترجمة وتقديم محمد الحجيرى ، دار الكلمة للنشر الطبعة الثانية ١٩٨٣م ص ١١٨ .

الى الاكثار من سرد الأمثلة والشواهد والبعد عما تقتضيه القسمة العقلية لأن ذلك كما يقول "يقتضى أشياء مستحيلة "[1] .

على أن الذى يهمنا منه هو مايخص البديع ويلفت النظر أنه يعرض لبعض الفنون التى تعرف الآن بالبديع فى القسم الثانى من المقالة الأولى التى جاءت للبحث فى الصناعة اللفظية ، وجعلها فى قسمين :

الأول فى اللفظة المفردة ، والثانى فى المركبة ، وتحت هذا القسم جاء حديثه عن السجع ، والتصريع والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم مالايلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ ، وتكرير الحروف ، أفردها بالشرح والتحليل موضحا منزلة كل واحد منها وسر الفصاحة فيه .

وأما المقالة الثانية فهى بعنوان "فى الصناعة المعنوية " وفيها نلاحظ فنونا تنتمى الآن الى علوم البلاغة الثلاثة المعروفة ، فمنها ماهو داخل فى دائرة البيان مثل الاستعارة والتشبيه وفيها ماهو فى عداد المعانى ، كالتقديم والتأخير والايجاز والاطناب ، ومنها ماهو دائر فى فلك علم البديع ، كالطباق والمقابلة ، ومعنى هذا أن ابن الأثير لاينظر الى هذه الفنون نظرة مفاضلة بينها بل هى جميعا تعمل على الوصول الى ماأشرنا اليه سابقا وهو الهيئة المخصوصة من الحسن التى تجىء وراء النحو والاعراب .

والوضع كذلك عند ابن أبى الأصبع (٦٥٤هـ) فهو وان كان قد أطلق على مؤلفه المعروف "بتحرير التحبير" اسم البديع

---

(١) المثل السائر ١٩٤/٣ .

فى صناعة الشعر ، لاينظر الى الفنون التى تكلم عنها تحت عنوان "البديع" نظرة توحى بالتقسيم والتحديد ، بل لاتزال كلمة البديع لديه كما كانت عند ابن المعتز أول من أطلقها على مؤلف علمى ، وان كان ابن أبى الاصبع قد قسم الألوان الى أصول وفروع ، فالأصول عددها ثلاثون لونا منها الاستعارة والجناس والطباق ، ورد الاعجاز على الصدور ، والمذهب الكلامى ، والالتفات ، والكناية والتشبيه ، وتجاهل العارف ، والمقابلة ، والتقسيم ، والافراط فى الصفة ، وغيرها مما جاء عند ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وأما الفروع فقد أفرد لها ثلاثة وستين لونا ، ثم ساق الحديث بعد ذلك عن ثلاثين لونا قال بأنه هو المكتشف لها ، والواقع أن كثيرا من هذه الفنون قد سبقه اليها ممن تقدمه من البلاغيين .(١)

وعلى الرغم من أنه قسم الأنواع التى جمعها من كتب السابقين الى أصول وفروع فانه لم يعن بتلك القسمة الى تفضيل الأصول على الفروع ، بل قصد الى أطلاق الأصول على ماورد فى كتابى ابن المعتز وقدامة ، وماعدا ذلك مما جاء فى هذين الكتابين فقد أطلق عليه اسم الفروع . ومن ثم أرى فى الفروع مثلا تشابه الأطراف وأرى فى الأصول التمام أو التتميم ، مع أننى أرى أحقية تشابه الأطراف لو كنت أفاضل بين ماهو أصل وماهو فرع مما عده ابن أبى الأصبع .

ونلحظ فى هذا الكتاب الكثرة التى حاول المؤلف أن يضفيها الى البديع ، فقد زاد ماذكره من الألوان على المائة

---

(١) راجع الباب الأخير من هذه الرسالة حول اضافات ابن أبى الأصبع .

بـأكثر من عشرين لونا وتلك بداية الضعف ، حيث عرفت الألوان طريقها الى الكثرة حتى لم تعد أقوى ذاكرة بقادرة على مجرد عدها . اضافة الى التفريعات التى تتعلق بكل فن منها . وان كان مما يخفف هذه الملاحظة أن ابن أبى الاصبع قد استعمل مصطلح البديع استعمالا عاما قصد به علوم البلاغة كلها . بخلاف صنيع السكاكى الذى قدر له الذيوع والانتشار حيث خضع القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" للاختصار ، والتهذيب والشرح تارة ، والتقريرات والحواشى تارة أخرى حتى صار بين أيدينا حشد ضخم من الكتب التى تناولت هذا القسم من الكتاب .

وكان كتاب القزوينى (٧٣٩هـ) تلخيص المفتاح ، وكتابه الآخر الايضاح ، فى مقدمة الكتب التى تناولت القسم الثالث من كتاب السكاكى شرحا وتلخيصا ، بل ان الخطيب نفسه قد أحس بأن كتاب "التلخيص" فى حاجة الى ايضاح فكان كتابه الثانى فقد "عمد الى كل مافى المفتاح من تعقيد فأخلى تلخيصه منه الا قليلا ، وناقش السكاكى فى غير موضع ، وطرح بعض تعريفاته الملتوية ، ووضع مكانها تعريفات أكثر دقة ووضوحا ، ولم يكتف بذلك فقد عكف على كتابى عبد القاهر "دلائل الاعجاز" و"أسرار البلاغة" وكتاب الكشاف للزمخشرى مستنيرا بها جميعا فى تصنيف تلخيصه ، وأدلى ببعض الآراء" .(١)

وقد شهدت البلاغة على يد القزوينى ذلك الفصل الحاسم بين علومها الثلاثة حيث تحولت المحسنات التى ألحقها

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٣٦ .

السكاكى بعلمى المعانى والبيان الى علم ثالث مستقل وهو علم البديع، وهو علم "يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة "(١) .

ثم أخذ يقسم هذه الوجوه الى ضربين ، ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ وقد عد تحت الضرب الأول واحدا وثلاثين نوعا ، وكان السكاكى قد عد تحت هذا النوع عشرين لونا من بينها الاعتراض ، والالتفات ، والايجاز ، والاطناب ، وهذه الألوان لم يدخلها القزوينى فى دائرة البديع بل جعلها فى دائرة علم المعانى ثم جعل الطباق والمقابلة لونا وكان السكاكى قد جعلهما لونين مستقلين .

وقد "أربى على السكاكى فى المحسنات المعنوية ، بالارصاد ، والعكس والرجوع ، والاستخدام والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامى ، وحسن التعليل ، والتفريع ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذى يراد به الجد ، والقول بالموجب ، والاطراد والاستطراد "(٢) .

أما الضرب الثانى ـ الذى يعود الى اللفظ ـ فقد عد الخطيب منه سبعة ألوان منها ماذكره السكاكى من قبل كالجناس ، ورد العجز على الصدر وزاد عليه لزوم مالايلزم والموازنة ، والتشريع ، وفى كل أولئك مسبوق ، وقد عقب القزوينى على تلك الألوان بقوله : "وأصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الألفاظ تابعة للمعانى فان المعانى اذا أرسلت على

---

(١) الايضاح فى علوم البلاغة للقزوينى شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ٤/٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٦ .

سجيتها ، وتركت وماتريد طلبت الألفاظ ، ولم تكتس الا مايليق بها " (١) الا أن ابن جنى له كلام جيد عن الألفاظ اذ يقول عن الألفاظ : "فانها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقا الى اظهار أغراضها ومراميها ، أصلحوها ورتبوها ، وبالغوا فى تحبيرها ، وتحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها فى السمع وأذهب بها فى الدلالة على القصد ،ألا ترى أن المثل اذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه ، فاذا هو حفظه كان جديرا باستعماله ، ولو لم يكن مسجوعا لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستمعه ، واذا كان كذلك لم يحفظه ، واذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ماوضع له وجىء به من أجله " (٢) .

ثم يقول : "فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها فلاترين أن العناية اذ ذاك ، انما هى بالألفاظ بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى وتنويه بها وتشرف منها " (٣) .

وهذا كلام يرفع من قيمة السجع ويبرز أهميته ، ومتى كان كذلك كان من عمل المتكلم ، وعمل المتكلم فى الكلام هو النظم ، بمعنى أن ينظر الى الظاهرة باعتبارها من عمل المتكلم فى تأليف الكلم ، ولم يكن للمتكلم سوى النظم .

وقد تحدث الشيخ عبد القاهر عن التجنيس باعتباره عملا قام به منشىء القول .

---

(١) المصدر السابق ص ١١٦ .
(٢) الخصائص لابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية دار الكتب المصرية ١٩٦٣م ١/٢١٥-٢١٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١٧ .

أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام

واستحسنت تجنيس القائل (١)

فهو كما قلت ينظر الى القول باعتباره نتاجا لعمل المتكلم فى تأليف الكلم وليس للمتكلم سوى النظم .

ومادام التجنيس من عمل المتكلم ، وجب أن تنظر فى أحوال المتكلمين حينما تتمخض أعمالهم عن هذه الظاهرة .

"وهم من هذه الجهة : مابين مطبوع ، يرسل القول على سجيته ، ولايعنيه الا الوفاء بغرضه ، وبين آخر يقصد الى التجنيس قصدا ينسى معه الغاية الأصلية من الكلام وهى الابانة والافهام" (٢) .

"ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين ، الذين تركوا فضل العناية بالسجع ولزموا سجية الطبع ، أمكن فى العقول ، وأبعد من القلق ، وأوضح للمراد ، وأفضل عند ذوى التحصيل وأسلم من التفاوت ، وأكشف عن الأغراض ، وأقصد للجهة التى تنحو نحو العقل وأبعد من التعمد ، الذى هو ضرب من الخداع والتزويق ، والرضا بأن تقع النقيصة فى نفس الصورة ، وذات الخلقة اذا أكثر فيها من الوشم والنقش" (٣) .

"وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ماله اسم فى البديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ، ويخيل اليه أنه اذا جمع بين

---

(١) أسرار البلاغة ، تحقيق هـ ريتز ص ٦ .

(٢) مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ، رسالة دكتوراه ، د. ابراهيم محمد عبد الله الخولى ، اشراف الدكتور كامل امام الخولى ، الأزهر ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ٢٠٠ .

(٣) أسرار البلاغة للجرجانى ص ٨ .

أقسام البديع فلا ضير أن يقع ماعناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة مايتكلف على المعنى وأفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها" (١) .

ومعنى هذا أن القبول والرد مرتبط بأحوال القائلين وأغراضهم ومدى وفائهم بها . وأصبح اقتفاء المعنى لأى لون بديعى فيصلا فى هذه المسألة (٢) .

ولذلك : "لاتجد تجنيسا مقبولا ، ولاسجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه ، واستدعاه وساق نحوه ،وحتى تجده لاتبتغى به بدلا ، ولاتجد عنه حولا ، ومن هاهنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ماوقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه وتأهبت لطلبه ..." (٣) .

وبهذا الحكم القائم على أساس المعنى ، يمكن أن نفاضل بين هذه الظاهرة فى عصرين من عصور الأدب ، ففى عصور الفطرة ومسايرة الطبع الصافى ، تتجلى لك صور مشرقة تروع وتونق .

وعلى العكس من ذلك يظهر لك وجهها الآخر فى عصور التكلف ، وقد علاه الكلف ونالت الأصباغ الثقيلة من روائه وبهائه . وهكذا .

تلك هى نظرة الشيخ الى الجناس حيث اعتبره من عمل المتكلم وأنه من نتاج النظم ، الا اذا أساء المتكلم استخدامه فانه حينئذ يخل بالنظم ويصبح حلية لفظية لاقيمة

---

(١) المصدر السابق ص ٩ .
(٢) انظر مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ص ٢٠١ .
(٣) أسرار البلاغة ص ١٠ .

لها ، وهذا على خلاف نظرة الخطيب له الذى حصر نظره فى نطاق اللفظ وخصائصه من حيث هو صوت .

أما السجع فان الأثر الذى ينجم عنه هو ذلك الأثر الصوتى الخالص ، يتمثل فى هذا التوافق الصوتى الناشىء عن تماثل المقطع الأخير فى الكلمات التى تعتبر نهايات الفواصل أو تماثل الحرف الأخير منها ، ومما يؤكد ذلك أننا نجد سورا بأكملها بنيت على رعاية هذا التوافق الصوتى كسورة القمر مثلا لاتشذ فيها آية واحدة عن الانتهاء بالراء ، لقد توافقت آياتها الخمس والخمسون على فاصلة واحدة وهى الراء.(١) ولنا مع هذا وقفة فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى .

ومن الذى يقول ان هذا النسق الصوتى فى السورة ليس أصيلا وليس من البلاغة وانما هو مجرد حلية خارجية ،وزخرف غير جوهرى ؟(٢)

من يقل ذلك فنحن نطالبه بأن يحاول تبديل كلمات النهاية فى الآيات بغيرها دون أن يحدث تغييرا جوهريا من حيث الأثر الذى تتركه السورة فى النفوس ، وان لم يستطع ذلك فانى أعتبرها من الألوان التى يدق فيها الصنع وأنه من صميم البلاغة العربية ، وليس حلية عرضية كما قال به المتأخرون .(٣)

---

(١) انظر مقتضى الحال بين البلاغة العربية والنقد الحديث ص ٢٠٧-٢٠٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١١ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ٢١٢ .

# البديعيات

لاشك أن الاهتمام بالصنعة قد بدأ منذ عهد مبكر ، حتى أن عبد القاهر الجرجانى ضاق ذرعا بمن هاموا بالبديع وشغفوا به وفى ذلك يقول : "وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع الى ماله اسم فى البديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه أنه اذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ماعناه فى عمياء وأن يوقع السامع فى طلبه فى خبط عشواء وربما طمس بكثرة مايتكلفه على المعنى وأفسده كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها" (١) .

وقد بلغ علم البديع ذروة نضجه فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن للهجرة ، على يد خطيب دمشق وقاضيها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩هـ الذى لخص كتاب مفتاح العلوم للسكاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ فى كتاب أسماه تلخيص المفتاح ، ثم بينه فى كتاب آخر أطلق عليه "الايضاح" .

وقد فتن بهذا الاهتمام المتزايد بفنون البديع شعراء العصور المتأخرة الذين تأثروا بما أنتجه البلاغيون من أنواع البديع حتى اذا قارب القرن السابع على الانتهاء تمخض عن ظهور فن جديد هو فن "البديعيات" وهى قصائد تتضمن فنونا بلاغية ومعظمها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بحرها

---

(١) أسرار البلاغة ص ٩ .

البسيط ورويها الميم ، ويتضمن كل بيت منها نوعا من أنواع البديع .(١)

لقد اختلف الباحثون حول نشأة البديعيات أهى من ابتكار على بن عثمان بن على بن سليمان الأربلى كما يقول ابن معصوم المدنى ؟(٢) أم انها من ابتكار ابن جابر الأندلسى كما يفهم من نص صريح للدكتور زكى مبارك ؟(٣) أو أنها من اختراع صفى الدين الحلى كما رجح بذلك الدكتور جواد غلوش .(٤)

وقد ذهب ابن معصوم المدنى الى أن صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠هـ أول من نظم البديعيات ، ولكنه تراجع وقال : "كنت أظن أن أول من نظم أنواع البديع على هذا الأسلوب البديع ، فضمن كل بيت نوعا وانقاد له شموس هذا المرام طوعا ، هو الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى حتى وقفت فى ترجمة الشيخ على بن عثمان بن على بن سليمان أمين الدين السليمانى الأربلى الموفى الشاعر ، على قصيدة لامية له نظم فيها جملة من أنواع البديع ، وضمن كل بيت منها ، نوعا منه ، أولها الجناس التام والمطرف ، وهو :

بَعْضَ هذا الدَّلالِ والإِدْلالِ
حَالِيَ الهَجْرُ والتَّجَنُّبُ حَالِي

---

(١) انظر البديعيات فى الأدب العربى لعلى أبو زيد الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٤٦ .
(٢) أنوار الربيع فى أنواع البديع لابن معصوم المدنى ، تحقيق شاكر هادى شكر ، ط/الأولى ١٣٨٨هـ ، مطبعة النعمان ١/٣١-٣٢ .
(٣) المدائح النبوية للدكتور زكى مبارك ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ ص ٢٢٤ .
(٤) شعر صفى الدين الحلى للدكتور جواد غلوش بغداد ١٣٧٩هـ ص ١٢٦ .

... فعلمت أن الشيخ صفى الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ، ولا أول من نظم جواهر هذا العقد فى نظام ، فان الشيخ أمين الدين المذكور ، توفى قبل أن يولد الشيخ صفى الدين ، بسبع سنين ، وذلك أن وفاة الشيخ أمين الدين فى سنة سبعين وستمائة ، وولادة الشيخ صفى الدين ، فى سنة سبع وسبعين وستمائة .

وأما نظم أنواع البديع على هذا الوزن والروى ، الذى نظم عليه الشيخ صفى الدين ، فلا أتحقق أيضا أن الشيخ صفى الدين ، هو أول من نظم عليه ، فانه كان معاصرا للشيخ ابى عبد الله محمد بن أحمد بن على الهوارى ، المعروف بشمس الدين بن جابر الأندلسى الأعمى ، صاحب البديعة المعروفة ببديعة العميان ، ولا أعلم من السابق منهما الى نظم بديعيته على هذا الأسلوب . وان كان الشيخ صفى الدين قد حاز قصبات السبق فى مضمار براعة هذا المطلوب . فان ابن جابر ، لم يستوف الأنواع التى نظمها الشيخ صفى الدين بل أخل بنحو سبعين نوعا من الأنواع ، وكلاهما لم يلتزم التورية باسم النوع البديعى .

وأول من التزم ذلك الشيخ عز الدين الموصلى ، ثم تلاه الشيخ تقى الدين أبو بكر بن على بن عبد الله الحموى ، المعروف بابن حجة . والتزم ماالتزمه الشيخ عز الدين ، وزاد عليه فى أكثر الأبيات بحسن النظم والانسجام . الا أن لذلك فضل المتقدم على المتأخر ، والمبتدع على المتبع وقل من التزم بعدهما هذا الالتزام ، وماذلك الا لصعوبة هذا المرام " . (١)

---

(١) أنوار الربيع فى أنواع البديع ص ٣١-٣٢ .

وذهب الدكتور زكي مبارك في كتابه "المدائح النبوية" الى أن أبا عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن جابر الأندلسي (٧٨٠هـ) قد "ابتكرها ورسم أصولها"(١) في حين رجح الدكتور جوار غلوش أن يكون صفي الدين أسبق من ابن جابر الأندلسي لأنه توفي سنة ٧٥٠هـ وتوفي الآخر سنة ٧٨٠هـ وأن ابن حجة الحموي اعترف بأسبقيته في عدة مواضع من خزانته(٢)، وان كان ذلك ليس دليلا أكيدا على الأسبقية.

ولعل أول من نظمها الأديب المصري، علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السجلماني الأربلي (٦٧٠هـ) الذي أشار اليه ابن معصوم المدني وعده أول من نظم هذا اللون، وبديعيته تقع في ستة وثلاثين بيتا اشتملت على فنون بلاغية مختلفة وهي ليست في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولامن البسيط بل من الخفيف(٣)، وليست على روي الميم بل على روي اللام. ومن أبياتها:

بعضُ هذا الدَّلالِ والإِدلالِ
حالِيَ الهجرُ والتجنبُ حالي

ومما يؤيد كلامنا هذا قول الدكتور شوقي ضيف: "ولانكاد نمضي بعد ابن أبي الأصبع حتى نجد علي بن عثمان الأربلي المتوفي سنة ٦٧٠ للهجرة ينظم قصيدة في مديح بعض معاصريه مضمنا كل بيت منها محسنا من محسنات البديع، وبازاء كل بيت المحسن الذي يشير اليه ولاندري هل عد فيها جميع

---

(١) المدائح النبوية في الأدب العربي ص ٢٢٢ .
(٢) شعر صفي الدين الحلي ص ١٢٦ .
(٣) فنون بلاغية، البيان والبديع، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية للنشر، الجمهورية العراقية، ط/أولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص ٢١٣ .

المحسنات التى كانت معروفة فى عمره أو أنه اقتصر على طائفة منها فقط ، فان صاحب "فوات الوفيات" لم يذكر من قصيدته سوى ستة وثلاثين بيتا . على كل حال تعد هذه القصيدة أول قصيدة عنى ناظمها بأن يودع كل بيت من أبياتها محسنا بديعيا ، واذا تقدمنا الى القرن الثامن وجدنا صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ للهجرة ينظم قصيدة فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم على غرار بردة البوصيرى المشهورة " .(١)

ثم جاء صفى الدين الحلى سنة ٧٢٠هـ وألف بديعية بلغت أبياتها مائة وخمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ
وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ

وقد ضمن كل بيت فيها محسنا بديعيا ، اذ ضمت قصيدته مائة وخمسين محسنا حيث جعل للجناس فيها اثنى عشر نوعا جاءت فى الخمسة الأبيات الأولى .(٢) وسماها "الكافية البديعية فى المدائح النبوية" وشرحها فى كتاب أسماه "النتائج الالهية فى شرح الكافية" (٣) وقد أثنى عليها الحموى فى خزانته وفضلها على البديعيات الأخرى ، ووازن بينها وبين بديعية الموصلى ، ولشدة اعجابه بالموصلى نراه يقلده ويجاريه .(٤)

وقد خالف الحلى السكاكى فى مصطلحه حيث أنه لم يفصل المباحث التى أطلق عليها علم البيان من تشبيه ومجاز وكناية ، بل جعلها جميعا تحت عنوان البديع وعلى هذا فعل

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقى ضيف ص ٣٦٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٦٠ .
(٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ، دار القاموس ، الحديث ، بيروت ، مكتبة البيان ص ٤٦٧،٧ .
(٤) انظر فنون البلاغة البيان والبديع ص ٢١٤ .

أصحاب البديعيات من بعده ماعدا ابن جابر .(١)

وقد نظم ابن جابر الأندلسى المتوفى سنة ٧٨٠هـ بديعية تقع فى مائة وسبعة وعشرين بيتا ابتدأها بقوله :

بِطيبةٍ أنزلْ ويمّمْ سيدَ الأممِ
وانشرْ لهُ المدحَ وانشرْ أطيبَ الكلِمِ

وسماها "الحلة السيرا فى مدح خير الورى"(٢) وقد اعتبره الدكتور زكى مبارك مبتكر هذا الفن ، وراسم خطوطه وان كنا رأينا الأربلى والحلى قد سبقاه الى هذا المضمار ، وتختلف هذه البديعية عن غيرها من البديعيات ، بأنه اقتصر على فنون البديع التى عدها الخطيب القزوينى فى كتابه(٣) ولم يجعل فنون البلاغة كلها بديعا . ولذلك اعتبره مخلا بالبديع غير مستوف له .(٤)

وقد شرحها أبو جعفر الرعينى المتوفى سنة ٧٧٩هـ بكتاب سماه "طراز الحلة وشفاء الغلة" حيث قدم لها بخمسة فصول :

الأول فى البديع لغة واصطلاحا ، والثانى فى الفرق بين الفصاحة والبلاغة ، والثالث فى مكان البديع من المعانى والبيان ، والرابع فى تقسيم البديع الى لفظى ومعنوى ، والخامس فى بيان أن البديع أحد علوم الأدب الستة ، وهى اللغة والتصريف ، وعلم العربية ، والمعانى ، والبيان ، والبديع .(٥)

---

(١) انظر الصبغ البديعى لأحمد موسى ص ٣٨٣ .
(٢) السيراء : المخططة ، أو يخالطها حرير .
(٣) انظر البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦١ . ا
(٤) انظر فنون بلاغية ، البيان والبديع ص ٢١٥ .
(٥) فنون بلاغية ، البيان والبديع ص ٢١٥ .

وقد أثنى السيوطى عليها بقوله[1] : "نظمها عال" غير أن ابن حجة الحموى قال عنها : "ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسى شرحها شرحا مفيدا"[2] .

ومن ذلك بديعية عز الدين الموصلى المتوفى سنة ٧٨٩هـ وتقع فى مائة وتسعة وثلاثين بيتا التزم فيها تسمية النوع البديعى موريا عنه بكلمة فى البيت الذى يتضمنها ومطلعها :

بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُّ الدَّمْعَ فى العَلَمِ

عِبَارَةٌ عن نِدَاءِ المُفْرَدِ العَلَمِ

ويقول فى الاستعارة :

دَعِ المعاصِيَ فَشَيْبُ الرأسِ مُشْتَعِلٌ

بالاستعارةِ من أرواحِها العَقِمِ

ويعد الموصلى أول من فعل ذلك ليمتاز عن الحلى الذى لم يلتزم بتسمية النوع البديعى . يقول ابن حجة موضحا الفرق بين بديعتى الموصلى والحلى "وبديعية صفى الدين غزلها لاينكر ، غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى موريا به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عنه تلك الرقة ، وأما الشيخ عز الدين الموصلى فانه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا"[3] .

وهكذا توالى نظم البديعيات وبرز شعراء عنوا بها كوجيه الدين عبد الرحمن بن محمد اليمنى المتوفى سنة ٨٠٠هـ

---

(١) بغية الوعاة للسيوطى ، دار المعرفة ، بيروت بدون تاريخ ص ١٤ .
(٢) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ١١ .
(٣) خزانة الأدب لابن حجة ص ١٣ .

وشرف الدين عيسى بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدى القاهرى المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، وزين الدين شعبان بن محمد القرشى المتوفى سنة ٨٢٨هـ .

وفى القرن التاسع برز أديب كان له أكبر الأثر فى البديعيات ذلكم هو أبوبكر على بن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ وقد ظفرت بديعيته التى سماها "تقديم أبى بكر" بشهرة لم تظفر بها أى بديعية أخرى ، على الرغم من أنه وجد فى عصر يزخر بالبديعيات . وكان قد أعجب ببديعيتى الموصلى والحلى فأراد أن يضع بديعيته تفوقهما فنظم هذه البديعية التى ضمن كل بيت فيها نوعا وأشار الى اسمه فى البيت نفسه وأبياتها مائة واثنان وأربعون بيتا اشتملت على مئة وسبعة وأربعين نوعا بديعيا وابتدأها بقوله :

لِيَ فِى ابتدا مدْحِكُمْ يَاعُرْبَ ذِى سَلَمِ
بَراعةٌ تَستهِلُّ الدمعَ فى العَلَمِ

وقد وضع لها شرحا سماه "خزانة الأدب وغاية الأرب" ووازن بينها وبين بديعيتى الحلى والموصلى .(١)

ومنهج ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب ، يختلف عن منهج البلاغيين فى عصره الذى سيطر فيه القزوينى وشراحه على الدراسات البلاغية ، فهو لم يقسم البلاغة الى ثلاثة فنون ، ولم يلتزم بالحدود والتقسيمات التى قيدتها بلاغة السكاكى وأتباعه وانما سلك مذهبا آخر ابتعد عن كل مايفسد الذوق ، فهو يعرض للنوع الذى ضمنه بيتا من بديعيته ، فيعرفه تعريفا بلاغيا ، ويذكر أمثلة شعرية ونثرية كثيرة رادا بعض آراء معاصريه وموازنا بين بعضها الآخر .(٢)

---

(١) انظر فنون بلاغية ص ٢١٦ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٢١٦ .

ولاجدال فى هذا فكتابه يعد من أفضل كتب البلاغة والنقد فى عصره ، لأنه لم يلتزم بالمنهج السائد ولم يقلد المتقدمين كل التقليد وانما جاء بكل طريف وجديد فى عصره الذى طغت فيه موجة التقليد (١) .

فحين تكلم عن "التتميم" قال : "التتميم كان اسمه التمام وانما سماه الحاتمى التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ، والتتميم عبارة عن الاتيان فى النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه وهو على ضربين : ضرب فى المعنى وضرب فى الألفاظ" (٢) .

وأبدى رأيه فى بعض فنون البديع فقال عن عتاب المرء نفسه "هذا النوع أعنى عتاب المرء نفسه ـ لم أجد العتب مرتبا الا على من أدخله فى البديع وعده من أنواعه وليس بينهما نسبة والذوق السليم أعدل شاهد على ذلك . ولولا أن الشروع فى المعارضة ملزم مانظمت حماه مع جواهره هذه العقود .

ونهاية أمره أنه صفة لحال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من أفراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكر أن الأسدى أنشدهما عن الجاحظ وهما :

عَصانِى قومٌ فى الرشادِ الذى بِهِ
أَمرتُ ومَن يَعصِ المُجرِّبَ يَندمِ

---

(١) انظر فنون بلاغية ص ٢١٧ .
(١) خزانة الأدب لابن حجة ص ١٢١ .

فصبرا بني بكرٍ على الموتِ أنني
أرى عارضا ينهل بالموتِ والدمِ (١)

وقد حظيت بديعية ابن حجة بعناية واضحة من العلماء حيث شرحها أحمد بن عثمان البسطامي المتوفى سنة ٨٤٢هـ كما شرحها محمد بن عيسى بن محمود المتوفى سنة ١١٥٣هـ واطلق عليها "المحاسن المرضية في شرح المنظومة البديعية" .

ولجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بديعية سماها "نظم البديع في مدح خير شفيع" وتقع في مائة وأربعين بيتا مشتملة على مئة وأربعين نوعا بديعيا ومطلعها :

منَ العَقيقِ وَمنْ تِذكارِ ذي سَلمِ
بَراعةٌ تستهلُ الدمعَ في العلمِ (٢)

وشرحها شرحا موجزا وأشار الى أنه عارض بها بديعية ابن حجة الحموي في التورية باسم النوع البديعي وفي ذلك يقول :

"فهذه بديعية مدحت فيها من وجب على الخلق امتداحه ... معارضا بها بديعية الشاعر الماهر تقي الدين بن حجة في التورية باسم النوع البديعي" (٣) .

وقد نظمت عائشة الباعونية المتوفاة سنة ٩٢٢هـ بديعية في مئة وسبعة وعشرين بيتا ، تحتوي على مئة وتسعة وعشرين لونا من ألوان البديع ومطلعها :

في حسنِ مطلعِ أقمارٍ بذي سَلمِ
أصبحتُ في زمرةِ العشاقِ كالعلمِ

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٤ .
(٢) البيان والبديع لاحمد مطلوب ص ٢١٨ .
(٣) البديعيات في الأدب العربي ص ١٠٣ .

ومن أبياتها :

أَعْظِمْ بِهِ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ نَزَلَتْ
فِي مَدْحِهِ مُحْكَمُ الآيَاتِ مِنْ حِكَمِ

ولها بديعية أخرى سمتها "الفتح المبين فى مدح خير الأميين" ومطلعها :

عَنْ مُبْتَدَا خَيْرِ الجَرْعَاءِ مِنْ إِضَمِ
حَدِّثْ وَلَا تَنْسَ ذِكْرَ البَانِ وَالعَلَمِ (١)

وقد بلغ عدد أبياتها مائة وأربعة وأربعين بيتا ، احتوت على مئة وأربعة وأربعين نوعا بديعيا من أبياتها قولها فى حسن التخلص :

وَكَيْفَ أَسْلُو وَحُسْنَى الحُبِّ قَدْ ضَمِنَتْ
"حُسْنَ التَّخَلُّصِ" بِالمُخْتَارِ فِي القِدَمِ

وقولها :

رَاعِي النَّظِيرَ مُحَيَّا الشَّمْسِ حِينَ بَدَا
وَالبَدْرُ حَاكِي وَلَكِنْ بَعْضَ حُسْنِهِمِ

ونسجتها "على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعى تمسكا بطلاقة الألفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها واعتمدت على ابن حجة كثيرا" (٢) .

ثم بديعية عبد الله الزفتاوى المتوفى سنة ١٠٥٩هـ ومطلعها :

لَدَيَّ فِي مَدْحِ أَهْلِ الحَيِّ مِنْ إِضَمِ
بَرَاعَةٌ تُوجِبُ اسْتِهْلَالَهَا بِفَمِي

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .
(٢) فنون بلاغية ، البيان والبديع لأحمد مطلوب ص ٢١٩ .

وقد بلغ عدد أبياتها مائة وواحدا وثلاثين بيتا تحتوى على مئة وخمسة وثلاثين نوعا بديعيا .(١)

ومن أبياتها فى التشطير :

مِن كل مقتدرٍ لِلحرب مُبتدِرٍ
فى اللهِ مُعتصِم "تشطير" مدحِهم

وفى حسن ختامها :

صلى وسلم تضعيفا عليك رضى
رب العلا يا "خِتام" الرسلِ كلهِم

ولعبد الوهاب بن العرضى المتوفى سنة ١٠٧١هـ بديعية ومطلعها :

بَراعتى فى ابتِدا مدحِى لِذى سلم
قدِ استهلت بِدمعٍ فاض كالعلم

وبلغ مجموع أبياتها مائة وواحدا وخمسين بيتا وفيها مئة وخمسة وخمسون نوعا بديعيا .

ومما جاء فيها "الجمع مع التفريق" قوله :

كالبدرِ وجْها وقلبا فِى الجَمالِ وفى
شق يشير إلى تفريق جمعهِم (٢)

وورد فى حسن ختامها قوله :

بدأت فِيهِ وفِى أوطانِهِ مدحا
أرجو بِمِسكِ خِتامِى "حسن مختتمِى"

وقد شرحها أبو الوفاء شرحا جيدا سماه "فتح البديع فى حل الطراز البديع فى امتداح الشفيع" .

---

(١) انظر البديعيات ص ١١٦-١١٧ .
(٢) انظر البديعيات ص ١١٧ .

وألف عبد الغنى النابلسى المتوفى سنة ١١٤٣هـ/١٧٣١م بديعيتين وقد التزم فى احداهما تسمية النوع لم يلزمه فى الثانية وابتدأ الأولى التى سماها "نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار" بقوله :

يامنزلَ الركب بينَ البانِ والعلم
من سفح كاظمةَ حييتَ بالديم

وهذه لم يلتزم فيها بتسمية النوع البديعى ضمن أبياتها واعتذر لذلك بقوله : "لأن ذلك انما يكسب تنافر الكلمات ، وغرابة المبانى وقلالة المعانى ، وليت شعرى مع التصرف فى اسم ذلك النوع ضرورة نظمه بين كلمات البيت يظهر لمن لم يعرفه أن اسمه كذا مالم يكن فهمه باسمه ورسمه ، وبعد ذلك الى تسميته بالكلية ، ولو أعجبنى هذا الصنيع لكنت نسيم رياضه الماما ..." (١) .

ومما جاء فى حسن ختامها قوله :

هذا مديحى فإن نِلتُ القبولَ به
سَعِدتُ أولا فحسبى موقفُ التهم

وأما الثانية التى التزم فيها بتسمية النوع البديعى فمطلعها :

ياحسن مطلعِ من أهوى بذى سلم
براعة الشوقِ فى استهلالِها ألمي

(١) البديعيات ص ١٢٧ نقلا عن كتاب نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، عبد الغنى النابلسى .

وقد شرحها على بن حسن بن بدر الدين شرحا مطولا أطلق عليه اسم "حسن المنيع فى شرح مليح البديع" (١) .

ولابراهيم خيكى الحلبى بديعية نظمها سنة ١٧٣٣م وهى فى مدح عيسى عليه السلام وتعد أولى بديعية نظمها نصرانى ، ومطلعها :

بَراعتى فى امتداحِي مَنهلِ النِعَمِ
قدِ استهلتْ بديعِ النظمِ كالعَلَمِ

وقد وصل عدد أبياتها مائة وخمسين بيتا تحتوى على مئة وخمسين فنا بديعيا التزم فيها ناظمها التورية باسم النوع البديعى داخل البيت .

ثم تلاه القاسم بن محمد البكرجى الحلبى المتوفى سنة ١١٦٩هـ وألف بديعية أطلق عليها "العقد البديع فى مدح الشفيع" مطلعها :

من حسنِ مطلعِ أهلِ البانِ والعلمِ     براعتى مستهل دمعها بِدمِ

وقد بلغ مجموع أبياتها مائة وأربعة وخمسين بيتا ، واحتوت على مئة وتسعة وخمسين لونا بديعيا وقد "أخل فيها بأربعة أنواع بديعية ثلاثة اتفق فيها مع ابن حجة وهى الموازنة ، التوزيع ، الاستعانة ، والرابع تشبيه شيئين بشيئين" (٢) .

ولعلى بن محمد بن تاج الدين بن عبد المحسن القلعى المتوفى سنة ١١٧٢هـ بديعية أسماها "مفتاح الفرج فى مدح عالى الدرج" ومطلعها :

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨ .
(٢) البديعيات ص ١٣٤ .

براعة المطلع ازدانت من الحكم
وأقبلت تستهل الجود من كرمي

وقد جاءت فى مئة وأربعة وثلاثين بيتا ، تحتوى على مئة وخمسة وثلاثين نوعا بديعيا ، وقد شرحها وسمى هذا الشرح "تاج البديع والبلج على مفتاح الفرج فى مدح عالى الدرج" (١) .

وبعد ، فقد بلغ عدد البديعيات ثلاثا وتسعين بديعية حسب ماذكر صاحب البديعيات وهذه الكثرة تدل على اهتمام بالغ وعظيم بفنون البديع فى العصور المتأخرة واذا دعا هذا الاسراف فى الصنعة والتفنن فيها انتقاد الدارسين لها وتصويرها بغير حقيقتها ، فان الجهد المبذول فيها عظيم يدل على ماكان يتمتع به أولئك الشعراء من صبر على النظم واطلاع على اللغة وقدرة فى معالجة الفنون والتورية عنها ، وهى بحق تمثل اتجاها جديدا فى تأريخ البلاغة العربية ، بحيث تختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التى سيطرت على الدرس البلاغى بعد القرن السابع ؛ وتوضح أيضا حياة الأدب فى تلك الفترة التى مال فيها الشعراء الى العناية بصور البديع ، وكانت أيضا تطبيقا لذلك الأدب وماحفل به من فنون بديعية لج بها الشعراء المولدون وأحصى ابن المعتز ثمانية عشر نوعا وترك الباب مفتوحا لمن أراد أن يضيف شيئا من هذه المحاسن أو غيرها الى البديع فليقل فأضاف الناس المحاسن الى البديع وفرعوا من الجميع أبوابا أخر ، حتى أوصلها ابن منقذ خمسة وتسعين نوعا ، فالبديعيات كأنها كانت استجابة

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٨ .

لتلك الدعوة ، وهى بهذا تمثل الرجوع الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة والعسكرى وابن رشيق وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع فى المحسنات ، يضاف اليها أن العصر الذى عاش فيه أصحاب البديعيات كان يهتم بنظم علوم اللغة تقريبا لها وضبطا لقواعدها ، وقد رأى البديعيون أن الأمر كذلك للبلاغة ينبغى أن تقيد ليسهل حفظها ويعم نفعها وقاموا بذلك خير قيام مع مافى النظم من تكلف واعتساف (١) .

وهذا – يعنى – أن البديعيات نوع من التأليف فى علم البديع والنظم ، فيه غاية علمية كالتى نجدها فى ألفية ابن مالك فى النحو العربى، غير أن شعر البديعيات مملوك بعاطفة الشاعر المشبوبة والأحاسيس المرهفة والغنائية والايقاع المطرب ، متجاهلين بذلك الخيط التأليفى الذى ينتظم كل بيت فيها ، لأن الشعر شعور وليس قضايا علمية وقواعد جافة ، وكما يقول صاحب الصبغ البديعى "البديعيات منذ ولدت ، الى أن قضت مناعة من العبث أضعفت الشعر وهدت من قوته ، وأزرت من مكانته وأوردته موارد التكلف والتعلل الثقيل" (٢) .

والذى أراه خلاف ذلك لأن البديعيات لم تكن شعر العصر كله ، ولم يقتصر الشعراء عليها ، ولم يسلك سبيلها الا من ملك ناصية التأليف وزمام القوافى وقليل ماهم ، ثم ان عدد البديعيات لايبلغ المئة على مدى سبعة قرون ليست بالعجاف من الناحية الشعرية جاء خلالها بضع وتسعون قصيدة لبضعة

---

(١) انظر فنون بلاغية لأحمد مطلوب ص ٢٢١ .
(٢) الصبغ البديعى ص ٣٧٢ .

وثمانين شاعرا لم تعرف كلها ، كما يقول صاحب البديعيات [1] .

وهذا لايعني أن البديعيات لم تخل من العبث ولم تضعف الشعر ولم تؤد به الى موارد التكلف ، والتعسف الثقيل المستهجن ، فقد وجد بها الاستهجان ، والطريف أيضا ، والا أى عبقرية وأى ابداع فى قول ابن حجة حين أدخل مصطلحات البديع فى الشعر وأجراها مجارى الغزل وهو كلام وخم جدا .

من محياه والدلال ومسك الخال والثغر ياشيوخ البديع
انظروا فى التكميل واللف والنشر وحسن الختام والترصيع

ثم ان انتشار البديع فى تلك القرون المتأخرة كان صورة من ظاهرة عامة فان هذه القرون قد عرفت أنواعا من الزخرف والزينة والمبالغة فى المظاهر العامة فى كل شىء ، فى العمارة وفى اللباس وفى الفرش ومختلف أنواع الزينة وكان لابد وأن يتجه الكلام عن الشعر فى هذا الطريق العام ويأخذ بنصيب وافر من هذه الظاهرة التى شاعت فى ذلك العصر الذى كان "محاولات لارضاء حاسة البصر بالألوان البراقة والتناسق الهندسى والخطوط الرشيقة ، وهو فى الأدب ميل الى ارضاء حاسة السمع باستعمال الجناس والسجع وضروب الحلى اللفظية كما يتمثل فى الأوزان المختلفة المبتدعة ، وانفصال الحوادث وعدم ارتباطها فى نسق ، وهو ظاهر فى الأدب فى انفصال الأبيات وعدم الارتباط بين فنون البديع ، والتقسيم الهندسى ويظهر فى الفن فى الأشكال الهندسية التى شاعت فى الزخرفة .. وهو فى البديع واضح فى كثير من أبوابه . كذلك كان يهتم كثيرا بالمظهر الخارجى أكثر من الفكرة وهو واضح

---

(١) انظر البديعيات ص ٥٠ .
(٢) خزانة الأدب ص ٢٢٤ .

في الزخرفة كما كان الشأن في البديع" . (١)

ثم ان العاطفة الصادقة والمعاني الجزلة القوية تغني الشاعر أو الكاتب عن البحث عما يكسب كتاباته رونقا وحسنا فتأتي فيها المحسنات المعنوية واللفظية بشكل أقل .

ولعل الناظر في شعر الطبقة القارئة وشعر أهل البادية واجد اختلافا بينا من حيث استعمال كل منها لهذه الفنون .

والملاحظ أن قضية الانتشار هذه هي التي سببت عملية التشعيب ، والاختلاف حولها واختلاف العلماء حول تسمية النوع الواحد بأسماء مختلفة وهو ماسنكشف عنه في الفصل التالي .

---

(١) ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد والبلاغة ، للدكتور محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ط/الثانية ص ١٩-٢٠ .

## الفصل الثاني

# تشعيب فنون البديع والاختلاف حولها

قلت ان ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ أول من ألف كتابا بعنوان "البديع" وهو أول مؤلف علمي يخلص للبلاغة العربية ، حيث أنه لم يتعد فنون البلاغة العربية ولم يجاوز دائرتها الى فنون أخرى .

ووضحت أنه خص هذا المصطلح "البديع" بفنون خمسة هي : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد اعجاز الكلام على ماتقدمها ، والمذهب الكلامي ، ثم ذكر ثلاثة عشر فنا أطلق عليها محاسن الكلام وقال بعد بيانها : "ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لاينبغي للعالم أن يدعي الاحاطة بها وأحببنا أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارا من غير جهل بمحاسن الكلام ولاضيق في المعرفة فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها الى البديع .. فله اختياره " (١) .

وبينت أن لهذه الكلمة التي ترك الخيار لمن أحب أن يضيف الى الفنون التي ذكرها ابن المعتز مدى واسعا فتسابق من جاء بعده الى اضافة عدد كثير من هذه الفنون الى ماوضعه

---

(١) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .

ابن المعتز حتى أصبحت عبئا ثقيلا فيما بعد ، ولم تعد أقوى ذاكرة على مجرد عدها اضافة الى التفريعات التى تتعلق بكل فن منها .

وجاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧هـ صاحب كتاب "نقد الشعر" الذى أورد فيه ألوانا كثيرة من ألوان البديع اتفق مع ابن المعتز فى سبعة منها وهى : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، والالتفات ، والاعتراض وان كان قدامة يسميه التتميم والافراط فى الصفة والذى يطلق عليه قدامة الغلو والمبالغة ، والتشبيه .

وانفرد قدامة بالباقى وهى "صحة الأقسام ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة ، والاشارة ، والارداف ، والتمثيل ، وائتلاف اللفظ مع الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن ، وقد جعل المتأخرون البابين الأخيرين بابا واحدا وسموه "التنكيت" وائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت ، وقد سماه من بعده التمكين ، والتوشيح والايغال ، واعتدال الوزن ، واشتقاق لفظ من لفظ وتلخيص الأوصاف ، والتوازى ، والمضارعة ، وعكس اللفظ أو عكس مانظم من بناء واتساق البناء والسجع" (١) .

والملاحظ عند قدامة أنه يتجنب مصطلحات ابن المعتز قدر الامكان ، وابدالها بمصطلحات أخرى وان كان التوفيق حليفه فى بعض الأحيان كاطلاقه الغلو والمبالغة على فن الافراط فى الصفة "وأكثر الناس على تسمية قدامة لأنها أخف وأعرف" (٢) .

---

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبى للدكتور بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص ٣٩٥ .

(٢) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٥٤ .

الا أنه لجأ في أحيان كثيرة أخرى الى بعض التأويلات التي لاجدوى من ورائها ذلك مابينه الآمدى حول لقب المطابق الذى أعطى أحقية المصطلح لابن المعتز حيث يقول : "وهذا باب أعني المطابق لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتابه المؤلف في "نقد الشعر" المتكافىء وسمى ذلك ضربا من التجانس "المطابق" وهو أن تأتى بالكلمة مثل الكلمة سواء في تأليفها واتفاق حروفها وأن يكون معناها مختلفا عن الآخر . وماعلمت أن أحدا فعل هذا غير أبى الفرج ، فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته بمعنى الملقبات وكانت الألقاب غير محظورة ، فانى لم أكن أحب أن يخالف من تقدمه مثل أبى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ، ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها اذ قد سبقوا الى التلقيب وكفوه المؤونة " . (١)

وقد تعرض السجلماني (٢) من علماء القرن الثامن صاحب كتاب "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع" الى مناسبة هذا الضرب جناس أو تجنيس فيقول عن صاحب الأغاني "أبو الفرج على بن الحسين القرشي قال : قلت لعلى بن سليمان الأخفش وأعلم من شاهدته بالشعر : طائفة وهم الأكثرون – تزعم أن الطباق ذكر الشيء وضده ، وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين في اللفظ الواحد فقال : من الذى يقول هذا ؟ قلت قدامة وغيره قال : هذا يابنى التجنيس ، ومن ادعى أنه طباق فقد أتى خلافا على الخليل والأصمعى ، قلت : أفكانا يعرفان هذا ؟ فقال سبحان

---

(١) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى للآمدى ص ٢٧٥ .
(٢) لم أعثر له على ترجمة .

الله وهل غيرهما فى علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه ، قلت فأنشدنى أحسن طباق للعرب ، فقال : قول عبد الله بن الزبير الأسدى :

فَرَدَّ شعورهن السود بيضا
وَرَدَّ وجوههن البيض سودا

قال السجلمانى :"والنظر العدل المنزل للأشياء منازلها والموفيها حقوقها ، موجب ألا يشاح فى التعبير عن الأسامى أصلا ولابوجه من الوجوه مع قيام المعانى وتصور جوهرها وطبائعها فقد جرت العادة فى الصناعة النظرية : الوصية للناظر وتحذيره أن يلهج بالألفاظ ويقف تصوره عليها ويجعلها نفس الأمر المنظور فيه ، فهو الضلال البعيد وان يتقدم قبل فيمعن الفحص عن المعانى ، ويبالغ ويستفرغ الوسع فى البحث والتنقيب عن اثباتها وجوهرياتها وطبائعها" (١) .

ثم يتكلم عن أحقية الرأيين بالمصطلح فيقول : "وننظر فى هذين الرأيين أيهما هو الحق فنقول : انه ان كان وضع الشيئين المنافرين فى القول وتركيب القول من متضادين أمرا موجود الآنية وكان كذلك أيضا اشتراك المعنيين فى اللفظ الواحد بعينه وهو اللفظ المشترك ، فلاحجر ولانكير فى تلقيب المعنى الأول أو المعنى الثانى باسم المطابقة والطباق على جهة نقل الاسم من الأوضاع الجمهورية الى المعانى الصناعية اذا تحفظ بشريطة النقل على الأمر الواجب ولافى اختراع الاسم

---

(١) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع لأبى محمد القاسم السجلمانى الأنصارى ، تحقيق علال الغازى ، مكتبة المعارف ، المغرب ص ٣٧٢ .

لهما ، لكن اذا كانت الشريطة فى النقل كما قد قيل – هى أن يكون المعنى المناعى المنقول اليه الاسم مشابها للمعنى الجمهورى المنقول عنه الاسم ، أو متعلقا به بوجه ما آخر من وجوه التعلق .. وكان اسم الطباق اسما منقولا الى علم البيان عن طريق المشابهة وهو الطريق الأعم فى طرق النقل . وتقرر أنه فى الوضع الأصيل الأفصح عن أصحاب اللسان العربى . وكان المعنى الأول أعنى تركيب القول من أمرين متضادين كذلك فأصحاب الرأى الأول أولى بقصب السبق وسهام الفلج ، وذلك لتوفر شريطة النقل فى الاسم لوجود الشبه وتمام النسبة بين المعنى الجمهورى المنقول عنه الاسم والمعنى المناعى المنقول اليه الاسم ، وذلك من البين بنفسه ، وليس لقائل أن يقول : ان اسم المطابقة والطباق وهو بمعنى الموافقة ، فيسوغ نقله بهذه الجهة الى مايراه الفريق الآخر لأنه قد تقرر أنه ليس موضوع اللغة الأصيل ، وانما هو مولد لهج به قوم من الكتاب وناس من العلماء ، اما لعدم البصر بلغة العرب واما للتساهل وترك التحقيق فى استعمال هذه الأمور لاستمرار الاستعمال فيه كذلك بهذه الجهة وهو غلط ولحن غير مأبوه له وان نكير قدامة هذا المعنى وتلقيبه بهذا اللقب معا أو اللقب فقط ، محض التنكب عن النظر والتحقيق" (١) .

وقد تعرض ابن يعقوب الى مناسبة هذا الضرب من الكلام مطابقة أو طباقا ، وذكر أن ذلك راجع الى أن المتكلم عندما يجمع بين معنيين بينهما قدر من التنافى فى تركيب واحد أو

---

(١) المنزع البديع للسجلماسى ص ٣٧٣-٣٧٤ .

فى كلام فكأنه جمعها على حذو واحد على حد مابين أبو سعيد فيما أخذ عن ابن المعتز .(١)

والطباق سماه قدامة التكافؤ ، وعرفه بقوله : "ومن نعوت المعانى التكافؤ وهو أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه أو يتكلم فيه بمعنى ما ، أى معنى كان فيأتى بمعنيين متكافئين والذى أريد بقولى "متكافئين" فى هذا الموضع ، متفاوتان اما من جهة المضادة أو السلب والايجاب أو غيرهما من أقسام التقابل ، مثل قول أبى الشغب العبسى :

حُلْوُ الشمائلِ وهو مُرٌّ باسلٌ

يَحمي الذِّمارَ صَبيحةَ الإرْهاقِ

فقوله "حلو" و"مر" تكافؤ" .(٢)

ولم يسمه بهذا المصطلح أعنى التكافؤ ، أحد غير قدامة والنحاس ،(٣) أما المطابق عنده فهو الجناس . يقول ابن قيم الجوزية فى كتابه "الفوائد" : "... قال ابن الأثير أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشىء وضده كالبياض والسواد ، والليل والنهار وخالفهم فى ذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظتين متساويتين فى البناء والصفة مختلفتين فى المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الأسماء لامشاحة فيها ...".(٤)

---

(١) انظر مواهب المفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب المغربى ، ط/عيسى الحلبى بمصر ٢٨٦/٤ .
(٢) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٤٨ .
(٣) العمدة لابن رشيق ٥/٢ .
(٤) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان بدون طبعة وتاريخ ص ١٤٥-١٤٦ .

ثم يقول : "وهذا النوع يسمى البديع أيضا وهو فى المعانى ضد التجنيس فى الألفاظ"(١) . وقد أحب ابن سنان تسميته بالمطابق(٢) ، وابن أبى الاصبع يسمى الطباق طباقا اذا كان بلفظ الحقيقة ، واذا كان طرفاه مجازيين ، أو كان أحد طرفيه مجازا فانه يسميه طباق التكافؤ(٣) ، والخطيب يسميه ايهام التضاد(٤) . كقول دعبل :

لاتعجبى ياسلم من رجل
ضحك المشيب برأسه فبكى

ومن الأنواع التى بحثها قدامة وتنوعت أسماؤها فيما بعد ، التمام ، والتتميم ، فالاسم الأول للحاتمى ، والثانى لقدامة كما يقول ابن أبى الاصبع ، وعرفه قدامة بقوله : "هو أن يذكر الشاعر المعنى فلايدع من الأحوال التى تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئا الا أتى به"(٥) ثم أورد له أمثلة منها :

فسقى ديارك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهمى

فقوله غير مفسدها تتميم لجودة ماقاله لأنه لو لم يقل غير مفسدها لعيب . وقد سماه ابن المعتز بالاعتراض فى حين سماه المتأخرون التكميل والاحتراس . فالمهم ان كثرة الأسماء للاسم الواحد كلها راجعة الى شيء واحد كما يقول ابن سنان

---

(١) المثل السائر ١٧١/٣ .
(٢) سر الفصاحة لابن سنان ص ١٩٩ .
(٣) بديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٣١-٣٢ .
(٤) الايضاح فى علوم البلاغة ، تحقيق د. عبد المنعم خفاجى ص ١٥ .
(٥) نقد الشعر ص ١٤٤ .

وهذه النظرة ان دلت على شيء فانما تدل على مدى ماكان يتمتع به ابن سنان من قدرة على التذوق الأدبي والبلاغي .

وجاء العسكرى أحد علماء القرن الرابع الهجرى فأضاف على ما أورده المتقدمون ستة أنواع هى التشطير ، والمجاورة والتطريز والمضاعف ، والمشتق ، والاستشهاد ، والتلطف ، فضلا عن تسعة وعشرين لونا تناولها أيضا فى هذا الباب ، وكانت كذلك مما تناوله السابقون ، وهى :

الاستعارة والمجاز ، والتطبيق ، والتجنيس ، والمقابلة وصحة التقسيم ، صحة التفسير ، الاشارة ، الارداف والتوابع ، المماثلة ، والغلو ، والمبالغة ، الكناية والتعريض ، العكس ، التذييل ، الترصيع ، والايغال ، والتوشيح ، ورد الاعجاز على الصدور ، والتتميم ، والتكميل - الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، تجاهل العارف ، الاستطراد ، جمع المؤتلف والمختلف ، السلب والايجاب ، والاستثناء ، والمذهب الكلامى ، والتلطف ، وقال : "وأهل الصنعة يسمون النوع الذى سماه قدامة المطابقة "التعطف" (١) " فأتبعهم أبو هلال على هذه التسمية "ناسيا أن هذا النوع قد أدرجه تحت الجناس متابعا ابن المعتز فى هذا ، ولقد التبس على أبى هلال فظنه نوعا على انفراد وهو من الجناس" (٢) كما يقول صاحب الصبغ البديعى .

ومن الأنواع التى سلمت له المجاورة وقد عرفه بقوله (٣) :

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٣٣٩ .
(٢) الصبغ البديعى ، دكتور أحمد موسى ص ١٧٣ .
(٣) الصناعتين ص ٤٦٦ .

"هو تردد لفظتين فى البيت ووقوع كل واحدة منهما بجنب الأخرى أو قريبا منها من غير أن تكون احداهما لغوا لايحتاج اليها كقول علقمة :

وَمُطْعِمُ الغُنْمِ يَوْمَ الغُنْمِ مُطْعَمُهُ
أَنَّى تَوَجَّهَ وَالمَحْرُومُ مَحْرُومُ (١)

فقوله الغنم يوم الغنم مجاورة ، والمحروم محروم ، كذلك مجاورة وقد سمى هذا النوع فيما بعد بالترديد" . (٢)

ومن الأنواع التى سلمت للعسكرى "الاستشهاد والاحتجاج" وعرفه بقوله : "هو أن تأتى بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته" . (٣)

ومن أمثلته :

فَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً
فَإِنَّ الخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

ومن الأنواع التى سلمت له أيضا المشتق وقد جعله على وجهين ، الوجه الأول : أن يشتق اللفظ من اللفظ ، والثانى أن يشتق المعنى من اللفظ وهذا النوع الأخير عرف عند المتأخرين باسم تجنيس الاشارة (٤) وجعله نوعا من أنواع التجنيس ومن أمثلته قول أبى العتاهية :

حُلِقَتْ لِحْيَةُ مُوسَى بِاسْمِهِ
وَبِهَارُونَ إِذَا مَاقُلِبَا

أما عن مصطلح التشطير الذى ذكر العسكرى أنه من اكتشافه ، والحق قد سبقه اليه ثعلب "فى قواعد الشعر وسماه

---

(١) ديوانه ص ٦٦ .
(٢) العمدة لابن رشيق ١/٣٣٣ .
(٣) الصناعتين للعسكرى ص ٤٧٠-٤٧١ .
(٤) المطول على التلخيص ص ٤٤٩ .

المعدل ، ووضعه قسما من أقسام الشعر وعرفه بقوله : "الأبيات المعدلة التى يستغنى كل شطر فيها بنفسه" أما أبو هلال فيقول عن التشطير : "هو أن يتوازن المصرعان والجزءان وتتعادل أقسامهما مع قيام كل واحد بنفسه واستغنائه عن صاحبه" .(١)

وخلف العسكرى ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٦٥هـ فعد فى كتابه العمدة سبعة وثلاثين نوعا منها تسعة أنواع لم يرد لها ذكر عند رجال البلاغة المتقدمين عليه وهى التورية وتسمى أيضا الايهام والتوجيه والتخييل والمغالطة ،ويرى ابن حجة الحموى أن "التورية أولى بالتسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنها مصدر رويت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لايظهر" .(٢)

والتفريع ، والاستدعاء ، والتكرار ، ونفى الشىء بايجابه ، والاطراد ، والاشتراك والتغاير .(٣)

ونلاحظ من خلال عرضه لضروب البديع الكثيرة وأنواعه تغييرا لبعض مصطلحات البديع كأن يطلق على رد الاعجاز على الصدور اسم التصدير ، وعلى تجاهل العارف التشكيك ، وهو ماعرف عند السكاكى ب "سوق المعلوم مساق غيره" أو يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم "الاستثناء مقتديا فى ذلك بأبى هلال العسكرى(٤) وقد سماه العلوى أى الاستثناء التوجيه ، أو يجمع ألوانا كثيرة تحت اسم واحد كما فعل تحت ماأسماه

---

(١) الصبغ البديعى ، د. أحمد موسى ص ١٧٣ .
(٢) خزانة الأدب لابن حجة ص ٢٣٩ .
(٣) علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ص ٢٥ .
(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز للعلوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٦/٣ .

الاشارة حيث يظهر من عبائتها الايماء والتعريض ، والتورية والكناية ، والتتبع وهو ليس فى حقيقته الا كناية ومن ثم يتضح ذلك من خلال الأمثلة التى استشهد بها ومنها قول امرىء القيس وهو من شواهد الكناية :

وتُضحِي فَتِيتُ المِسكِ فَوقَ فِراشِهَا
نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (١)

وهكذا عمد ابن رشيق الى ضم الأشباه الى الأشباه كما رأينا حين جعل الكناية واللغز والتورية من أقسام الاشارة والترصيع من التقسيم .

ومناقشته أيضا للفرق بين الألوان المتقاربة كصنيعه حين فرق بين الاستطراد والالتفات وبين أنه الاعتراض ، وسماه قوم الاستدراك حكاه قدامة ثم أبان "منزلة الالتفات فى وسط البيت كمنزلة الاستطراد فى آخر البيت وان كان ضده فى التحصيل لأن الالتفات تأتى به عفوا وانتهازا ولم يكن لك فى خلد فتقطع له كلامك ثم تصله بعد ان شئت والاستطراد تقصده فى نفسك وأنت تحيد عنه فى لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه القاء وتعود الى ماكنت فيه " (٢) .

وكما فرق بين الايغال والتتميم حيث قال : "وليس بين الايغال والتتميم كبير فرق الا أن هذا فى القافية لايعدوها وذلك فى حشو البيت" (٣) . وهذاكلام جيد ، وكما نلحظ اتمامه لبعض الألوان التى لاتمت بصلة الى البديع مثل باب الحشو

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٧ .
(٢) الصبغ البديعى ص ١٩٤ .
(٣) العمدة ص ٥٤ .

وفضول الكلام ويعرفه بقوله : "أن يكون داخل البيت فى الشعر لفظ لايفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن وباب الاستدعاء ومفهومه عنده ألايكون للقافية فائدة الا كونها قافية فقط" (١) وهو كما نرى بعيد كل البعد عن دائرة البلاغة العربية .

ومن الأنواع التى ذكرها ابن رشيق فن التسهيم وهو فن كثر الخلاف حول تسميته لدى البلاغيين فبعضهم سماه التوشيح ، وفضل أبو هلال أن يسمى هذا النوع "التبيين" وقال فى تعريفه "سمى هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ولو سمى تبيينا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبىء عن مقطعه وأوله يخبر بآخره وصدره يشهد بعجزه حتى لو سمعت شعرا أو عرفت رواية ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع اليه ، وخير الشعر ماتسابق صدوره اعجازه ومعانيه ألفاظه" (٢) .

أما ابن الاثير فيرى أن تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به . أما التوشيح فنوع آخر من علم البيان (٣) ، وسماه أبو هلال تبيينا ولكنه جارى السابقين وسماه توشيحا كقدامة بن جعفر الذى عده من نعت ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت وقال عنه : "هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى إنّ الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها اذا سمع أول البيت عرف آخره

---

(١) المرجع السابق ص ٦٩ .
(٢) الصناعتين ص ٤٢٥ .
(٣) المثل السائر ٢٤٦/٣ .

وبانت له قافيته " .(١)

وذكر ابن رشيق تسمية قدامة وان سماه تسهيما كما سماه علي بن هارون المنجم وسماه ابن وكيع "المطمع"(٢) وذكر ابن سنان أن بعضهم يسميه توشيحا وبعضهم يسميه تسهيما .(٣)

وأما ابن حجة فقد عقد فصلين لكل منهما ، فعرف التوشيح بقوله : "اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ، ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح وينزل أول الكلام وآخره ، منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح"(٤) . وعرف التسهيم بقوله : "وتعريفه أن يتقدم من الكلام مايدل على مايتأخر تارة المعنى وتارة اللفظ كأبيات أخت عمرو ذي كلب ، فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها : "فأقم ياعمرو لو نبهاكْ" يقتضي أن يكون تمامه : "اذا نبها منك داء عضالا" دون غيره من القوافي لأنه لو قال مكان "داء عضالا" : "ليثا غضوبا" أو "أفعى قتولا" أو ماناسب ذلك لكان "الداء العضال" أبلغ اذ كل منهما ممكن مغالبته والتوقي منه والداء العضال لادواء له وهذا مما يعرف بالمعنى .

وأما مايدل على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده :

إذا نَبَّهَا لَيْثَ عِرِّيسَةٍ
مُقِيتًا مُقِيدًا نُفُوسًا ومَالا

---

(١) نقد الشعر ص ١٦٧ .
(٢) العمدة ٣١/٢ .
(٣) سر الفصاحة ص ١٦٠ .
(٤) خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ١٠٠ .

وخَرقٍ تجاوزت مجهوله      بوجناء حرف تشكى الكِلالا

فكنت النهار به شمسه .

يقتضى أن يتلوه : وكنت دجا الليل فيه الهلالا

ومنه قول البحترى :

أحلت دَمى مِن غيرِ جرمٍ وحرمت
بِلاسببٍ يومَ اللقاءِ كلامى (١)

فليس الذى قد حللت بمحلل .

ومن هنا يعرف المتأدب أن تمامه :

وليس الذى قد حرمت بحرام" (٢) .

ومن الذين عاصروا ابن رشيق ابن سنان الخفاجى أحد علماء البلاغة المشهود لهم بالتأثير الواضح فى تطور الفكر البلاغى والنقدى عند العرب ، وهذا التأثير يتضح من خلال رفضه لبعض الألوان التى ذكرها بعض من سبقه ، فهو مثلا يرفض أن يكون حسن الترديد مما له علاقة بالنقد ، وهو "أن يعلق الشاعر لفظة فى البيت ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير :

مَن يلقَ يوماً على عِلاته هرِماً
يلقَ السماحة مِنه والندى خُلقاً (٣)

وهذا عندى لاتعلق له بالنقد ، لأن التأليف فى هذا الترديد كسائر التأليف فى الألفاظ التى لاتستحق به حمدا ولاذما ولايكسبها حسنا ولاقبحا" (٤) .

ومن آرائه القيمة كذلك رفضه صنيع بعض العلماء حين

---

(١) ديوان البحترى ٣/٢٠٠٠ .
(٢) خزانة الأدب ص ٣٧٤ .
(٣) ديوان زهير ص ٧٦ .
(٤) سر الفصاحة لابن سنان ص ٢٨٤-٢٨٥ .

"جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء ، كالترصيع الذى يسمونه ترصيعا وموازنة وتسميطا وتسجيعا وهذا كله يرجع الى شىء واحد" (١).

ويبدو أن قضية التزايد الكمى لفنون البديع من لدن ابن المعتز الذى ذكر فى كتابه سبعة عشر فنا الى أن بلغت سبعة وثلاثين نوعا عن العسكرى فى المناعتين وابن رشيق فى العمدة هذه القضية التى أدت الى تشعيب هذه المصطلحات هى التى جعلت ابن سنان المتوفى سنة ٤٦٦هـ يضج من هذه الظاهرة .

أما الألوان التى تناولها فالملاحظ عليها أنه مسبوق بها ولم يسلم له الا حديثه عما أسماه "الاستدلال بالتعليل" والمشاهد من الأمثلة التى ساقها أنه يخلط بين ماعرف فيما بعد بحسن التعليل وماعرف من قبل بالمذهب الكلامى . ومن الأمثلة التى ساقها :

ولَوْ لَمْ تكنْ ساخِطاً لَمْ أكنْ
أذمُّ الزَّمانَ وأشكو الخُطوبا

وهذا كما هو معروف من أمثلة حسن التعليل ولكنه يسوق أمثلة أخرى هى فى عداد المذهب الكلامى جعلها تحت "الاستدلال بالتعليل" كقوله تعالى : {لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا} (٢) وهو كما نعرف داخل فى المذهب الكلامى .

ولعل وقوف ابن سنان عند ماذكره السابقون لأنه يرفض الاتجاه الجديد فى انتشار البديع وتسمية النوع بأسماء

---

(١) نفس المصدر ص ٢٨٥ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٢

كثيرة لاتضيف للمعنى القديم جديدا ، وقد وضح هذا فى نقده لهؤلاء المسرفين فى الألقاب .

وهذا النوع أى المذهب الكلامى ، نسبه ابن المعتز الى التكلف وقد تحدث العسكرى فى كتابه "الصناعتين" عن وضوح الدلالة وقرع الحجة ،وهو مايدخل فى هذا الباب كقوله تعالى {وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} (١) "فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على اعادة الخلق مستغنية بنفسها عن الزيادة ، لأن الاعادة ليست بأصعب فى العقول من الابتداء ثم قال تعالى : {الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نار فاذا أنتم منه توقدون} (٢) فزادها شرحا وقوة لأن من يخرج النار من أجزاء الماء وهما ضدان ليس بمنكر عليه أن يعيد ماأفناه . ثم قال تعالى : {أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم} فقواها أيضا وزاد فى شرحها وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد لأن اعادة الخلق ليست بأصعب فى العقول من خلق السموات والأرضين ابتداء" (٣) .

وقد قال عنه ابن رشيق أنه "مذهب كلامى فلسفى" (٤) ولذلك سماه بعضهم "الاحتجاج النظرى" (٥) وسماه الزركشى "الجام الخصم بالحجة" وقال عنه : "هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ، والعجب من ابن المعتز

---

(١) سورة يس : ٧٨-٧٩
(٢) سورة يس : ٨٠-٨١
(٣) الصناعتين ص ٢٧ .
(٤) العمدة ٢/٨٠ .
(٥) الفوائد ص ١٣٦ .

فى بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع فى القرآن وهو من أساليبه " .(١)

وقد عده القزوينى ، وشراحه فى المحسنات المعنوية وعرفه بقوله : "هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريقة أهل الكلام " .(٢)

وخالفهم السبكى حيث جعله من علم المعانى لأنه تطبيق على مقتضى الحال ولذلك كان من علم المعانى .

والمذهب الكلامى سمى بذلك لأنه "يسلك فيه مذهب أهل الكلام فى استدلالهم على ابطال حجج خصومهم . والمراد بأهل الكلام علماء أصول الدين وسموا بذلك لأنهم أول من تكلم فى كلام الله تعالى" .(٣)

وقال عنه ابن أبى الاصبع : "المذهب الكلامى عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه ، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذى هو عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية ، وهو الذى نسبت تسميته للجاحظ وزعم ابن المعتز أنه لايوجد فى الكتاب العزيز وهو محشو منه " .(٤)

ومن أمثلة هذا النوع فى كلام العرب قول النابغة :

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط/الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ٤٦٨/٣ .

(٢) الايضاح ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ص ٦٥ ، شروح التلخيص ٣٦٨/٤ .

(٣) عروس الأفراح للسبكى ٣٧٢/٤ .

(٤) جوهر الكنز لأحمد بن اسماعيل بن الاثير الحلبى ، تحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف بالاسكندرية ١٩٨٠م ص ٣٠٢ .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كان مابلغت عني خيانة
لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت إمرءا لي جانب
من الناس فيه مستزاد ومذهب
ملوك واخوان إذا مامدحتهم
أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم
فلم ترهم في مثل ذلك أذنبو (١)

فالملاحظ أن الاحتجاج في هذه الأبيات شديد التشابك وان كان كثير الجمل ، فقد وضعت في الكلام وضعا واحدا ، على الرغم من تعدد علاقاتها حتى أصبح التشابك واضحا .

ولو تأملت فيها لوجدت أن الجملة الثانية فلم أترك لنفسك ريبة معطوفة على الأولى بالفاء "حلفت" . "وهذه الفاء موقعها حسن لأنها أفادت أن هذا الحلف من شأنه ألايترك لنفسه ريبة وان اقتلاع الريبة ينبغي أن يكون مترتبا على الحلف بلاريث وقال "فلم أترك لنفسك" ولم يقل : "فلم أترك في نفسك" لأن مراده أنه أذهب عن نفسه مظنة التهمة فاذا بقيت الريبة في النفس فهذا شيء لاحول له فيه . والجملة الثالثة دلت على أنه أفرغ جهده في مرضاته ،وهي من الكلمات السائرة لوجازتها وسداد معناها ، وقد جاء على طريقة التعميم ، فلم يقل : وليس وراء الله لي مذهب ، وانما جعلها مطلقة وهذا أبلغ في الاحتجاج .

---

(١) ديوان النابغة ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ص ٥٥-٥٦

والبيت الثانى كأنه يقول : ان مثل هذا لاينبغى أن يكون الا على سبيل الفرض أو الندرة ، وقد اشتدت العبارة على المبلغ فهو واش وهو أغش وأكذب .

وقد انتقل الكلام فى البيت الثالث من المتكلم الى الغائب وذلك فى قوله "كنت امرءا" وفيه اشاعة الاحساس بأنه يحكى قصة رجل آخر ظلمته الوشاية مع براءة ساحته وهو رجل جواب فى الأرض له فيها جانب يروده ومذهب يذهب فيه .

ثم لهم ملوك واخوان موصوفون بهذا "اذا مامدحتهم أحكم فى أموالهم وأقرب" حيث أعطاهم حقهم فى خطابه لعدوهم لأنه وصفهم بالأريحية والسخاء وأنهم يقدرون وفادته ومديحه ، ولايعطونه الجوائز فقط وانما يحكمونه فى أموالهم ويقربونه من نفوسهم ومجالسهم .

وقد كان النابغة بارعا حين جعل مديحه لأعداء النعمان سبيلا الى مرضاته حيث نقل المدح اليه وذلك قوله : "كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم " ..".(١)

فكأنه يقول للنعمان "أنت أجسنت الى قوم فمدحوك ، كما أن قوما أحسنوا الى فمدحتهم . فكانت حجة بليغة ".(٢)

وان المذهب الكلامي وجد فى القرآن الكريم وفى كلام العرب البلغاء ، وقد بين الحموى ذلك ورفض ماذكره ابن المعتز فقال : "وقيل ان ابن المعتز قال : لاأعلم ذلك فى القرآن ، أعنى المذهب الكلامى ، وليس عدم علمه مانعا من

---

(١) دلالات التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ط/الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار التضامن ، القاهرة ص٣٦٤--٣٦٥ .

(٢) جوهر الكنز لابن الاثير الحلبى ص ٣٠٤ .

علم غيره " (١) .

ومما سبق يعتبر ابن المعتز حين عد المذهب الكلامى من الأصول محقا فى ذلك .

ومن الأنواع التى كثر الاختلاف حولها فن الاحتراس وقد عده ابن المعتز من محاسن الكلام وهو "اعتراض كلام فى كلام لم يتمم معناه ثم يعود اليه فيتممه " (٢) فى بيت واحد كقول كثير :

لَو أنَّ الباخِلينَ ـ وأنتَ مِنهم

رَأوكَ تَعَلَّمُوا مِنكَ المِطالا

واعتبره ابن رشيق "من تتميم المعنى ومبالغة فى اللفظ شديدة وقال : وهو الذى فتق للشعراء هذا الفن وتفننوا فيه ونوعوه فجاءوا بالاحتراس وغيره فقال طرفة :

فَسقَى دِيارَكَ غيرُ مُفسِدِهَا

صَوبُ الرَبيعِ ودِيمَةٌ تَهمِي" (٣)

وسماه ابن سنان "التحرز" وقال عنه : "وأما التحرز مما يوجبه الطعن كأن يأتى بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتى بما يتحرز من ذلك الطعن كقول طرفة :

فَسقَى دِيارك غيرُ مفسِدِهَا

صَوبُ الربيعِ وديمةٌ تهمى

فلو لم يقل ـ غير مفسدها ـ لظن به أنه يريد توالى المطر عليها وفى ذلك فساد للديار ومحو لرسومها " (٤) .

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ١٦٥ .
(٢) البديع لابن المعتز ص ٥٩ .
(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب : مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٦٣ ، ديوانه ص ٥٤ .
(٤) سر الفصاحة ص ٣٢٢ .

وقد سماه ابن رشيق التتميم وقال : "وهو التمام أيضا وبعضهم يسمى ضربا منه احتراسا واحتياطا وعرفه بقوله : "ومعنى التتميم أن يحاول الشاعر معنى فلايدع شيئا يتم به حسنه الا أورده وأتى به اما مبالغة واما احتياطا واحتراسا من التقصير" (١) .

فكان الاحتراس عنده ضرباً من التتميم كما هو واضح من كلامه .

ومعظم البلاغيين يسمونه الاحتراس ، وعرفوه بتعريف ابن سنان وان اختلفوا معه فى تسمية المصطلح احترازا .

وعرفه ابن منقذ بقوله : "هو أن يكون على الشاعر طعن فيحترس منه" (٢) .

وقال ابن أبى الاصبع : "هو أن يأتى المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل فيفطن له فيأتى بما يخلصه من ذلك" (٣) .

وعرفه ابن قيم الجوزية بقوله : "وهو أن يذكر لفظا ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما فى ضمنه بما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن" (٤) .

وأدرجه ملخصو المفتاح وشراحه فى الاطناب وسموه الاطناب بالتكميل أو الاحتراس .

وعرفه القزوينى بقوله : "هو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف

---

(١) العمدة ٢/٥٠ .

(٢) البديع فى نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، د. حامد عبد المجيد ، الجمهورية العربية المتحدة ، الادارة العامة للثقافة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، بدون ص ٥٥ .

(٣) تحرير التحبير لابن أبى الاصبع ص ٢٤٥ .

(٤) الفوائد لابن الجوزية ص ١٥٢ .

المقصود بما يدفعه " .(١)

فمعظم البلاغيين قد اتفقوا على تسمية هذا النوع احتراسا ، والأمثلة التى ذكروها واحدة ، ماعدا بعضهم ، وقد فرقوا بينه وبين التكميل ، والتتميم .

يقول ابن أبى الاصبع : "ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتى التكميل بزيادة يكمل بها حسنه اما بفن زائد أو بمعنى ، والتتميم يأتى ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معا ، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الكلام صحيحا . وقد جعل ابن رشيق الاحتراس نوعا من التتميم وسوى بينهما ، وقد ظهر الفرق بينهما فجعلهما فى باب واحد غير سائغ " .(٢)

وقد فرق ابن أبى الاصبع بينه وبين فن المواربة فقال : "والفرق بينه وبين المواربة - بالراء المهملة - أيضا أن الاحتراس يؤتى به وقت العمل عندما يتفطن المتكلم لموضع الدخل ، والمواربة يؤتى بها وقت العمل وبعد صيرورة الكلام والمواربة - بالراء المهملة - تكون بالتصحيف والتحريف واهتدام الكلمة والزيادة والنقص ؛ والاحتراس بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عما يحتمله الكلام من الدخل والمواربة تكون من نفس الكلام وتكون منفصلة عنه ، والاحتراس لايكون فى نفس الكلام " .(٣)

ان معظم البلاغيين عرفوه بتعريف ابن سنان وان اختلف

---

(١) شروح التلخيص ٢٣١/٣ .
(٢) تحرير التحبير ص ٢٤٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥ .

فى التسمية معهم حيث سماه احترازا ، وأما الأمثلة التى ذكروها تكاد تكون واحدة . وأعجب احتراس وقع فى القرآن قوله تعالى : {وماكنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر}(١) وفيه يقول ابن ابى الاصبع : "فانه تبارك وتعالى لما نفى عن رسوله وحبيبه - صلى الله عليه وسلم - كونه بالمكان الذى قضى لكليمه صلى الله عليه وسلم الأمر ، عرف المكان بالجانب الغربى ولم يصفه باليمين ، كما قال فى الاخبار عن موسى عليه السلام : {وناديناه من جانب الطور الأيمن}(٢) أدبا منه سبحانه وتعالى مع نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينفى عنه كونه جانب الأيمن ، ووصف سبحانه الجانب ههنا باليمين ، اذ أخبر أنه سبحانه نادى منه كليمه موسى - عليه السلام - تشريفا له ، فألمح هذا الاحتراس اللطيف ، وتدبر خبايا هذا الكلام الشريف"(٣) .

ومن الأنواع التى كثر الخلاف حولها ، فن الاعنات ، وهو من تسمية ابن المعتز وفيه يقول : "ومن اعنات الشاعر نفسه فى القوافى وتكلفه من ذلك ماليس له قول اسحاق بن ابراهيم الموصلى :

اذا ماكنتَ يوماً مُستضافاً
فقُلْ لِلعبدِ يَسقِي القومَ بِرّاً
فحُسنُ البِرِّ مَكرمةٌ ومَجدٌ
ومَدفأةٌ اذا ماخِفتَ قَرّاً"(٤)

---

(١) سورة القصص : ٤٦
(٢) سورة مريم : ٥٢
(٣) بديع القرآن ص ٩٤ .
(٤) البديع لابن المعتز ص ٧٤-٧٥ .

وقال عنه ابن الأثير : "وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا ، وذلك لأن مؤلفه يلتزم مالايلزمه ، فان اللازم فى هذا الموضع وهاجرى مجراه انما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل فى الكلام المنثور فى قوافيها ، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو فى الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية " (١) .

وعرفه العلوى بقوله : "ويقال له : الاعنات ، ويرد فى المنظوم والمنثور من الكلام ، ومعناه فى لسان علماء البيان أن يلتزم الناظم قبل حرف الروى حرفا مخصوصا أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروى أيضا وهكذا القول فى الردف فانه يجعله على حرف متماثل وهكذا اذا ورد فى النثر يكون على هذه الطريقة . فحاصل الأمر فى لزوم مالايلزم هو أن يلتزم حرفا مخصوصا قبل حرف الروى من المنظوم أو حركة مخصوصة " (٢) .

وقد أطلق عليه بعضهم : "التضييق ، والتشديد ، والالتزام ، ولزوم مالايلزم" (٣) .

وقال عنه ابن أبى الاصبع هو : "أن يلتزم الناثر فى نثره والشاعر فى شعره حرفا أو حرفين فصاعدا قبل حرف الروى على قدر طاقته ، ومقدار قوة عارضته ، مشروطا بعدم الكلفة " (٤) .

---

(١) المثل السائر ٢٦٧/١ .
(٢) الطراز للعلوى ٣٩٧/٢-٣٩٨ .
(٣) انظر الفوائد ص ٢٣٤ ، خزانة الأدب ص ٤٣٤ ، أنوار الربيع ٩٣/٦ ، معترك الأقران ، السيوطى ٥١/١ .
(٤) بديع القرآن ص ٢٢٧ .

وقد جاء هذا النوع فى القرآن الكريم وكلام العرب البلغاء ، فمن القرآن الكريم قوله تعالى : {والطور وكتاب مسطور} (١) ، وقوله : {فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس} (٢) ، وقوله : {فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر} (٣) حيث جاءت الطاء – فى الآية الأولى – قبل واو الردف لازمة ، والواو ردفا مع جواز تبديلها بالياء ، وفى الآية الثانية التزمت النون قبل السين ، وفى الآية الآخيرة لزمت الهاء قبل الراء .

ومن الشعر قول ابن الرومى : حيث التزم حركة الفتح قبل حرف الروى :

لما تؤذن الدنيا به من مروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنه
لأوسع مما كان فيه وأرغد

إذا أبصر الدنيا إستهل كأنه
بما سوف يلقى من أذاها يهدد

ومنه ماجاء فى الحماسة :

إن التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلها

---

(١) سورة الطور : ١-٢
(٢) سورة التكوير : ١٥-١٦
(٣) سورة الضحى : ١

حجبت تحيتها فقلت لصاحبي
ماكان أكثرها لنا وأقلها

وإذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها (١)

وقد جاء هذا النوع فى القرآن الكريم عفوا من غير قصد وكان كذلك فى أقوال العرب القدماء ، الا أن المتأخرين أسرفوا فى استعماله وتكلفوه تكلفا غير مستساغ حتى أن أبا العلاء المعرى نظم ديوانا وسماه "اللزوميات" وتقيد فيه بهذا الفن .

وقد عاب الخفاجي فى كتابه من التزم ذلك حيث يقول : "وليس يغتفر للشاعر اذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه مالايلزمه شىء من عيوب القوافى ، لأنه انما فعل ذلك طوعا واختيارا من غير الجاء ولااكراه ، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل وليس بنا حاجة الى المتكلف المطرح وان ادعى علينا قائله أن مشقة نالته وتعبا مر به فى نظمه " (٢) .

ومن الفنون التى تعددت مصطلحاتها ، فن المشاكلة ، وهذا النوع من فنون التعبير التى كانت معروفة ومتداولة عند العرب ، وقد وردت له فى القرآن الكريم شواهد عديدة .

ولعل وقوف الفراء عند قوله تعالى (٣) : {وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلاعدوان إلا على

---

(١) الفوائد ص ٢٣٥ .
(٢) سر الفصاحة ص ١٨٠-١٨١ .
(٣) معانى القرآن لأبى زيد الفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م ١/١١٦-١١٧ .

الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} (١) هو الذى طرق الباب لدراسة هذا الفن من فنون التعبير ، على الرغم من أنه لم يضع له مصطلحا ولكن المصطلحات تنوعت له بعد ذلك .

فأبو على الفارسى يطلق عليه "المشاكلة" (٢) وهو المصطلح الذى اتفق عليه المتأخرون .

وابن فارس يدخله فى باب المحاذاة (٣) .

والرمانى يسميه "تجانس المزاوجة" الا أن ابن رشيق قال أن الرمانى أطلق المشاكلة على نوع من الجناس وهو "المضارعة" حيث يقول عند حديثه عن تجنيس المضارعة : "وهذا النوع يسميه الرمانى المشاكلة وهى عنده ضروب : هذا أحدها وهى المشاكلة فى اللفظ خاصة" (٤) .

والواقع أننا لم نستطع أن نعرف لاعند ابن رشيق ولاعند غيره ضروب المشاكلة عند الرمانى ، ولم نتأكد من المصدر الذى اعتمد عليه ابن رشيق فيما نقله عنه ، فليس هو النكت بطبيعة الحال ، ذلك لأن ماذهب اليه الرمانى فى كتابه "النكت فى اعجاز القرآن" هو أن الجناس اذا وقع فى الجزاء

---

(١) سورة البقرة : ١٩٣-١٩٤

(٢) الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على القارى ، تحقيق على النجدى ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور عبد الفتاح شلبى ، ومراجعة محمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة أولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٢٣٦/١ .

(٣) الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ، بدون تاريخ ص ٣٨٥ .

(٤) العمدة لابن رشيق ٣٢٦/١ .

كان جناس مزاوجة ومثل له بقوله تعالى : {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}(١) أى "جاوزه بما يستحق طريق العدل الا أنه استعير للثانى لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار فجاء على مجاوزة الكلام لحسن البيان"(٢) . وهذا النوع هو بعينه المشاكلة ولاشىء غيرها أما ماذكره ابن رشيق فانه بعيد كل البعد عن مصطلح المشاكلة اذ هو ضرب من الجناس اسمه "المضارعة" أو الجناس المضارع ويشمل الجناس المضارع ، واللاحق والمصحف والناقص ، وجناس القلب بحسب اصطلاحات الخطيب ومدرسته .

أما ابو هلال العسكرى فانه جعل بعض صور المشاكلة فى المقابلة مما يعنى أنها منها واطلق عليها المقابلة فى المعنى ، وهى عنده مقابلة الفعل بالفعل(٣) .

أما ابن الأثير فقد عدها أحد ضربى مقابلة الشىء بمثله وسماها "مقابلة المفرد بالمفرد" وهى عنده تقابل فى اللفظ والمعنى"(٤) وسلك طريقه الطوفى(٥) .

أما العلوى فقد أطلق عليها "المماثلة" وهو مصطلح وسع المشاكلة وغيرها حيث يقول : "فضابط المماثلة ان كل كلام مفتقرا الى الجواب فان جوابه يكون مماثلا كما قررناه ، وان كان غير جواب جاز وروده من غير مماثلة لفظية"(٦) .

---

(١) سورة البقرة : ١٤
(٢) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، للرمانى ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، ط/الثانية ١٣٧٨هـ/ ١٦٩٨م دار المعارف بمصر ص ٩٩ .
(٣) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٣٤٦ .
(٤) المثل السائر لابن الأثير ١٥٩/٣ .
(٥) الاكسير فى علم التفسير ص ٢١٦ .
(٦) الطراز ٣٨٧/٢ .

ومعنى هذا أن القسم الأول المفتقر الى الجواب من المماثلة هو الذى يدخل فيما نحن فيه وهو المشاكلة . مع العلم أنه كان يستخدم مصطلح المشاكلة أثناء تناوله بعض النصوص خاصة النوع الذى ورد غير جواب ، فمرة يقول : "ولو أراد المشاكلة اللفظية " وأخرى يقول : "ولو أراد المشاكلة " (١) .

أما ابن أبى الاصبع فان المشاكلة عنده معنى مختلف كل الاختلاف عن كل ماعرفه العلماء من قبله ومن جاء بعده (٢) .

فهذا النوع الذى تنوعت مصطلحاته عرفه السكاكى بقوله "هى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته" (٣) . وأضاف الخطيب "تحقيقا أو تقديرا" (٤) .

وقلنا أن هذا النوع كثير الورود فى القرآن الكريم فمما جاء فى الكتاب العزيز قوله تعالى : {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (٥) .

يقول الشوكانى : "وانما جعل سبحانه ماوقع منه استهزاء مع كونه عقوبة ومكافأة مشاكلة ، وقد كانت العرب اذا وضعت لفظا بازاء لفظ جوابا له وجزاء ذكرته بمثل ذلك اللفظ وان كان مخالفا له فى معناه ، وورد ذلك فى القرآن

---

(١) المرجع السابق ٣٨٧/٢ .
(٢) تحرير التحبير ص ٣٩٤ .
(٣) المفتاح للسكاكى ص ٤٢٤ .
(٤) الايضاح للقزوينى .
(٥) سورة البقرة : ١٣-١٤

كثيرا ومنه : {وجزاء سيئة سيئة مثلها}(١) ، {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم}(٢) ، والجزاء لايكون سيئة والقصاص لايكون اعتداء لأنه حق ، ومنه {ومكروا ومكر الله}(٣) {إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا}(٤) ، {يخادعون الله وهو خادعهم}(٥) ، {تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك}(٦) ..."(٧) .

ففي هذه الآيات التي أوردها الشوكاني في هذا النص نرى المعنى مذكورا بغير لفظه لوقوعه في مصاحبة ذلك اللفظ تحقيقا .

ومن الفنون التي اختلف في تسميتها البلاغيون ، فن الالتفات وهو فن عده معظم المتأخرين في البديع ، وقد ذكره ابن المعتز أول محاسن الكلام التي عدها بعد فنون البديع الخمسة التي ذكرها .

وقد عرف الالتفات بقوله : "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار وعن الاخبار الى المخاطبة ومايشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه الى معنى آخر"(٨) .

وسماه ابن رشيق "الاعتراض"(٩) ، وسماه ابن منقذ الانصراف وقال في تعريفه : "هو أن يرجع من الخبر الى الخطاب ومن الخطاب الى الخبر"(١٠) .

---

(١) سورة الشورى : ٤٠
(٢) سورة البقرة : ١٩٤
(٣) سورة آل عمران : ٥٤
(٤) سورة الطارق : ١٥،١٦
(٥) سورة النساء : ١٤٢
(٦) سورة المائدة : ١١٦
(٧) فتح القدير ٤٤/١ .
(٨) البديع لابن المعتز ص ٥٨ .
(٩) العمدة لابن رشيق ٤٥/٢ .
(١٠) البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠ .

الا أن مصطلح الالتفات بدأ يأخذ معنى محددا ودقيقا بعد أن أخذت البلاغة تستقر ، فقد عرفه الرازى بقوله : "انه العدول عن الغيبة الى الخطاب أو على العكس" (١) .

وأدرجه السكاكى ضمن مباحث علم المعانى وقال : "ان هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لايختص المسند اليه ولاهذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر ، ويسمى هذا النقل من أسلوب الى أسلوب أدخل فى القبول عند السامع وأحسن نظرية لنشاطه واملأ باستدرار اصغائه" (٢) . الا أنه ذكره فى البديع وأحال الى كلامه فى الموضعين السابقين ، ومعنى هذا أن الالتفات عنده معدود من علم المعانى مرة ، ومن علم البديع تارة أخرى (٣) .

وقد تكلم ابن الأثير عن الالتفات وأفاض فى الكلام عنه وعده من الصناعة المعنوية وفيه يقول : "وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض" (٤) . وسماه شجاعة العربية ، وسماه ابن جنى كذلك من قبل (٥) .

ومن الأنواع التى اختلف حول مصطلحه ، براعة التخلص . ويعنى به حسن الانتقال من غرض الى آخر فى القصيدة ، وهذا

---

(١) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز للرازى ص ١١٢ .
(٢) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٩٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٨ .
(٤) المثل السائر ٤/٢ .
(٥) الخصائص لابن جنى ٣٦٠/٢ .

النوع من مبتكرات المحدثين وحسناتهم كما يقول ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر : "... ومن الأبيات التي تخلص بها قائلوها الى المعاني التي أرادوها من مديح أو هجاء ، أو افتخار ، أو غير ذلك ، ولطفوا في صلة مابعدها بها فصارت غير منقطعة عنها ماأبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم ، لأن مذهب الأوائل في ذلك مذهب واحد وهو قولهم عند وصف الفيافي وقطعها بسير الفيافي ، وحكاية ماعانوا في أسفارهم : انا تجشمنا ذلك الى فلان ، يعنون الممدوح ، كقول الأعشى :

إلى هوذة الوهاب أزجي مطيتي
أرجي عطاء صالحا من نوالكا" (١)

ويسمى بعضهم هذا الفن خروجا وتوسلا . يقول ابن رشيق : "وأولى الشعر بأن يسمى تخلصا ماتخلص فيه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الأول وأخذ في غيره ثم رجع الى ماكان فيه" (٢) كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها الى النعمان بن المنذر :

وكفكفت مني عبرة فرددتها
الى النحر منها مستهل ودامع
على حين عاتبت المشيب على الصبا
وقلت: ألما أصح والشيب وازع

---

(١) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ١٨٤ . والبيت في الديوان ص ٣١ هكذا :
الى هوذة الوهاب أهديت مدحتي
أرجي نوالا فاضلا من عطائكما
(٢) العمدة ١/٣٣٦-٣٣٧ .

ثم تخلص الى الاعتذار فقال :

وَلَكِنَّ هَمًّا دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ
مَكَانَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ

وَعِيدُ أَبِى قَابُوسَ فى غَيْرِ كُنْهِهِ
أَتَانِى وَدُونِى رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ (١)

وسماه ابن منقذ "التلخيص والخروج" وقال : "ويستحب أن يكون الخروج والتشبيب فى بيت واحد وهو شىء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين" (٢) .

وعرفه ابن الاثير بقوله : "فأما التخلص فهو أن يأخذ المولف فى معنى من المعانى فبينا هو فيه اذ أخذ معنى آخر وجعل الأول سببا اليه فيكون بعضه أخذا برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه وطول باعه واتساع قدرته" (٣) .

وسماه ابن المعتز حسن الخروج وعده من محاسن الكلام (٤) ، وسماه ابن أبى الاصبع براعة التخلص وعرفه بقوله : "براعة التخلص هو امتزاج آخر مايقدمه الشاعر على المدح من نسيب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول البيت من المدح ، وقد يقع ذلك فى بيتين متجاورين وقد يقع فى بيت واحد . وهذه وان لم تكن طريقة المتقدمين فى غالب اشعارهم فان المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها ، وهى

---

(١) ديوانه ص ١٦٣ وبيت التخلص هكذا :
وقد حال هم دون ذلك داخل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
(٢) البديع فى نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ص ٢٨٨ .
(٣) المثل السائر ١٤٧/٣ .
(٤) البديع لابن المعتز ص ٦٠ .

لعمرى من المحاسن" .[1]

وسماه بعضهم حسن براعة التخليص .[2]

وهذا الفن ليس مختصا بالنظم دون النثر ، وانما ورد فى النثر أيضا . يقول ابن ابى الاصبع : "وهى فى الكتاب العزيز معرفة الوصل من الفصل ، وقد ذهب بعض المتكلمين أنها أحد وجوه الاعجاز . وهو دقيق يكاد يخفى فى غير الشعر الا على الحذاق من ذوى النقد ، وهو مبثوث فى الكتاب العزيز اذا تتبع وجد" .[3] ومن أمثلته قوله تعالى : {نحن نقص عليك أحسن القصص}[4] ، فانه سبحانه وطئ بهذا الفصل الى مايأتى بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام فتخلص الى ذكر القصة تخلصا بارعا ، وجعل سبب براعة هذا التخلص ماجاء به فى التوطئة من التنكيت ، فان النكتة التى أشارت الى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة فى القرآن هى قوله "أحسن القصص" فان المخاطب اذا سمع هذا الوصف لهذه القصة تنبه الى تأملها فيجد كل قضية فيها ختمت بخير ، وكل ضيق الى سعة ، وكل شدة الى رخاء ، فان يوسف عليه السلام رمى فى الجب فنجا ، وبيع بالثمن البخس ، فنزله الذى اشتراه منزلة الولد ، وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، فعصمه الله ، ودخل السجن فخرج منه ملكا وظفر اخوته به فأظفره الله بهم ، وأظهره عليهم ، وسره الله بلقاء أخيه شقيقه فتأنس به ، وفارقه أبوه ، ثم اجتمع به ، وجزع

---

(١) تحرير التحبير ص ٤٣٣ .
(٢) حسن التوسل للحلبى ص ٢٥٤ .
(٣) بديع القرآن ص ١٦٨ .
(٤) سورة يوسف : ٣

لفراقه ، ثم سر بلقائه ، وعمى عن بكائه عليه فرده الله بصيرا ، وجاء به من البدو وأجلسه بمصر على سرير الملك ، وغضب أعنى أباه ويوسف على بقية الأولاد ، ثم رضيا عنهم واستغفر لهم ، وأسجد له أبويه واخوته تحقيقا لرؤياه من قبل ، فكانت القصة لذلك جديرة بأن توصف بنهاية الحسن دون غيرها من القصص" .(١)

فحسن التخلص ، أو براعة التخلص من الفنون التى وجدت فى النثر كما وجدت فى الشعر وهو من البلاغة بمكان .

وتبدو قضية التشعيب عند ابن أبى الاصبع واضحة جلية حيث جمع ماقاله المتقدمون وقسمه الى أصول وفروع ، فالأصول عددها ثلاثون نوعا وهى الاستعارة ، والجناس ، والطباق ، ورد الاعجاز على الصدور ، والمذهب الكلامى ، الالتفات ، والتمام والاستطراد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف والهزل الذى يراد به الجد وحسن التضمين والكناية ، والافراط فى الصفة ، والتشبيه ، وعتاب المرء نفسه ، وحسن الابتداءات ، وصحة الأقسام ، وصحة المقابلات ، وصحة التفسير والتبيين ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة والاشارة ، والارداف والتتبع ، وقد عاب على من فرقوا بينهما وخلص من ذلك الى أنهما شىء واحد ، والتمثيل ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت ، والتوشيح والايغال .(٢)

---

(١) بديع القرآن ص ١٦٩-١٧٠ .
(٢) تحرير التحبير ص ٩٧-٢٣٢ .

ثم تحدث عن الفروع وهى :

الاحتراس ، والموارية والترديد والتعطف والتفويض والتسهيم والتورية والترشيح ، والاستخدام ، والتغاير والطاعة والعصيان ، والتسميط والمماثلة ، والتجزئة والتسجيع ، والترصيع ، والتصريح ، وقد جعله على ضربين عروض وبديعى ، فالعروض ماكان التغيير شرطا فيه والبديعى مالم يكن ذلك شرطا فيه ، وهذا الذى سماه بديعيا هو ماعرف فى مصطلح العروضيين بالتقفية فلم يكن بديعيا وانما هو عروضى .

والتشطير ، والتعليل ، وعرفه بقوله : "هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أومتوقع فيقدم عليه قبل ذكره" (١) كقوله تعالى : {ولولا رهطك لرجمناك} (٢) فوجود رهطه علة فى سلامته من قومه ، وهو مختلف كل الاختلاف عن حسن التعليل .

والتطريز وعرفه بقوله : "أن يبتدىء المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذى قدره فى تلك الجملة الأولى" (٣) . ومن أمثلته قول ابن الرومى :

أمورُكُم بنى خاقانَ عِنْدى
عُجابٌ فى عجابٍ فى عجاب

قُرونٌ فى رؤوسٍ فى وجوهٍ
صِلابٌ فى صلابٍ فى صلاب

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٩ .
(٢) سورة هود : ٩١
(٣) تحرير التحبير ص ٣١٤ .

والتوشيح "عبارة عن أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ، ثم يأتي يتلوه باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الأخير منهما قافية بيته أو سجعة كلامه ، كأنهما تفسير ذلك"(١) ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم : "يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان : الحرص ، وطول الأمل"(٢) ، ومنه قول الشاعر :

أُمسي وأُصبح من تذكاركم وصِبًا
يَرثي لي المشفِقان الأهلُ والولدُ
قد خدّد الدمعُ خدّي مِن تذكّركم
واعتادَني المضنيانِ الوجدُ والكمدُ
وغابَ عن مقلتي نومي لغيبتِكُم
وخانَني المسعدانِ : الصبرُ والجلَدُ

والعكس والتبديل "وحده أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه ، أو لغيره فيعكسه"(٣) ومثاله ماعكس الشاعر من المعاني لغيره قول أبي العتاهية :

ورايات يحلّ النصرُ فيها
تمرُّ كأنها قِطعُ السحابِ

فعكسه على بن الجهم فقال يشبه السحابة بالرايات :

فمرّت تفوق الطرفَ حتّى كأنها
جنودُ عبيدِ اللهِ ولّت بنودُها

---

(١) المصدر السابق ص ٣١٦ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة باب ٣٨ ، ٧٢٤/٢ ، ولفظه "يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر" بنحوه .
(٣) تحرير التحبير ص ٣١٨ .

والاغراق ، والغلو ، والقسم ومعناه "أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيحلف بما يكون مدحا ، ومايكسبه فخرا ، أو مايكون هجاء لغيره ، أو وعيدا له ، أو جاريا مجرى التغزل والترقق"(١) ، ومن أمثلته قوله تعالى : {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}(٢) .

يقول ابن أبي الاصبع : "فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة ، وأكمل عظمة للحامل من ربوبية السماء والأرض ، وتحقق الوعد بالرزق حيث أخبر - سبحانه - أن الرزق من السماء ، وأنه رب السماء ، فيلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره ، فعلم أن لارازق سواه ، وأنه لايحرم رزقه من خلقه ، وأما ماحصل من الايغال اذ قال في الفاصلة - سبحانه - بعد تمام المعنى : {مثل ما أنكم تنطقون} فمثل هذا الوعد بما هو واقع معلوم ضرورة لايرتاب منها أحد"(٣) .

والاستدراك والرجوع وجعله نوعان(٤) ، نوع يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد ، ونوع لايتقدمه ذلك ومن أمثلة الأول قول ابن الرومي :

وإخوانٍ تَخِذْتُهمُ دُرُوعا
فكانُوها ولكن للأعادِي

وخِلتُهمُ سِهاما صائباتٍ
فكانوها ولكن في فؤادِي

---

(١) تحرير التحبير ص ٣٢٧ .
(٢) سورة الذاريات : ٢٣
(٣) تحرير التحبير ص ٣٢٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٣١ .

وقالوا إِن صفت منا قلوبٌ

لَقد صدقوا ولكنْ مِن وِدادى (١)

وهذا ماصثل به الخطيب القزوينى فى كتابه لأحد نوعى القول بالموجب (٢) .

والاستثناء ، ونوعه الى نوعين : لغوى وصناعى "فاللغوى اخراج القليل من الكثير" (٣) وقد جاء فى كتب النحاة مفصلا .

والصناعى "هو الذى يفيد بعد اخراج القليل من الكثير معنى زائدا يعد من محاسن الكلام" (٤) ومن أمثلته قوله تعالى : {فسجد الملائكة كلهم أجمعون إِلا ابليس} (٥) فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء ، وذلك لتعظيم أمر الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة" (٦) .

والاشتراك وهومسبوق به من ابن رشيق وقسمه قسمين لفظيا ومعنويا وكل من هذين القسمين معيب ، وغير معيب ، فالمعيب المعنوى مثل قول الفرزدق :

وَمَامِثله فى الناس الا مملكا

أبو أمهِ حي أبوه يقارِبه

فلفظة "حى مشتركة بين ضد الميت ولفظة القبيلة ، فلما لم يميز بينهما فى البيت بقرينة أو مايخلصه من الاشتراك ولايبينه فيما بعد عد اشتراكا معيبا" (٧) . وأما المعنوى الذى ليس بمعيب قول كثير :

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣١ .
(٢) الايضاح تحقيق عبد المنعم ٨٨/٦ .
(٣) التحرير ص ٣٣٣ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٣٤ .
(٥) سورة الحجر : ٣٠-٣١
(٦) العمدة لابن رشيق ٧٧/٢ .
(٧) تحرير التحبير ص ٣٣٩ .

وأنتِ التى حببتِ كلَّ قصيرةٍ
إلىَّ ولم يشعرْ بذاك القصائر

عنيتُ قصيراتِ الحِجالِ ولم أُرِدْ
قِصارَ الخطى شرُّ النساءِ البحاتِرُ

والتلفيف "وهو أن يقصد المتكلم التعبير عن معنى خطر له أو سئل عنه ، فيلف معه معنى آخر بلازم كلمة المعنى الذى سئل عنه كقوله تعالى : {ومَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ياموسى ، قال هِىَ عصاىَ أتوكَّأُ عليْهَا وأهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} (١) .

ومنها جمع المختلفة ، والمؤتلفة ، والتوهيم وحده "أن يأتى المتكلم بكلمة يوهم مابعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها ، ومراده على خلاف مايتوهمه السامع فيها" (٢) كقول المتنبى :

وإنَّ الفِئامَ التى حولَهُ
لتحسدُ أرجلُها الأرؤسُ

فلفظة الأرجل أوهمت السامع أن لفظة "الفئام" بالقاف لابالفاء ، ومراده بالفئام الجماعات .

والاطراد ، وحده أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفا ، كقول الأعشى :

أقيْسَ بنَ مسعودِ بنِ قَيسِ بنِ خالدٍ
وأنتَ الذى ترجو حِباءَكَ وائلُ

---
(١) تحرير التحبير ص ٣٤٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٤٩ .

والتكميل (١) ، والمناسبة (٢) وجعلها ضربين ، مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى الألفاظ ، ومثل الأولى بأمثلة تنطبق على مراعاة النظير كقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} وأما اللفظية عنده فهى الاتيان بكلمات متفرقات (٣) ، وهى على ضربين : تامة وغير تامة والتفريع وهو نوعان : أحدهما : "أن يبدأ الشاعر بلفظة هى اما اسم واما صفة ثم يكررها فى البيت مضافة الى أسماء وصفات يتفرع من جملتها أنواع من المعانى فى المدح وغيره (٤) " .

ثم نبه على أن هذا النوع لم يسبقه أحد اليه ولاالى استخراجه ، وعلل عدم وضعه ضمن مخترعاته لألوان البديع حيث قال : "فالذى يجب أن يسمى به تفريع الجمع لأن كل بيت ينطوى على فروع من المعانى شتى من المدح تفرعت من أصل واحد (٥) " .

اما النوع الآخر فهو مسبوق به .

والتكرار ، ونفى الشىء بايجابه ، والايداع وحده أن "يعمد الشاعر أو المتكلم الى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدرا أم عجزا ، وأما الناثر فان أتى فى نثره بنصف بيت لغيره سمى ايداعا ، وان كان لنفسه سمى تفصيلا (٦) " .

والاستعانة ، وهى "أن يستعين الشاعر ببيت لغيره ، فى شعره بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به هنا بحيث لايبعد

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٦٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٦٧ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٧٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٧٢ .
(٦) المرجع السابق ص ٣٨٠ .

مابينه وبين أبياته " .(١)

والتذييل ،(٢) والمشاكلة ،(٣) وقد نقل تعريف العلماء لها .

والموازنة ، والتهذيب والتأديب(٤) وفسره بأنه عبارة عن ترداد النظر فى الكلام بعد عمله لينقح ، ويتنبه منه لما مر على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر فى العمل ، ومن ثم اعادة النظر فيه بعد الفراغ منه .

وحسن النسق "وهو أن تأتى الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لامعيبا مستهجنا " .(٥)

والانسجام ، وبراعة التخلص ، والحل وهو تصيير الشعر منثورا ، والعقد وهو ضد الحل والتعليق ، والادماج ، والاتساع .

والمجاز وقد سلك فيه مسلك ابن الاثير حيث اشتمل على التشبيه والاستعارة والتمثيل ، والارداف وزاد على ابن الأثير بالمبالغة والاشارة .

والايجاز ، وسلامة الاقتراع من الاتباع ، وحسن الاتباع ، وهو "أن يعمد الشاعر الى معنى قد اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات . اما باختصار لفظه أو عذوبة قافيته ، أو تتميم لنقصه أو تكميل لتمامه أو تحليته بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم " .(٦)

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣ .
(٢) ص ٣٨٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٩٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٠١ .
(٥) المصدر السابق ص ٤٢٥ .
(٦) تحرير التحبير ص ٤٧٥ .

وحسن البيان ، والتوليد ، والتنكيت ، وهو قصد المتكلم الى ذكر شيء دون آخر يسد مسده لنكتة فى ذلك بشيء ترجح اختصاصه بالذكر دون غيره ، ومن ذلك قوله تعالى : {وأنه هو رب الشعرى} (١) خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم لأن العرب كان فيهم رجل يعرف بابن أبى كبشة عبد الشعرى ودعا الناس الى عبادتها .

ومنها الاتفاق ، والتوليد ، والاغراب والطرافة وهو آخر أبواب المتقدمين . كما ذكر ابن أبى الاصبع (٢) .

ومنها الالتزام ، ويسمى لزوم مالايلزم ، وهو الذى سماه ابن المعتز "اعنات المرء نفسه وهذا يعنى أن الالتزام ليس من ابتكار الأجدابى كما يقول بذلك ابن أبى الاصبع (٣) .

ومنها تشابه الأطراف قال : "وسماه الاجدابى بالتسبيغ وفسره بأن يعيد لفظ القافية فى البيت الذى يليها والتسبيغ زيادة فى الطول ، ومنه قولهم درع سابغة اذا كانت طويلة الأذيال وهذه اللفظة فى اصطلاح العروضيين ... وعلى هذا لاتكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى فرأيت أن أسمى هذا الباب بما سميته به" (٤) كقول ليلى الأخيلية :

---

(١) سورة النجم : ٤٩

(٢) بديع القرآن ص ٤٩ .

(٣) الأجدابى : هو ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسى يعرف بابن الاجدابى نسبة الى أجدابية بلد بين برقة وطرابلس الغرب له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ومشاهيرها كفاية المحتفظ وكتاب الأنواء . توفى قبل ٦٠٠هـ/١٢٠٣م .
معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار احياء التراث العربى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ١/١٣-١٤ ، الأعلام ، خير الدين الزركلى ، دار العلم للملايين بيروت ، ط/٦ ، ١٩٨٤م ٣٢/١ .

(٤) تحرير التحبير ص ٥٢٠ .

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام إذا هز القناة شقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله
دماء رجال يحلبون صراها

وقد أطلق الخطيب القزوينى تشابه الأطراف على نوع من مراعاة النظير وفسره بتفسير يغاير تفسير ابن أبى الاصبع قال ، ومن مراعاة النظير "مايسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى نحو "لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير" (١).

والتوأم ، قال ابن أبى الاصبع ، وسماه الأجدابى التشريع ثم قال : "وهذه التسمية وان كانت مطابقة لهذا المسمى فهى غير معلومة عند الكافة ، فسميته التوأم" (٢) ، ثم قال : "هذا آخر ماجمعته من كتب الناس بعد التنقيح والتحرير ، وتغيير ماحسن فيه التغيير" (٣).

ثم شرع فى بيان الأنواع التى ادعى أنها من ابتكاره .

التخيير ، وحده أن يأتى الشاعر ببيت يسوغ أن يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل كقول الشاعر (٤) :

---

(١) الايضاح للقزوينى ، شرح محمد عبد المنعم خفاجى ٢١/٦ .
(٢) تحرير التحبير ص ٥٢٣ .
(٣) تحرير التحبير ص ٥٢٤ .
(٤) تحرير التحبير ص ٥٢٧ .

إنّ الغريبَ الطويلَ الذيل ممتهن

فكيف حالُ غريبٍ ماله قوتُ

فانه يسوغ أن يقول : فكيف حال غريب ماله حال أى ماله مال ... ولكن قوله ماله قوت أبلغ من الجميع وأدل على القافية ، وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب . وقد سلم هذا اللون له .

والتدبيج : "وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر ألوانا يقصد الكناية بها أو التورية بذكرها عن أشياء من مدح أو وصف أو نسيب أو هجاء أو غير ذلك من الفنون" (١) وهو مسبوق بهذا اللون من ابن سنان حيث سماه "المخالف" (٢) وهو نوع من أنواع الطباق ولم يسلم لابن أبى الأصبع الا تغيير اسمه من المخالف الى التدبيج .

ومنها التمزيج (٣) ، وعرفه أن يمزج المتكلم معانى من البديع بفنون الكلام من حيث الأغراض والمقاصد بعضها من بعض بشرط أن يجمع معانى البديع والفنون فى الجملة أو الجمل من النثر ، والبيت أو البيوت من الشعر .

ومنها الاستقصاء (٤) "وهو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه الى أن لايترك فيه شيئا كقول ابن الرومى :

وحديثها السحرُ الحلالُ لو أنّه

لم يجنِ قتلَ المُسلمِ المتحرزِ

---

(١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .
(٢) سر الفصاحة ص ٢٧٤ .
(٣) تحرير التحبير ص ٥٣٦ .
(٤) تحرير التحبير ص ٥٤٠ .

إن طال لم يملل وإن هى أوجزت

ود المحدث أنها لم توجز

شرك العقول ونزهة مامثلها

للمطمئن وعقلة المستوفز"

ومنها البسط وعرفه بقوله : "أن يأتى المتكلم الى المعنى الواحد الذى يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل ، فيدل عليه باللفظ الكثير ليضمن اللفظ معانى أخر يزيد بها الكلام حسنا" [1] وقد سبقه البلاغيون من قبل فسموه الاطناب والتطويل .

ومنها الهجاء فى معرض المدح وهو من الأنواع التى سلمت له وهو أن يقصد المتكلم الى هجاء انسان فيأتى بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها الهجاء فيوهم أنه يمدحه [2] .

والعنوان ، وعرفه بقوله [3] : أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو غير ذلك ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة ، وقصص سالفة .

الايضاح [4] . وهو ماعرف باسم التفسير لذا فهو مسبوق اليه وليس له فيه من فضل سوى اطلاق اسم الايضاح عليه بدل التفسير .

ومنها التشكيك [5] ، وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هى حشو أو أصلية لاغنى للكلام عنها كقوله

---

(١) تحرير التحبير ص ٥٤٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٥٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٥٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٥٥٩ .
(٥) المصدر السابق ص ٥٦٣ .

تعالى : {يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه}(١) فكلمة بدين تشكك السامع ، فالضعيف النظر يخالها فضلة لايغني لفظ تداينتم عنها . والبصير بعلم البيان يعلم أنها أصلية .

والشماتة ، وهى اظهار المسرة بمن نالته محنة(٢) ومن أمثلتها التى مثل بها قوله تعالى : {ذق انك أنت العزيز الكريم}(٣) .

ومن أمثلة الشماتة المحضة فى القرآن قوله تعالى : {الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين}(٤) .

التهكم ، وهو داخل فيما قبله وقد أطلق عليه من قبله اسم الاستعارة التهكمية .

والتنذير(٥) ، وعرفه أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة أو محنة مستطرفة ، ويقع فى الجد والهزل ، ومن أمثلته قوله تعالى : {فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت}(٦) حيث وصفهم بالجبن والخوف وفى هذا الكلام من طريف التنذير لمن يتدبره مايبهرج كل نادرة .

والاسجال بعد المغالطة(٧) ، وهو أن يقصد الشاعر غرضا من ممدوح فيأتى بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض ، وهو من الأنواع التى سلمت لابن أبى الاصبع .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢
(٢) تحرير التحبير ص ٥٦٧ .
(٣) سورة الدخان : ٤٩
(٤) سورة يونس : ٩١
(٥) تحرير التحبير ص ٥٧١ .
(٦) سورة الأحزاب : ١٩
(٧) تحرير التحبير ص ٥٧٤ .

الألغاز والتعمية (١) ، ويسمى المحاجاة والتعمية أعم أسمائه وهو أن يريد المتكلم شيئا فيعبر بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه ويكون فى النثر والشعر وقد سبقه بهذا المصطلح ابن الاثير فى "المثل السائر" .

التصرف : وعرفه بقوله هو أن يتصرف الشاعر (٢) فى معنى فيبرزه فى عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورا بلفظ التشبيه وأحيانا بلفظ الأرداف وهكذا وقد حده السكاكى قبله فقال هو "علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه" .

ومن الأنواع التى سلمت له النزاهة وهى تختص بفن الهجاء الا ماندر .

ومن الأنواع التى سلمت له أيضا "التسليم" (٣) وهو أن يفرض المتكلم فرضا محالا أو منفيا أو مشروطا بحروف الاقناع . وهذا النوع قريب من المذهب الكلامى الذى عده ابن المعتز من الأصول .

والافتنان ، وهو أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد كالنسيب والحماسة وهذا هو الادماج بعينه عند ابن رشيق .

الايهام (٤) ، وحده أن يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لايتميز أحدهما عن الآخر ولايأتى فى كلامه بما يأتى به التمييز فيما بعد ذلك بل يقصد به ابهام الأمر .

---

(١) تحرير التحرير ص ٥٧٢ .
(٢) تحرير التحرير ص ٥٨٢ .
(٣) تحرير التحرير ص ٥٨٧ .
(٤) تحرير التحرير ص ٥٩٠ .

ومن أمثلته :

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

وهذا هو التوجيه عند السكاكي في كتابه المفتاح .

ومنها القول بالموجب، وحده أن يخاطب المتكلم مخاطبا (١) بكلام يتعمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فينبني عليه من لفظة ما يوجب عكس معنى المتكلم ، ومن أمثلته :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا
قال ثقلت كاهلي بالأيادي

قلت طولت قال لا بل تطاولت
وأبرمت قلت حبل ودادي

المقارنة ، وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة أو غير ذلك من المعاني من كلامه ، وسبق أن وضحنا أن التمزيج من مبتكراته فهو مزج لمعان من البديع بفنون الكلام ، وهنا مزج الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة فهي بمعنى واحد في نظري ولذا فلامعنى لكثرة الاصطلاحات مادام أحدهما يغني عن الآخر .

ومن الأنواع التي سلمت له فن المناقضة (٣) ، وهو تعليق الشرط على معنيين ممكن ومستحيل وفن الابداع مسبوق اليه من ابن رشيق .

أما عن حسن الخاتمة التي ادعى أنها من ابتكاره (٤) فليس

---

(١) تحرير التحرير ص ٥٩٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٠٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٠٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٦١٦ .

الأمر كذلك بل هو مسبوق اليها من قدامى المؤلفين حيث سموه حسن التخلص .

وبعد ، لعل دعوة ابن المعتز البلاغيين أن يزيدوا أو يبحثوا عن مواطن الجمال هى التى أدت الى ما أضاف قدامة ، والعسكرى ، وابن رشيق ، ومن ثم أخذ التزايد الكمى للفنون يظهر بشكل آخر غير الذى عهدناه فى القرون الأولى حتى أصبح البديع فنا كميا ، لم تعد أقوى ذاكرة على مجرد عدها اضافة الى التشعيبات التى تتعلق بكل مصطلح بديعى .

ومن ثم نرى الاتجاه حول تأليف البديع بدأ يتزايد حتى أصبح "علم البديع الذى تعرف به وجوه تحسين الكلام لاوجه لاقتصار المصنفين فيه على أنواع مخصوصة ، ولا اقتصار أهل البديعيات على تلك البديعيات التى أوردوها من نظمهم ، بل ماكان له مدخل فى التحسين كان من علم البديع ويسميه مستخرجه بأى اسم كان ... ثم قال الشوكانى وقد أخبرنا بعض علماء الديار القاصية أنها قد انتهت عندهم الى سبعمائة نوع "وهكذا يبدأ البديع بملك وينتهى بملك" (١) .

ورحم الله ابن سنان فقد كان ذا نظرات ثاقبة جيدة ، لو طبقت منذ دعوته اليها لما وصل البديع الى ماوصل اليه من اختلاف حول تسمية مصطلحاته وتشعبه بهذا الشكل الذى عليه الآن .

ان الباحث يجد ضيقا وعنتا حين يحاول أن يجد علة لهذه الاختلافات حول تسمية النوع الواحد من فنون البلاغة باسمين

---

(١) الصبغ البديعى ص ٤٦٥ .

أو أكثر كما رأينا فى التجنيس جناسا وتجانسا ومماثلا وتماثلا ، والتورية ايهاما وتوجيها وتخييلا ، ولزوم مالايلزم الزاما والتزاما واعناتا ، وتشديدا وتضييقا ، والتكميل احتراسا .

والمطابقة ، طباقا وتضادا وتكافؤا وتطبيقا ، وتجاهل العارف ، سوق المعلوم مساق غيره وهكذا وقد يريد بالتوشيح فنا آخر غير الذى يريده الآخر ، فهو يختلف عن التعريف والمثال ، فالتوشيح عند معظم البلاغيين الارصاد والتسهيم ، وعند أسامة بن منقذ "هو أن تريد للشىء فتعبر عنه عبارة حسنة وان كانت أطول منه" (١) .

وعند ضياء الدين بن الاثير، هو "أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض ، وصار مايضاف الى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، وكذلك يجرى فى الفقرتين من الكلام المنثور" . وهكذا .

وأخيرا أقول ماقاله ابن سنان حين رفض صنيع بعض العلماء عندما جعلوا للمعنى الواحد عدة أسماء مختلفة كالترصيع الذى يسمونه ترصيعا ، وموازنة ، وتسميطا وتسجيعا وهو كله راجع الى شىء واحد . فينبغى أن ينظر هذه النظرة حتى يكون البديع كما كان عليه سابقا بلامنازع .

---

(١) نقد الشعر لأسامة بن منقذ ص ٨٤ .
(٢) المثل السائر ٣/٢٥٧ .

## الباب الثانى

# أثر البديع القرآنى في بعض التفاسير

الفصل الأول : تفسير أبى السعود

الفصل الثانى : تطبيقات على سور من القرآن الكريم

سورة الرعد ـ سورة التكوير

الفصل الأول

# منهج أبى السعود فى التفسير وتأثره ببديع القرآن الكريم

## التعريف بمؤلفه :

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى ، العمادى الحنفى المولود سنة ٨٩٣هـ بقرية قريبة من القسطنطينية ، ونشأ فى بيت عرف أهله بالعلم والفضل ، وقد قالوا عنه تربى فى حجر العلم حتى ربى ، وارتضع ثدى الفضل الى أن ترعرع وحبا . وتوفى ـ رحمه الله ـ بمدينة القسطنطينية فى أوائل جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ (١) .

## المنهج الصحيح لتفسير القرآن الكريم :

قبل أن أتناول منهج أبى السعود بالدرس والتحليل ينبغى لى أن أبين نقاطا يجب على المفسر أن يطرقها فى منهجه فهى قرائن مرشدة ومعالم هادية بمن سلكها الى الوصول الى التفسير المقبول ، ومبعدة له عن الوقوع فى الخطئ ومن ثم يستطيع أن يقحم نفسه ليكون مفسرا للقرآن الكريم . ونقاط هذا المنهج هى :

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ٣٤٥/١-٣٤٦ .
وانظر كتاب نشأة التفسير ومناهجه للدكتور بسيونى محمود فودة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ١٦٢ .

أولا : تفسير القرآن بالقرآن نفسه ، ذلك لأنه يعد المصدر الأول لتفسير القرآن الكريم ، ولاينبغى له أن يرجع الى عقل أو منطق قبل الرجوع الى هذا المصدر الكريم .

ومن المعلوم أن القرآن يفسر بعضه بعضا وماعليه الا أن ينظر فى القرآن نظرة شمولية وفاحصة ، خاصة وهو يجمع الآيات التى ترتبط بالآية التى تفسرها .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة . وذلك اذا لم يجد فى القرآن شيئا رجع الى المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو المعلم الأول للقرآن الكريم وذلك شريطة أن يتحرى المفسر الدقة فى تجنب الأحاديث الضعيفة والموضوعة فلايأخذ الا بالأحاديث الصحيحة .

ثالثا : فان لم يجد فى المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى ماجاء عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم أولى بمعرفة القرائن والأحوال التى نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلها .

ثم ان معرفة أسباب النزول للمفسر أمر مهم ، فكثيرا ماتعين على فهم المغزى للآيات بل ان كثيرا مايتوقف معناها على معرفة سبب نزولها .

وأخيرا : تفسير القرآن بالرأى ، وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ، ومناهجهم فى القول ، ومعرفته بدقائق الألفاظ ووجوه دلالتها ، واستنتاجه من ذلك من معين الشعر العربى ، ووقوفه على أسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ ثم آيات القرآن الكريم .

وبعد هذه النظرة العامة ، لمعرفة النقاط أو الخطوات التى يجب على المفسرين الالتزام بها ، فاننا نقف وقفات متأنية مع أبى السعود وتفسيره لنعرف مدى تطبيقه لتلك الخطوات السابقة .

# التفسير بالمأثور

تفسير القرآن بالقرآن :

في آيات كثيرة كان يحتكم فيها ابو السعود الى النص القرآني فمثلا قوله تعالى في سورة هود : {أَلاَ حِيْنَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ، يَعْلَمَ مَايُسِرُّوْنَ وَمَايُعْلِنُونَ}(١) .

يقول : "أى يتغطون بها للاستخفاء على مانقل عن ابن شداد أو حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان مايقع حينئذ حديث النفس عادة ، وقيل الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله مافي قلبي {يَعْلَمُ مَايُسِرُّونَ} أى يضمرون في قلوبهم {وَمَايُعْلِنُونَ} أى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم ، فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه ، وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من أول الأمر ماصنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع مايحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على أبلغ وجه ، فكأن علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه ، ونظيره قوله تعالى : {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَافِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ}(٢) حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ماوقع في قوله تعالى : {وَإِنْ تُبْدُوا مَافِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}(٣) اذ لم يتعلق باشعار أن المحاسبة بما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الأمر بالعكس ، وأما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما

---

(١) سورة هود : ٥
(٢) سورة آل عمران : ٢٩
(٣) سورة البقرة : ٢٨٤

يسرونه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية ، كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لايختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة "[١] .

ومن ذلك قوله تعالى : {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ}[٢] قال : "أي باشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى : {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ}[٣] يعني أن اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بأن كان على حق حيث جعلتموني معبودا وكنت أود ذلك ، وأرغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم أحمده ولم أقبله منكم ، بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة ، أو كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى كما في قوله سبحانه {ماسخركن لنا} ، فيكون تعليلا لعدم اصرافه ، فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة أو الشفاعة وأما جعله تعليلا لعدم اصرافهم اياه فلاوجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولأن تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم أنهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته "[٤] .

---

(١) تفسير أبي السعود ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، ط/٢ ، ١٩٨٢م ١٤٠٢هـ ٩/٣ .
(٢) سورة ابراهيم : ٢٢
(٣) سورة فاطر : ١٤
(٤) تفسير أبي السعود ٢٥٥/٣ .

تفسير القرآن بالسنة عند أبي السعود :

يعد المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين الأول للقرآن بنص القرآن ، شريطة أن يتحرى المفسر ، وأن يكون حذرا من الضعيف والموضوع .

وقد وردت أحاديث كثيرة ، شارحة لآيات قرآنية أشكل فهمها على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لبيان نسخ بعض الآيات ، أو لبيان أسباب النزول .

وأبو السعود وان كان أحد المفسرين بالرأى الا أنه تطرق لآيات كثيرة فسرها بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم . فعلى سبيل المثال فى سورة آل عمران فى قوله تعالى {ربنا لاتزغ قلوبنا}(١) يقول : "من تمام مقالة الراسخين أى لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لايرتضيه قال صلى الله عليه وسلم : "قلب ابن آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه على الحق وان شاء أزاغه عنه"(٢) .."(٣) .

(١) سورة آل عمران : ٨

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، المكتب الاسلامى ببيروت ١٨٢/٤ ولفظه : "مامن قلب الا وهو بين اصبعين من أصابع رب العالمين ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه ..." .
ورواه مسلم كتاب القدر ، باب ١٧ ، ٢٠٤٥/٤ ولفظه "ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" .
انظر صحيح مسلم للامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج ، كتاب القدر ، باب ١٧ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث ، ط/٢ بدون تاريخ ٢٠٤٥/٤ .

(٣) تفسير أبى السعود ٤٤١/١ .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : {وأنبتنا عليه شجرة من يقطين} (١) قال : "وهوكل ماينبسط على الأرض ولايقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل ، وهو يفعل من قطن بالمكان اذا أقام به والأكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فانه لايقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "انك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس" (٢) وقيل هي التين وقيل الموز يغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها" (٣) .

ومنه قوله تعالى : {وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} (٤) يقول : "يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ماكانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم ، وفي الحديث : "يقول العبد يوم القيامة اني لاأجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت

---

(١) سورة الصافات : ١٤٦

(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٢٠٤/٣ ولفظه عن أنس بن مالك قال : "كان القرع من أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو كان القرع يعجب رسول الله ...". وبنحوه في سنن ابن ماجة ١٠٩٨/٢ ولفظه "كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع" تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان .
أما بقية الحديث "أجل هي شجرة أخي يونس" لم أقف عليها في كتب الحديث ولافي كتب التفسير .

(٣) تفسير أبي السعود ٥٥٠/٤ .

(٤) سورة ياسين : ٦٤

أناضل" (١) .." (٢) .

وقد يستشهد بالحديث لتوضيح النسخ فى حكم صدر فى أوائل الاسلام ثم جاء ماينقضه من السنة النبوية المطهرة كقوله تعالى : {واللذان يأتيانها منكم} (٣) "وهما الزانى والزانية وقال السدى أريد بهما البكران منهما كما ينبىء عنه كون عقوبتهما أخف الحبس المخلد (٤) ... الا أنه يبقى حكم الزانى المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه بأحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة فى المناط ...{فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما} ، قال "وقد جوز أن يكون الخطاب للشهود والواقعين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين فى أوائل الاسلام ثم نسخ لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام قال : "خذوا عنى قد جعل

---

(١) صحيح مسلم ٢٨٨٠/٤ كتاب الزهد والرقائق ، ولفظه عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب ألم تجرنى من الظلم ؟ قال يقول بلى . قال فيقول : فانى لاأجيز على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا أو بالكرام الكاتبين شهودا قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى . قال : فتنطق بأعماله . قال ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل .

(٢) تفسير أبى السعود ٥١٦/٤ .

(٣) سورة النساء : ١٦ .

(٤) تفسير أبى السعود ٦٦٣/١ .

الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد" .(١)

وقد يكون التفسير بالسنة لبيان سبب النزول كما في قوله تعالى : {وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا}(٢) قال : "نزلت في الحرث ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب ، وانما نحن أكلة رأى أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى : {أو لم نمكن لهم حرما آمنا}(٣) "(٤) .

وأما قوله تعالى : {ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين}(٥) "فانها نزلت في أبي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال فزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينيك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف"(٦) .

---

(١) صحيح مسلم ١٣١٦/٣ كتاب الحدود ولفظه "عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم" وفي أخرى البكر تجلد وتنفى ، والثيب يجلد ويرجم" . وهي كذلك بنفس الرواية عن عبادة نفسه في سنن أبي داود ٥٧١،٥٧٠/٤ تعليق عزت عبيد الدعاس ، وعادل السيد الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، دار الحديث حلب . وجاء بنحوه في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، كتاب الحدود باب ٣٢ ، ١٥٧/١٢ دار الفكر بدون ط ، وتاريخ ، والحديث عن عبادة نفسه وفيه البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم .

(٢) ،(٣) سورة القصص : ٥٧

(٤) تفسير أبي السعود ٣١٣/٤ .

(٥) سورة القصص : ٥٦

(٦) تفسير أبي السعود ٣١٢/٤-٣١٣ .

وان كان فى بعض الأحيان يورد سببا ليس محل اجماع من المفسرين وهو رأى فيه من الهجنة مالايمح أن ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم . فمن ذلك ماجاء فى قوله تعالى {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} (١) .

وملخص كلام أبى السعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت زيد فلم يجده ورأى زينب فى سترها فأعجبته ، فذهب وهو يقول سبحان مقلب القلوب ، فسمعته زينب فلما جاء زيد أخبرته بالذى حدث ، فقال زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنى يارسول الله أنك جئت منزلى فهلا دخلت يارسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها ، فقال عليه الصلاة والسلام أمسك عليك زوجك واتق الله ، فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد (٢) .

أقول : لقد أورد الدكتور أبو موسى فى كتابه من أسرار التعبير القرآنى ردا جميلا لهذه الضلالة التى ذكرها جل المفسرين فيقول : "هذه الضلالة التى ذكرها معظم المفسرين ساقطة فى نظرنا ، ذلك لأن صريح مدلول الآية يرفضها ، ذلك لأن الشىء الذى يخفيه فى نفسه عليه الصلاة والسلام ليس حب زينب ورغبته فى الزواج منها لما أعجبه حسنها ، بل ان الذى أخفاه النبى صلى الله عليه وسلم هو ماالله مبديه والذى

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٧-٣٨
(٢) انظر تفسير أبى السعود ٤١٩/٤ بتصرف .

أبداه الله هو {فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها ، لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا} وهذا يعنى أن طلاق زيد زينب وزواج النبى منها لاستئصال آثار التبنى ، ولو كان الذى أخفاه هو رغبته فى الزواج من زينب لكان الذى أبداه الله هو ذلك الهوى والحب أى لأظهر الله هذا الذى خطر فى قلبه وهو اعجابه بزينب ووقوعها فى نفسه وهو مايدل عليه النص الكريم " (١).

وقد وقع أبو السعود فيما وقع فيه العلامة البيضاوى فى تفسيره ، من ايراده لأحاديث موضوعة عقب كل سورة فى فضل هذه السورة ، ولم يتنبه الى مانقله العلامة القرطبى فى تفسيره حيث يقول :

"لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة فى فضل سور القرآن ، وغير ذلك من فضائل الأعمال وقد ارتكبها جماعة كثيرة اختلفت أغراضهم ومقاصدهم فى ارتكابها ، فمن قوم من الزنادقة مثل المغيرة بن سعيد إلكوفى ، ومحمد بن سعيد الشامى المصلوب فى الزندقة ... وضعوا أحاديث وحدثوا بها ليوقعوا بذلك الشك فى قلوب الناس ، فمما رواه محمد بن سعيد عن أنس بن مالك فى قوله صلى الله عليه وسلم "أنا خاتم الأنبياء لانبى بعدى الا ماشاء الله" فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة .

---

(١) من أسرار التعبير القرآنى ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب للدكتور محمد أبو موسى ، ط/دار الفكر العربى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص ٢٢١-٢٢٢ .

ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس اليه . قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب ان هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم ، فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا .

ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا ، يدعون الناس الى فضائل الأعمال ، قيل لأبى عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضل سور القرآن سورة سورة ؟

فقال انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى محمد بن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة .

ومنهم قوم من السؤال والمكدين يقفون فى الأسواق والمساجد فيضعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد " (١) .

وقد ذكر المفسرون أحاديث صحاح فى فضائل سور القرآن الكريم وفى هذا يقول الدكتور محمد أبو شهبة : "ولايتوهمن متوهم أن جميع ماذكره الزمخشرى والبيضاوى وأمثالهما فى الفضائل موضوع ، فان هذا لم يقله أحد من أهل العلم بالحديث ، ولاأصل التحقيق ، فقد ذكرا وغيرهما أحاديث فى غاية الصحة وذلك مثل ماذكره الزمخشرى من قوله صلى الله عليه وسلم "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلته

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ط/الثانية دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م ١/٧٨-٧٩ .

كفتاه " فقد رواه البخارى ومسلم ..." ثم يقول :[1]

وتفسير الحافظ بن كثير أجل مايعتمد عليه من أحاديث الفضائل ماصح منها ومالم يصح والسور التى صحت فى فضائلها الأحاديث :

الفاتحة ، والزهراوان ، والأنعام ، والسبع الطوال مجملة ، والكهف ، ويس ، والدخان ، والملك ، والزلزلة ، والعصر ، والكافرون ، والاخلاص ، والمعوذتان ، وماعداهما لم يصح فيها شىء "[2] .

الفقه فى منهجه :

من المعلوم أن أبا السعود حنفى المذهب ، ويلاحظ عليه أنه كان يهتم بذكر رأى امامه فى معظم آيات الأحكام ، فيقول فى قوله تعالى : {ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولاتقربوهن حتى يطهرن}[3] .

يقول : "تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على أن المراد به عدم قربانهن لاعدم القرب منهن وبيان لغايته ، وهو انقطاع الدم عند أبى حنيفة - رحمه الله - فان كان ذلك فى أكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلابد من الاغتسال"[4] .

بل يتعصب أحيانا لرأى امامه فيحتج له بوجه القراءة واللغة والشعر ، فنجده يقف عند قوله تعالى : {والمطلقات

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٤٣٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٣٦ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٢
(٤) تفسير أبى السعود ١/٣٤٦-٣٤٧ .

يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء} (١) فيقول :

"والمطلقات : أى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين أن لاعدة على غير المدخول بها وأن عدة من لاتحيض لصغر أو كبر أو حمل بالاشهر ووضع الحمل ، وأن عدة الأمة قرءان أو شهران ، يتربصن ، خبر فى معنى الأمر مفيد للتأكيد باشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلقى بالمسارعة الا الاتيان به فكأنهن امتثلن بالأمر بالتربص فتخبر به موجودا متحققا وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بأنفسهن . الباء للتعدية أى يقمعنها ويحملنها على مالاتشتهيه بل يشق عليها من التربص .. ثلاثة قروء نصب على الظرفية أو المفعولية ، والقروء جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم "وعن الصلاة أيام اقرائك" (٢) وقوله : "طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان" (٣) وقوله تعالى : {واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن إرتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر} (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٨

(٢) سنن أبى داود ، كتاب الطهارة ١/٧٥ .

(٣) سنن ابن ماجة ، كتاب الطلاق باب ٣٠ ، ١/٦٧٢ ولفظه "طلاق الأمة اثنتان وعدتها حيضتان" .
وجاء بنحوه أيضا فى نفس الصفحة من سنن ابن ماجة قوله طلاق المرأة تطليقتان وقرؤها حيضتان .

(٤) تفسير أبى السعود ١/٢٢٥ .

التفسير بالرأى عند أبى السعود :

وهو المنهج الذى التزمه أبو السعود فى تفسيره ، ولذلك لم يقف على لفظ الجلالة فى قوله تعالى : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} (١) بل حاول أن يجعل الخلاف لفظيا على قراءة من يقف على لفظة الجلالة ، قال : "والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين فى العلم أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا فى مزال الأقدام ، وفى تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة أو الخفية ايذان بأنهم ليسوا من التأويل فى شىء ... ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة " (٢) .

وللعلامة الشنقيطى (٣) فى كتابه (أضواء البيان) آراء حول الآية الكريمة تدل دلالة قاطعة على أن الواو فى قوله والراسخون فى العلم استئنافية وليست عاطفة وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالى : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} وفى هذا يقول :

"وفى الآية اشارات تدل على أن الواو استئنافية لاعاطفة قال ابن قدامة فى روضة الناظر مانصه : ولأن فى الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه منفرد بعلم المتشابه ، وأن الوقف

---

(١) سورة آل عمران : ٧
(٢) تفسير أبى السعود ٤٤٠/١ .
(٣) محمد الأمين محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد الشنقيطى ولد عام ١٣٠٥هـ بموريتانيا الاسلامية ، وقد تلقى تعليمه على طريقة القدماء من أفراد أسرته ، ثم تولى التدريس بالجامعة الاسلامية ، والمسجد النبوى والرياض ، وتوفى رحمه الله سنة ١٣٩٣هـ بمكة المكرمة .

الصحيح عند قوله تعالى {ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا الله} لفظا ومعنى .

أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال : ويقولون آمنا به بالواو .

وأما المعنى فلأنه ذم مبتغى التأويل ، ولو كان ذلك للراسخين معلوما لكان مبتغيه ممدوحا لامذموما .

ولأن قولهم آمنا به ، تدل على نوع تفويض وتسليم لشىء لم يقفوا على معناه سيما اذا اتبعوه بقولهم . كل من عند ربنا . فذكرهم ربهم هاهنا يعطى الثقة والتسليم لأمره .

ولأن لفظه اما لتفصيل الجمل فذكره لها فى الذين فى قلوبهم زيغ مع وصفه اياهم باتباع المتشابه وابتغاء تأويله يدل على قسم آخر يخالفهم فى الصفة ، وهم الراسخون ، ولو كانوا يعلمون تأويله لم يخالفوا القسم الأول فى ابتغاء التأويل .

ومما يؤيد أن الواو استئنافية لاعاطفة ، دلالة الاستقراء فى القرآن أنه تعالى اذا نفى عن الخلق شيئا وأثبته لنفسه ، أنه لايكون له فى ذلك الاثبات شريك كقوله : {قُل لايَعْلَمُ مَن فى السَّموَاتِ والأرضِ الغَيْبَ الا الله} (١) وقوله : {لايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا الا هو} (٢) وقوله : {كُلُّ شَىءٍ هَالِكٌ الا وَجْهَهُ} (٣) فالمطابق لذلك أن يكون قوله {ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ الا الله} معناه : أنه لايعلمه الا هو وحده كما قاله الخطابى وقال : لو كانت الواو فى قوله {وَالرَّاسِخُونَ} للنسق لم يكن لقوله

---

(١) سورة النمل : ٦٥
(٢) سورة الأعراف : ١٨٧
(٣) سورة القصص : ٨٨

{كل من عند ربنا} فائدة ". (١)

ومهما يكن فان الكتاب يعتبر معجما لغويا لمن أراد مواد الكلمات وأصولها ، فقد وقف المؤلف ـ رحمه الله ـ أمام كل كلمة وتناولها بالتحليل الدقيق من حيث مادتها واعرابها وأوجه القراءة فيها ، واللغات المشهورة فيها وبيان وجه اعجازها ، ولم يقف عند هذا الحد بل حاول أن يتخطاه الى معرفة مراد الله عز وجل وايراداته المختلفة كما اهتم اهتماما بالغا بفواصل القرآن الكريم ومناسبة الآيات لما قبلها وربط بعضها ببعض .

فمن حيث مادتها يقول فى قوله تعالى{ومن الناس}: "وأصل ناس أناس ، كما يشهد له انسان وأناس وانس ، حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقه من ألوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لايكاد يجمع بينهما ". (٢)

وانظر اليه فى قوله تعالى : {واذا خلوا الى شياطينهم} يقول : "وجعل سيبويه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعال على أنه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم لشيطن ، وأخرى زائدة فوزنه فعلان على أنه من شاط أى هلك أو بطل وقيل معناه هاج واحترق ". (٣)

ويقول فى مادة ملائكة "جمع ملك باعتبار أصله الذى هو ملأك على أن الهمزة مزيدة كالشمائل فى جمع شمأل ، وقيل على أنه مقلوب من مألك ، من الألوكة وهى الرسالة أى موضع

---

(١) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى ، طبع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ١٤٠٣هـ ١/٣٣١-٣٣٢ .
(٢) تفسير أبى السعود ٦٩/١ .
(٣) المرجع السابق ٨١/١ .

الرسالة " .(١)

وقد يحتكم أبو السعود الى النظم والمنثور فى لغة العرب وذلك اما لتأييد معنى يريده كما فى قوله تعالى : {مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ} قال : "ومعنى أكلهم النار أنهم يأكلون فى الحال مايستتبع النار ويستلزمها فكأنه عين النار وأكله أكلها كقوله :

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ
بَعِيدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ "(٢)

ومن الآيات التى استشهد بها لتأييد المعنى قوله : {ضربا باليمين} قال : "فراغ عليهم ضاربا باليمين أى ضربا شديدا قويا وذلك أن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله :

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

أى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه يقوى الكلام ويؤكده " .(٣)

واما لتأييد الاعراب كما فى قوله تعالى : {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب} قال : "على أن البر خبر ليس مقدما على اسمها كما فى قوله :

سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنِّي وَعَنْهُمُ
فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ

---

(١) تفسير أبى السعود ١٣٩/١ .
(٢) المصدر السابق ٣٠٣/١ .
(٣) نفس المصدر ٥٤١/٤ .

وقوله :

أليس عظيما أن تلم ملمة

وليس علينا في الخطوب مقول

وانما أخر ذلك لما أن المصدر المؤول أعرف من المحلى بالـلام لأنه يشبه الضمير من حيث أنه لايوصف ولايوصف به والأعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب النظم الكريم" (١) .

وقد يستشهد بالشعر لتأييد القراءة كما في قوله تعالى {كلا سيكفرون بعبادتهم} قال : "وقرىء كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الألف نونا في الوقت قلب ألف الاطلاق في قوله :

أقلي اللوم عاذل والعتابن

وقولي ان أجبت لقد أصابن

أو على معنى كل هذا الرأي كلا وقرىء كلا على اضمار فعل يفسره مابعده أي سيجحدون كلا سيكفرون" (٢) .

وأما من حيث اعرابها ، فنستطيع أن نقول في غير مبالغة أنه قد أعرب القرآن كله فلم يترك تركيبا ولاكلمة غريبة ولاقراءة متواترة الا وبين وجه اعرابها بل وجوه اعرابها المختلفة ، ثم لم يكتف بذلك بل وجه الاعراب ، انظر اليه في قوله تعالى : {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير} قال : "من نبي تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله :

---

(١) نفس المصدر ٣٠٥/١ .
(٢) نفس المصدر ٦٠٤/٣ .

أطرد اليأس بالرجا فكأين
آملا حم يسره بعد عسر

وقوله تعالى : {قاتل معه ربيون} خبر لها على أن الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور فى معه وقرىء قتل وقتل على صيغة المبنى للمفعول مخففة ومشددة وقرىء بضمها وفتحها .. فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما فى القراءتين الأخيرتين اذ لااحتمال فيهما لتعلقه بالفعل أى قتلوا أو قتلوا كائنين معه فى القتال لافى القتل .

وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلاخوف أى كم نبى قاتل كائنا معه فى القتال ربيون كثير ، وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر . لاسيما قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف بقتله عليه السلام . أى كم من نبى قتل كائنا معه فى القتل أو فى القتال ربيون" (١) .

ويبدو أن نزعته اللغوية أحيانا قد تغلب عليه حتى أنه ليكاد ينسى نفسه فيخرج عن المعنى الذى وطن نفسه على شرحه فيكاد يخرج موضوعا متكاملا .

انظر اليه فى قوله تعالى : {يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا} (٢) يقول : "واذا أظلم عليهم أى خفى البرق واستتر ، والمظلم وان كان

---

(١) تفسير أبى السعود ٥٧١/١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٠

غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتارة أسند اليه مجازا تحققا لما أريد من المبالغة فى موجبات تخبطهم وقد جوز أن يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ، ومنه ماجاء فى قول أبى تمام :

هُما أظلما حالىَّ ثمتَ أجليا

ظلاميهما عن وجه أمرد أشيبا

ويعضده قراءة أظلم على البناء للمفعول "قاموا" أى وقفوا فى أماكنهم على ماكانوا عليه من الهيئة متحرين مترصدين لحقيقة أخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى القصد أو الالتجاء الى ملجأ يعصمهم ، وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بأنهم حراص على المشى مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولاكذلك الوقوف ، وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب مالايوصف" (١) .

وأما مايخص القراءات فقد تعرض لها على طريقة المتون حيث لخص فى معظم الآيات أوجه القراءة المختلفة واستشهد لها بطرق الاعراب النحوية ، ووجه القراءة التوجيه الصحيح ، فاما أن تكون القراءة لتأييد التفسير كما فى الآية السابقة {يكاد البرق يخطف أبصارهم} واما أن تكون دفاعا عن حق الأنبياء فيتعصب لها دون غيرها كما فى قوله تعالى : {وكأين من نبىّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله} (٢) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٩٦/١ .
(٢) المصدر السابق ٥٧٢/١ .

## علم الكلام فى تفسير أبى السعود :

نلاحظ أن أبا السعود لم يكن مفسرا وشاعرا وأديبا ولغويا فحسب ، بل كان فيلسوفا منطقيا جهبذا من جهابذة المتكلمين ، فكثيرا ماكان يستخدم الأقيسة المنطقية فى تناوله للآيات وتفسيره لها ، انظر وهو يعالج قوله تعالى : {إنه عليم بذات الصدور} (١) فيقول : "تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفى صيغة الفعل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة مالايصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لاتفارقها أصلا فكيف يخفى عليه مايسرون ومايعلنون" (٢) .

وقد رد على المعتزلة (٣) فى قولهم بخلق القرآن فيقول : "واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضى على وجه الاخبار ، فانه يستدعى المخبر عنه لامحالة ، وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لايستدعى حدوث الكلام كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لايستدعى حدوث العلم" (٤) .

---

(١) سورة هود : ٥

(٢) تفسير أبى السعود ٣/١٠ .

(٣) المعتزلة : فرقة بدأ ظهورها فى العصر الأموى فى صورة آراء فردية ثم تبلورت فى صورة مبادىء عامة حتى بلغت الذروة فى العصر العباسى ، وأصل هذه الفرقة هو واصل ابن عطاء الملقب بالغزال ، الذى ولد سنة ٨٠هـ وتوفى سنة ١٣٨هـ فى عهد هشام بن عبد الملك .
انظر كتاب نشأة التفسير ومناهجه ، دكتور محمد بسيونى فودة ص ، كتاب دراسات فى العقائد الاسلامية ، دكتور عرفان عبد الحميد ، ط/أولى مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ١٠٣،١٠٤ .

(٤) تفسير أبى السعود ١/٦٢ .

ورد عليهم فى قولهم بايراد الخير والشر بقوله :

"والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكه فكبوا الى شعاب التأويل ، فأجابوا أولا بأنهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين فى قلوبهم فسمى ذلك مددا فى الطغيان فأسند ايلاؤه اليه تعالى .

وثانيا أنه أريد بالمد فى الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما فى قوله تعالى : {ونذرهم فى طغيانهم يعمهون} .

وثالثا : أن المراد به معناه الحقيقى وهو فعل الشيطان لكنه أسند اليه مجازا" .(١)

ورد على الكرامية(٢) بقوله : "ومدلول الآية الكريمة أن من أظهر الايمان واعتقاده بخلافه لايكون مؤمنا ، فلاحجة فيها على الكرامية القائلين بأن التفوه بكلمتى الشهادة فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه مؤمن" .(٣)

ويبدو أن المؤلف كان متأثرا بمنهج الفلاسفة ، فقد توسع فى شرح معنى الهدى والضلال رد من خلاله على مذهب

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٨٣-٨٤ .

(٢) الكرامية : تنسب الى عبد الله بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ وقد غالى ابن كرام فى اثبات الصفات حتى أدى به الأمر الى التجسيم ، وهم طوائف بلغ عددهم ثنتا عشرة فرقة وأصولها ست : العابدية ، والتونية ، والزريبتية والاسحاقية ، والواحدية ، والهيمهمية .
كتاب الملل والنحل ، تأليف أبى الفتح محمد عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر بدون طبعة وتاريخ ص ١٠٨ .

(٣) تفسير أبى السعود ١/٦٦ .

الجبرية [(١)] ، وفى ذلك يقول : "وأما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما لفقد سببه الموجب له من جهة المهدى بعد تكامل مايتم من قبل الهادى" [(٢)] .

وقد استطرد فى شأن توضيح طريق الهداية وتبيين أنها "عبارة عن مطلق الدلالة على مامن شأنه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير أن يشترط فى مدلولها الوصول ولاالقبول ، وهذا كله استطراد لتوضيح قوله تعالى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} وقوله : {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَاكُمْ} مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز" [(٣)] .

---

(١) الجبرية : هم أتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراس الذى ثار على الدولة الأموية فقتله مسلم بن أحوذ المازنى والى الأمويين بخراسان ، فالانسان فى نظرهم مجبر على أفعاله .
انظر دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية ، د. عرفان عبد الحميد ، وكتاب الفرق بين الفرق للبغدادى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة بيروت ص ١٢٨ .

(٢) تفسير أبى السعود ٤٧/١ .

(٣) نفس المصدر ٤٧/١ .

موقفه من الاسرائيليات :

كان نصيبه من الوقوع فيها قليلا جدا بل انه نبه الى فساد كثير منها فمثلا دافع عن يوسف عليه السلام دفاعا طيبا فى قوله تعالى : {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه} فقعد قواعد اللغة العربية فى هذا الشأن تطويعا عجيبا بليغا اذ يقول : "وهل هوالا تسجيل باستحالة مدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وأنه عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لالشبهة به كما قيل" (١).

الا أنه ذكر رأيين متناقضين فى قصة الذبيح حيث أثبت فى القصة الأولى أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام ونفى أن يكون الذبيح اسحاق والقصة الثانية تناقض الأولى ولم ينبه اليها فيقول ان يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحاق ابن خليل الله ابراهيم" (٢).

ودافع عن نوح عليه السلام فيقول : "ومايقال من أنه كان لغير رشده لقوله تعالى {فَخَانَتَاهُمَا} فارتكاب عظيمة لايقادر قدرها فان جناب الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه أرفع من أن يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين" (٣).

ودافع عن داود عليه السلام فى قوله تعالى : {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ...} الى قوله سبحانه : {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا

---

(١) تفسير أبى السعود ١٢٨/٣ .
(٢) المصدر السابق ٥٤٤/٤ .
(٣) المصدر السابق ١٤٤/٣ .

وأناب}[١] يقول : "وأما مايذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور ، فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت فى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب ابن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن أبعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لايحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله على يديه فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله ، فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء ، وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه : من حدث بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم"[٢] .

وان كان لم ينهج نهج البيضاوى[٣] حين تناول هذه الآية التى دافع فيها عن داود عليه السلام .

وقد يتعرض أحيانا الى مالابأس به من الاسرائيليات وان كان عدم ذكره أولى كتعرضه مثلا لنسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٤] .

---

(١) سورة ص : ٢١-٢٤

(٢) تفسير أبى السعود ٥٧١/٤ .

(٣) مجموعة من التفاسير ، البيضاوى والنسفى والخازن وابن عباس ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ط/أولى ١٣١٩هـ ص ٢٦٩ .

(٤) تفسير أبى السعود ٣١/٣ ، ٤٦٧/١ .

# بديع المعنى وبديع اللفظ في تفسير أبي السعود

قبل أن أشير الى الفنون البديعية التى ذكرها أبو السعود فى تفسيره ، أود أن أنوه الى أننى ارتأيت أن أضع كلمة بديع للألوان التى جاءت فى تفسيره بدل كلمة محسن ، ذلك لأن درجات الحسن تتفاوت من كاتب لآخر ، ومن شاعر لشاعر ومن عصر لآخر نظرا لتفاوت القدرات العقلية لدى هؤلاء بخلاف كلام الله فانه يعلو ولايعلى عليه ، حيث جاء بديعا فى نظمه ولفظه ولا اختلاف فى مراتب الحسن والنظم بين آياته ، ومن هنا آثرت كلمة بديع بدل محسن لما أشرت اليه سابقا .

أما الأنواع التى ذكرها أبو السعود فى تفسيره ، والتى جعلها المتأخرون من علم البديع فهى :

(١) الطباق :

يقول فى قوله تعالى :{ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون} (١) : "بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لاتنال غايته حيث جعل الشىء محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن هذا الجنس نوع من الحياة عظيم لايبلغه الوصف ، وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين" (٢) .

وقد قال البلاغيون فى تعريف الطباق : "الجمع بين

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩

(٢) تفسير أبى السعود ٣١٠/١ .

المتضادين أى معنيين متقابلين فى الجملة " [١] ، والمعنى بالتضاد والتقابل هنا أن يكون بين المعنيين تناف فى وجه من الوجوه على حد ماسنعرف من صور التقابل الاعتبارى والحقيقى . وهو المراد بقولهم فى الجملة اذ ليس المراد بها الجملة التى هى واحدة الجمل ، وانما المراد أن يكون التقابل تقابلا من الناحية الاجمالية وليس من الناحية الاصطلاحية التى تراد من التقابل والتضاد عند أهل النظر .

وقد تعرض ابن يعقوب الدسوقى الى مناسبة هذا الضرب مطابقة أو طباقا وقال ان ذلك راجع الى أن المتكلم حين يجمع بين معنيين بينهما قدر من التنافى فى تركيب واحد أو فى كلام واحد فكأنه جمعها على حذو واحد على حد ماأشار أبو سعيد فيما نقل عن ابن المعتز [٢] .

ويقول فى قوله تعالى : {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [٣] . يقول : "وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس مايؤثم " [٤] .

وقد يذكر الطباق بمعنى لايختلف عن معنى اللف يقول فى قوله تعالى : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [٥] يقول :

"من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعد ماوصف

---

(١) الايضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ، تحقيق عبد المنعم خفاجى ص ٧ .
(٢) شروح التلخيص ٢٨٦/٤ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٢
(٤) تفسير أبى السعود ٣١٣/١ .
(٥) سورة هود : ٢

باحكام آياته وتفاصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة أو خبر للمبتدأ المذكور أو المحذوف أو صلة للفعلين وفى بنائها للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطها به لاعلى النهج المعهود فى اسناد الأفاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونهما على أكمل مايكون مالايكتنه كنهه" (١).

ويقول فى قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَايَعْلَمُونَ} (٢) يقول :

"وتفصيل هذه الآية الكريمة بلايعلمون أكثر طباقا لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لايتسنى الا بالنظر والاستدلال" (٣).

ويقول فى قوله تعالى : {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ} (٤) يقول :

"أى بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الأشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال أحد الملوين فى الآخر بأن يزيد فيه ماينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما فى مكان الآخر لكونه أظهر المواد

---

(١) تفسير أبى السعود ٣/٤ .
(٢) سورة البقرة : ١٣
(٣) تفسير أبى السعود ١/٨٠ .
(٤) سورة الحج : ٦١

وأوضحها " .[١]

وقد قسم البلاغيون الطباق الى قسمين : أحدهما طباق الايجاب ، ومنه الأمثلة المتقدمة ، وطباق السلب ، وضابطه عند البلاغيين أن تجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت والآخر منفى أو أمر ونهى كقوله تعالى : {ولكن أكثر الناس لايعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا}[٢] ، وقوله تعالى : {فلاتخشوا الناس واخشون}[٣] فوقع الطباق بين النهى عن الفعل من جانب والأمر به من جانب آخر .

فالمهم أن طرفى الطباق فيه متفقان فى اللفظ والمعنى وانما الاختلاف بينهما هو أن أحدهما مثبت والآخر منفى .

وقد يدخل فى طباق السلب قوله تعالى : {من مضغة مخلقة وغير مخلقة}[٤] وان كان التعريف لايشمله لأنهم خصوا طباق السلب بالأفعال دون الأسماء كما يتضح من تعريفهم ، والمفروض أن يكون التعريف شاملا لأنواع المعرف ، وقد رأيت فى حاشية الدسوقى مايؤيد هذه النظرة ، وكذلك فعل صاحب الأطول[٥] .

(٢) المقابلة :

يقول فى قوله تعالى : {وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين}[٦] يقول :

---

(١) تفسير أبى السعود ٤٠/٤ .
(٢) سورة الروم : ٦-٧
(٣) سورة المائدة : ٤٤
(٤) سورة الحج : ٥
(٥) انظر البديع من المعانى والألفاظ ، د. عبد العظيم المطعنى ص ١٥ .
(٦) سورة البقرة : ٢٣

"وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الأصنام ، كما أن ذكر الله تعالى يقابل ذكر الأصنام والمقصود بهذا الأمر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا الزامكم بشهداء لاميل لهم الى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذات عنكم ، فانهم أيضا لايشهدون لكم حذرا من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة بالبطلان" (١) .

وفي المقابلة شيء من التنظيم بين المتقابلات لايكون في مطلق الطباق عموما وقد عرفها البلاغيون بقولهم : "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب" (٢) فالمقابلة ليست كالطباق بين مفردات فحسب ، وانما يلاحظ فيها ضرب من التنظيم للمعاني المتوافقة ثم يذكر في محاذاتها مايقابلها من المعاني .

ويقول في قوله تعالى : {وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ، أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٣) .

يقول : "... هذا وقد قيل معنى والله يدعو وأولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم ، وأنت خبير بأن الضمير في المعطوف على الخبر أعني قوله تعالى {ويبين الله} تعالى فيلزم

---

(١) تفسير أبي السعود ١/١١٥ .
(٢) الايضاح للقزويني ٦/١٦ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢١

التفكيك ، وقيل معناه أى يدعو بأحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة بمن عمل بها اليها ، هذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضمير بين الكائنين فى الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدأ لكن حينئذ يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى {أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ}(١)" .

ويقول فى قوله تعالى : {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}(٢) يقول : "انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النص مع ماأشير اليه من عدم الاشتراك فى المناط"(٣) .

ويقول فى قوله تعالى : {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ}(٤) يقول :

"والمراد تأكيد نفى الغلول عن النبى صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ماوصف به الآخر ، فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما"(٥) .

ومن المقابلة قوله تعالى : {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا}(٦) يقول :

"وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٣٤٥-٣٤٦ .
(٢) سورة البقرة : ٢٧٥
(٣) تفسير أبى السعود ١/٤١٢ .
(٤) سورة آل عمران : ١٦٢
(٥) تفسير أبى السعود ١/٥٩١ .
(٦) سورة النساء : ٨٨

المقابلة بين الشرط والجزاء " [(١)].

ومن المقابلة قوله تعالى : {ولاينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم} [(٢)]. يقول :

"وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع أنه مخقق لامحالة للايذان بأن ذلك النصح منه مفارقة للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ماوقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر فى ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة فى بيان غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لايجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم " [(٣)].

ويقول فى قوله تعالى : {بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل} [(٤)].

"اضراب عما ينبىء عنه التمنى من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها أى ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة فى الايمان وسوق الى تحصيله والاتصاف به بل لأنه ظهر لهم فى موقفهم ذلك ماكانوا يخفونه فى الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا أنهم مواقعوها ... والمراد بها النار التى وقعوا عليها اذ هى التى سبق الكلام لتهويل أمرها والتعجب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها وتكذيبهم بها ، فان التكذيب بالشىء كفر به واخفاء له لامحالة وايثاره على صريح

(١) تفسير أبى السعود ٧٥٢/١ .
(٢) سورة هود : ٣٤
(٣) تفسير أبى السعود ٣٩/٣ .
(٤) سورة الأنعام : ٢٨

التكذيب الوارد في قوله عز وجل {هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون} وقوله تعالى : {هذه النار التي كنتم بها تكذبون} مع كونه أنسب بما قبله من قولهم ولانكذب بآيات ربنا لمراعاة مافي مقابلته من البدو هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الكريم " (١) .

ويقول في قوله تعالى : {لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين} (٢) .

"أي المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة وأحكامها التي هي المعرفة أموات في الحقيقة " (٣) .

ويقول في قوله تعالى : {ومايستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور} (٤) .

"وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد " (٥) .

ويقول في قوله تعالى : {فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون} (٦) .

"... حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة أي فاليوم هم من الكفار يضحكون لاالكفار منهم كما كانوا

---

(١) تفسير أبي السعود ١٩٢/٢ .
(٢) سورة يس : ٧٠
(٣) تفسير أبي السعود ٥٩٨/٤ .
(٤) سورة فاطر : ١٩
(٥) تفسير أبي السعود ٤٨٠/٤ .
(٦) سورة المطففين : ٢٩

يفعلون فى الدنيا " .[(١)]

تلك نماذج لما ورد لفن المقابلة من أمثلة فى تفسير أبى السعود ، ويكفى أن أشير فى النهاية لكلام الدكتور محمد أبو موسى حول أثر هذا الفن على النفس فيقول : "وهناك أيضا وجه من وجوه تأثيرها فى الكلام يجرى معها دائما مانجده فى جميع هذه المتناقضات وتجاورها وتضاربها فى العبارة والنفس من توتر واثارة فالرضا مع الكره ، والتوحيد مع الشرك ، والتوحد مع التفرق وهذه الخصوصية تعطى الأسلوب قدرة على الايقاظ وصيرورة الحس كأنه يكون مستفزا ومثارا حين يحس بما وراء هذه المتناقضات من صراعات وتجاذبات وهو يثب على قممها المتغايرة المتناقضة " .[(٢)]

(٣) مراعاة النظير ويسمى التناسب :

يقول فى قوله تعالى : {الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان} .[(٣)]

"... والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى اذ لايتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولاالى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الأولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف

---

(١) تفسير أبى السعود ٥٠١/٥ .
(٢) قراءة فى الأدب القديم ، دكتور محمد محمد أبو موسى ، القاهرة دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م ص ٢٢٨ .
(٣) سورة الرحمن : ٦

بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ، ومن حيث أن كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل" .(١)

والملاحظ أن مراعاة النظير فن يأتي على وجه غير الوجه الذى يجىء عليه الطباق كأن يجمع بين الصور المتقابلة فيحدثنا عن اليمين ليذكر بعدها الشمال ويمضى الى الأمام ليعود الى الخلف وينظر الى الليل ليذكر النهار . وهكذا يترامى بالكلام من جهات متقابلة ، فان مراعاة النظير يبحث عن المعانى المتجانسة وينتقل بينها ، فاذا حدثنا عن السماء لايثب منها الى الأرض وانما يظل يحدق فيذكر النجوم والقمر والسحاب والرياح والطيور وهكذا يطرح فى أيدينا جملة صالحة مما يدور هناك ، واذا حدثنا عن البحر لايعبر منه الى البر وانما يقف فيه ليذكر أفلاكه وحيتانه وأمواجه ودره وصدفه وغواصه وهكذا يمتعنا بمزيد من عطائه . ولذلك عرفه البلاغيون بقولهم : "هو أن يجمع فى الكلام بين أمرين أو أمور متناسبة لابالتضاد" .(٢)

(٤) الاستطراد :

يقول فى قوله تعالى : {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى} .(٣)

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٤٣/٥ .
(٢) الايضاح للقزوينى ١٩/٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٩

يقول : "... ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر بقية ماهو من أفعالهم فى الحج استطرادا" (١) .

والاستطراد هو "ذكر الشىء فى غير محله لمناسبة بأن يخرج المتكلم من الكلام الذى هو مسترسل فيه الى غيره باستدعاء مناسبة ثم يرجع الى ماكان فيه" (٢) .

ويقول فى قوله تعالى : {ولاتؤتوا السفهاء أموالكم} (٣) .

"... وكيفية اثر بيان بعض الأحكام المتعلقة بأنفسهن أعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الأجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا" (٤) .

ويقول فى قوله تعالى : {وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم} (٥) .

"... كلام معترض بين المعطوفين جىء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد أى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم" (٦) .

ويقول فى قوله تعالى : {ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه} (٧) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٣٢٠/١ .
(٢) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ، د. عبد الفتاح لاشين ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط/الثالثة ص ٦٩ .
(٣) سورة النساء : ٥
(٤) تفسير أبى السعود ٦٤٧/١ .
(٥) سورة النساء : ١١٥
(٦) تفسير أبى السعود ٨٠٨/١ .
(٧) سورة طه : ١١٤

"... كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى اليه عليه السلام الوحى يتبعه عند لفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقن والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الانزال بطرق الاستطراد لما أن استقرار الألفاظ فى الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها" (١).

ومن الاستطراد قوله تعالى : {وآيةلهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله مايركبون ، وان نشأ نغرقهم فلاصريخ لهم ...} (٢).

يقول : "... وفى تعلق المشيئة اشعار بأنه قد تكامل مايوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به أى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ماحملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جىء به من خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه أو مع مايركبون من السفن والزوارق" (٣).

ومن الاستطراد قوله تعالى : {يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا} (٤).

يقول الطيبى فى تفسيره عن الآية : "... كما أن قوله تعالى {يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا} مستطرد لذكر بدو السوءات ، وقوله واذا فعلوا فاحشة استطراد فى استطراد لأنه حكاية عن فعل قبيح كانوا يفعلونه ويزعمون أنه نسك من المناسك وهو طوافهم بالبيت عراة فشنع عليهم بتسميته

---

(١) تفسير أبى السعود ٣/٦٦٩ .
(٢) سورة يس : ٤١-٤٣
(٣) تفسير أبى السعود ٤/٥٠٦ .
(٤) سورة الأعراف : ٢٦

فاحشة . والدليل على كونه مستطردا العود الى حديث الاستطراد الأول بقوله {يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد}(١) وفائدة تأخيره عنه الأمر بالتستر وأكل المباحات يعد تقبيح تلك الفعلة ، والتزين بزى المتقين ولذلك صرح بذكر كل مسجد .

ويؤيد قول الامام وان أهل الجاهلية كانوا لايأكلون الطعام فى الموسم الا القليل ويحترزون عن الدسم تعظيما فأنزل الله تعالى : {وكلوا واشربوا} بيانا لفساد تلك الطريقة وسبيل هذا الاستطراد سبيل قوله تعالى : {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها}(٢) سواء بسواء " .

(٥) اللف والنشر :

وقد عرفه البلاغيون بقولهم : "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال ثم ذكر مالكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده اليه"(٣) .

وقد ذكر أبو السعود صورا من اللف منها ذكر المتعدد على جهة الاجمال ثم ذكر مالكل على جهة التفصيل ثقة بأن السامع سيرده اليه . يقول فى قوله تعالى : {وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى}(٤) . أى "قالت اليهود

---

(١) سورة الأعراف : ٣١
(٢) فتوح الغيب فى الكشاف عن قناع الريب ، الطيبى ، تحقيق ودراسة جميل محمد الحسين المحمود ، رسالة دكتوراه ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م جامعة الأزهر اشراف د. المحمد عبد العزيز الحفناوى ، المجلد الثانى ص ٣٤٤-٣٤٥ .
(٣) الايضاح للقزوينى ٤٢/٦ .
(٤) سورة البقرة : ١١١

لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما الى قائله "[1] .

ومنه قوله تعالى : {ولَن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}[2] .

يقول : "بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان مايجمعهما والمشركين من الامرار على ماهم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفى لما مر من أن تصلب اليهود فى أمثال هذه العظائم أشد من النصارى والاشعار بأن رضى كل منهما مباين لرضى الأخرى أى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد "[3] .

ويشير الى ذكر المتعدد على جهة التفصيل والترتيب ، فيقول فى قوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}[4] :

"فيدرك مالاتدركه الأبصار ويجوز أن يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف أى لاتدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستفادا من مقابل لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها "[5] .

---

(١) تفسير أبى السعود ٦٤٧/١ .
(٢) سورة البقرة : ١٢٠
(٣) تفسير أبى السعود ٢٤٧/١-٢٤٨ .
(٤) سورة الأنعام : ١٠٣
(٥) تفسير أبى السعود ٢٦١/٢ .

وقد أشار الطيبي في تفسيره الى هذه الآية حيث يقول : "ذكر ادراكه الأبصار والتلويح الى المحافظة التامة لئلا يسترق المرائي النظر الى الخالق ، وفي ذكر اللطيف الخبير الرمز الى المراقبة الكاملة لجنبات الصدور ، وخفيات الهواجس ليكون المريد واقفا على مواقف الاخبات والخضوع آخذا أهبة الحذر عن الشرك الخفي" (١) . وهو كلام نفيس جدا .

ويقول في قوله تعالى : {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ} (٢) .

"... انها من باب اللف التقديري أي لاينفع نفسا ايمانها ولاكسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه" (٣) .

ويقول في قوله تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ} (٤) .

يقول : "فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الأغلب وقوع الأول في الأول والثاني في الثاني أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا أنه فصل بين القرينين الأخيرين لأنهما زمان والزمان مع ماوقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الايجاد" (٥) .

وهذا يكون من ذكر المتعدد وتوابعه على غير ترتيب ، وقد أشار الى ترتيبه أبو السعود كما وضح لنا .

---

(١) تفسير الطيبي ١/١٩٥ .
(٢) سورة الأنعام : ١٥٨
(٣) تفسير أبي السعود ٢/٣١٢ .
(٤) سورة الروم : ٢٣
(٥) تفسير أبي السعود ٤/٣٥٨ .

(٦) الكلام الموجه :

يذكر أبو السعود احتمال الكلام لوجهين مختلفين ويسميه القول ذا الوجهين حيث يقول في قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ} (١) :

"... قال الامام الواحدى : انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم ، وأنت خبير بأن ابراز ماصدر عن أحد المتجاورين فى الخلاء فى معرض ماجرى بينهما فى مقام المحاورة مما لاعهد به فى الكلام ، فضلا عما هو فى منصب الاعجاز فالحق الذى لامحيد عنه أن قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لايقتضى كونهم مجاهرين ، فانه ضرب من الكفر أنيق وفن فى النفاق عريق مموغ على شاكلة قولهم "واسمع غير مسمع" فكما أنه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما نرضاه ونحوه ، وللخير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير ، وهم مضمرون فى أنفسهم المعنى الأول ، مطمئنون به ولذلك نهوا عنه .

كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما مر فى تفسيره ، وللخير بأن يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق ، على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء

---

(١) سورة البقرة : ١٣

والمجانين الذين لااعتداد بايمانهم " . (١)

ويقول فى قوله تعالى : {واسمع غير مسمع} .

"عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول ... وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أى مدعوا عليك بلاسمعت أو غير مسمع كلاما ترضاه " .

وقوله "وراعنا" وهى كلمة ذات وجهين محتملة للخير يحملها على معنى أرقبنا وانظرنا نكلمك وللشر يحملها على السب بالرعونة أى الحمق أو باجرائها مجرى مايشبهها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها " . (٢)

(٧) المشاكلة :

يكثر هذا الفن فى تفسير ابى السعود وكثيرا مايشير اليه . وان دل هذا على شيء فانما يدل على علو هذا النوع فى البلاغة وجمال فى العبارة اذ الناظر فيه لأول وهلة يتوهم أن المعنى الآخر هو الأول بعينه ، فاذا أمعن النظر وأطال التدبر علم أنه غيره ، وهذا النوع فيه مواتاه وذكاء ، ويعتمد على البديهة والفطنة والطرفة اللماحة ، ولذلك كثر فى كلام الأعراب .

وقد عرف البلاغيون المشاكلة بقولهم : "هى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا " . (٣)

ومن الشواهد التى ساقها أبو السعود لهذا الفن فى تفسيره قوله تعالى : {الله يستهزيء بهم} (٤) اذ يقول :

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٧٨-٧٩ .
(٢) تفسير أبى السعود ١/٧٠٦-٧٠٧ .
(٣) مواهب المفتاح للمغربى ضمن شروح التلخيص ٤/٣٠٩ .
(٤) سورة البقرة : ١٥

"سمى جزاؤه باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة فى اللفظ أو المقارنة فى الوجود . أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم ، فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم " (١) .

ويقول فى قوله تعالى : {إِنَّ اللّه لايستحى أن يضرب مثلا مابعوضة} (٢) .

"فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحى من ضربه .. ويجوز أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كما يقولون أما يستحى رب محمد أن يضرب مثلا بالأشياء المحقرة كما فى قول من قال :

من مبلغ أفناء يعرب كلها
أنى بنيت الجار قبل المنزل" (٣)

ومن أمثلة المشاكلة عند أبى السعود قوله تعالى : {صبغة اللّه} حيث يقول :

"وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه (المعمودية) ويزعمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم ، واضافتها الى اللّه عز وجل ... للتشريف والايذان بأنها عطية منه سبحانه لايستقل العبد بتحصيلها" (٤) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٨٢/١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦
(٣) تفسير أبى السعود ٨٢/١ .
(٤) المصدر السابق ١٢٥/١ .

وعن قوله تعالى : {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ} (١) .

يقول : "والمكر من حيث أنه فى الأصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة " (٢) .

ويقول فى قوله تعالى : {قَالَ إن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ} (٣) .

"واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير فى منا اما لأن سخريتهم منه عليه الصلاة والسلام سخرية من المؤمنين أيضا أو لأنهم كانوا يسخرون منهم أيضا الا أنه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه الصلاة والسلام " (٤) .

ويقول فى قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا} (٥) .

"... وانه عبر بالهم لمجرد وقوعه فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لالشبهة كما قيل" (٦) .

ومن المشاكلة قوله تعالى : {ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ...} (٧) .

يقول : "أى لم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو جزاء الجناية للمشاكلة " (٨) .

---

(١) سورة آل عمران : ٥٤
(٢) تفسير أبى السعود ٤٩١/١ .
(٣) سورة هود : ٣٨
(٤) تفسير أبى السعود ٤٢/٣ .
(٥) سورة يوسف : ٢٤
(٦) تفسير أبى السعود ٢٨/٣ .
(٧) سورة الحج : ٦٠
(٨) تفسير أبى السعود ١٢٨/٣ .

(٨) تجاهل العارف :

يقول فى قوله تعالى : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(١) . يقول :

"أى نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لايعلمه فان أريد بهم أخبارهم فالمعنى كأنهم لايعلمونه على وجه الايقان ولايعرفون مافيه من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ففيه ايذان بأن علمهم رصين لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لايعلمون أنه كتاب الله أو لايعلمونه أصلا كما اذا أريد بهم الكل"(٢) .

ولورود هذا الفن فى القرآن الكريم سماه السكاكى سوق المعلوم مساق غيره والصواب مافعل السكاكى وان لم يغير من جوهر المعنى شيئا .

(٩) المناسبة :

يقول فى قوله تعالى : {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ}(٣) يقول :

"ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث أن اذاقة النعماء وماس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل

---

(١) سورة البقرة : ١٠١
(٢) تفسير أبى السعود ٢٢٣/١ .
(٣) سورة هود : ٨

من الاجمال الواقع في قوله تعالى : {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} والمعنى أن كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونها ابتلاء للانسان أيشكر أم يكفر لايهتدي الى سلك الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلايظهر منه حسن عمل الا من الصابرين أو من حيث أن انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم" .(١)

ويشير الى المناسبة في قوله تعالى : {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ}(٢) فيقول :

"مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية قال ابن عباس رضي الله عنهما والمراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه مابعده والمراد باقترابه حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع استتباعها له ولسائر مافيها من الأهوال والأحوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم به" .(٣)

والمناسبة كما يقول السيوطي هي : "المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها الى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ، ونحوه" .(٤)

---

(١) تفسير أبي السعود ١٦/٣ .
(٢) سورة الأنبياء : ١
(٣) تفسير أبي السعود ٦٨٢/٣ .
(٤) الاتقان للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ٣٢٣/٣ .

والمناسبة من أروع الصور البلاغية التى جاءت فى القرآن الكريم وعلمها يعتبر سرا من أسرار بلاغته لأدائه الى تحقيق معانيه لمقتضى الحال . وقد عرفوها أيضا بقولهم : "علم تعرف منه علل الترتيب بين أجزائه بعضها اثر بعض" (١) .

وأبو السعود يعد من المفسرين الذين أبانوا حقيقة هذا الفن أو العلم الشريف وأوضحوا منزلته ، فهو علم دقيق المسلك لايهتدى اليه الا من أوتى ناصية البيان وقليل ماهم .

يقول فى قوله تعالى : {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ} (٢) :

"... والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشىء مكانا لآخر يقال له مكن له فى الأرض أى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى : {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ} وكلمة فى للايذان بأن ماجعل مقرا له قطعة منها لاكلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالأرض فى الثبات والقرار مع مافيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الأرض ، وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم فى قبوله عند وروده" (٣) .

ويقول فى قوله تعالى : {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٤) .

---

(١) الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، د. محمد أحمد يوسف القاسم ، دار المعارف الدولية القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٣١ .
(٢) سورة النور : ٥٥
(٣) تفسير أبى السعود ١٤١/٤ .
(٤) سورة يونس : ١٢

يقول : "... ووجه تعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث أن في كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الأولى ومن الفر المقرر في الأخرى"(١) .

(١٠) التجريد :

يقول في قوله تعالى : {ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون}(٢) .

"لهم فيها دار الخلد ، جملة مستقلة مقررة لما قبلها أي النار مبتدأ هي خبره . أي هي بعينها دار اقامتهم على أن في التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها"(٣) .

ومنه قوله تعالى : {فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدّهان}(٤) .

يقول : "... كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على أن كان تامة أي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال :

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة
تحوى الغنائم أو يموت كريم"(٥)

وتقدير التجريد أو يموت مني كريم ، وفيه نظر حيث أن

---

(١) تفسير أبي السعود ٦٣٨/٢ .
(٢) سورة فصلت : ٢٨
(٣) تفسير أبي السعود ٤٤/٥ .
(٤) سورة الرحمن : ٣٧
(٥) تفسير أبي السعود ٢٤٩/٥ .

حصول التجريد واقع بدون هذا التقدير .(١)

(١١) المذهب الكلامى :

ويسميه أبو السعود "الطريق البرهانى" ويعرفه البلاغيون بقولهم :

"هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام " .(٢)

وهذا الفن يكثر عند أبى السعود فكثيرا مايرد ذكره وهو يتكلم عن آيات القرآن الكريم وهذا يدل على أصالته فى بلاغة الكلام .

يقول أبو السعود فى قوله تعالى : {لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا } .(٣)

"ومن حق من يكون الها ألا يتعلق به ولابشأن من شؤونه ، بل بشىء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه ، فضلا عن أن يعجز عن دفع شىء منها عند تعلقها بهلاكه ، فلما كان عجزه بينا لاريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا فى حقه ، والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا ، لابطريق السخط والغضب ؛ واظهار المسيح على الوجه الذى نسبوا اليه الألوهية فى مقام الاضمار لزيادة التقرير ، والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى

(١) انظر الايضاح ٥٦/٦ .
(٢) الايضاح للقزوينى ٦٥/٦ .
(٣) سورة المائدة : ١٧

ونفى المالكية المذكورة بالاستفهام الانكارى عن كل أحد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط ، بأن يقال فهل يملك شيئا من الله ان أراد ... الخ لتحقيق الحق بنفى الألوهية عن كل ماعداه سبحانه ، واثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على أبلغ وجه وآكده " (١) .

ويقول فى قوله تعالى : {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله} (٢) .

يقول : "... وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون أو بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولايبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الأخيرين نصب على التشبيه بالظرف أو الحال كما فى صورة الكون التام وهو الأولى لأن فى انكار ثبوت العهد فى نفسه من المبالغة ماليس فى انكار ثبوته للمشركين لأن ثبوته الرابطى فرع ثبوته العينى فانتفاء الأصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفى توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ماليس فى توجيهه الى ثبوته لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعا فاذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهانى أى أو فى أى حال يوجد لهم عهد معتد به " (٣) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٩/٢ .
(٢) سورة التوبة : ٧
(٣) تفسير أبى السعود ٥٢١/٢ .

ويشير للمذهب الكلامي وهو يتحدث عن قوله تعالى : {اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} (١) .

يقول : "... ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما" (٢) .

ويتضح هذا النوع بجلاء حين يعرض لقوله تعالى : {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (٣) .

يقول : "ابطال لتعدد الالهة باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته . وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتحاد الآلهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونهما فيهما والا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولامساغ للاستثناء لاستحالة شمول ماقبلها ومابعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونهما فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لأنه متفرغ على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أى لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل ، لبطلتا بما فيهما جميعا ، وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة أن الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ماهما عليه اما بتأثير كل منهما وهو

---

(١) سورة فاطر : ٤٣

(٢) تفسير أبي السعود ٤٨٩/٤ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢

محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل عن الالهية قطعا وأعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الالهة فيهما والا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلايوجد موجود أصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم "[1] .

وقد أشار الجرجاني المتوفى سنة ٧٢٩هـ الى هذه الآية بقوله : "هي مقدمة وشرطية ، والاستثنائية نقيض التالي ،أى لكن لم تفسد السموات والأرض ، تنتج : ليس فيهما اله غير الله . وبيان الملازمة ماذكره المتكلمون وسموه برهان التمانع "[2] .

تلك نماذج لما استشهد به أبو السعود لهذا الفن الأصيل وهي غيض من فيض ولو أردت رصد كل ماجاء من أمثلة لطال بي الكلام ، ولكني أقول هو فن تحدث عنه أبو السعود كثيرا خلال تحليله للآيات ، مما جعلنا نذهب الى أن هذا من صميم البلاغة العربية وان كانت المعالجة فيه بطريقة المتكلمين .

---

(١) تفسير أبي السعود ٦٩٤/٣ .

(٢) الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة ١٩٨١م .

(١٢) التقسيم :

"وهو ذكر متعدد ثم اضافة مالكل على التعيين" كقول الشاعر :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ

إِلَّا الأَذَلَّانِ عَيْرُ الحَيِّ وَالوَتِدُ

هذا على الخسف مربوط برمته

وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

حيث ذكر عير الحى ،والوتد ، ثم ذكر مالكل ، فذكر مالحمار ، من أنه مربوط على الخسف ومالوتد من أنه يدق ويشج ، ولم يترك ارجاع كل الى السامع كما هو الحال فى اللف والنشر . وكيفية التعيين فى البيتين هى الاشارة فى قوله هذا وذا حيث أضاف "ها" التنبيه عندما أشار الى العير وهو قريب ، وها التنبيه تدل على زيادة القرب ، وهذه هى الفارقة بين الاشارتين .

وهذا الفن يكثر فى القرآن الكريم ، وقد أشار أبو السعود الى شواهد من هذا النوع فمما ذكر قوله تعالى فى سورة الأحزاب : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢) .

يقول : "تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم

---

(١) الايضاح للقزوينى ٦/٤٧

(٢) سورة الأحزاب : ٢٣

أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثانى لهم فى الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج الى البيان حالهم " (١).

ويقول فى قوله تعالى : {فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة} (٢).

"تقسيم وتنويع للأزواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى أحوالهم قبل تفصيلها" (٣).

(١٣) الاستدراج :

يقول فى قوله تعالى : {فلما نسوا ماذكروا به} (٤).

"عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم أى فانهمكوا فيه ونسوا ماذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه {فتحنا عليهم أبواب كل شىء} من فنون النعماء على منهاج الاستدراج" (٥).

والاستدراج "هو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو مايخوفه ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه" (٦).

ويشير الى الاستدراج فى قوله تعالى : {قل لو أن عندى ماتستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين} (٧) فيقول :

---

(١) تفسير أبى السعود ٤/٤١٠-٤١١ .
(٢) سورة الواقعة : ٨
(٣) تفسير أبى السعود ٥/٢٥٦ .
(٤) سورة الأنعام : ٤٤
(٥) تفسير أبى السعود ٢/٢٠٧ .
(٦) الأقصى القريب ص ١٠٣ ، البديع فى ضوء أساليب القرآن د. عبد الفتاح لاشين ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط/الثالثة ١٩٨٦م ص ١٢١ .
(٧) سورة الأنعام : ٥٨

"اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء أمر العذاب مفوضا اليه صلى الله عليه وسلم المستتبع لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له ، والمعنى - والله تعالى أعلم - بحال الظالمين وبأنهم مستحقون للاهمال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الأمر الى فلم يقض الأمر بتعجيل العذاب" (١) .

وقد قال عنه ابن الأثير (٢) أنه من مخادعات الأقوال التى تقوم مقام مخادعات الأفعال ، ورأى أن له الفضل فى ابتكاره واستخراجه من كتاب الله ، ولكن سبقه بذلك الزمخشرى فى كتابه الكشاف (٣) .

والمتأمل فى تفسير أبى السعود يلاحظ أن هذا النوع كثير فى تفسيره انظر اليه وهو يتحدث عن قوله تعالى : {أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون} (٤) .

يقول : "أيحسبون أن الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم .. كلا بل لانفعل ذلك بل هم لايشعرون بشىء أصلا كالبهائم لافطنة لهم ولاشعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات" (٥) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٢١/٢ .
(٢) راجع الباب الأخير من البحث .
(٣) تفسير الكشاف ١٢٧/١ .
(٤) سورة المؤمنون : ٥٦
(٥) تفسير أبى السعود ٧٠/٤ .

(١٤) الاستقصاء :

ويعرفه ابن أبى الاصبع بقوله : "هو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه ، فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لايترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا"[(١)] .

ومن شواهد هذا الضرب عند أبى السعود قوله تعالى : {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}[(٢)] حيث يقول :

"أى هو فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضىء بنفسه من غير مساس نار أصلا وكلمة لو فى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شىء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلايلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ماقبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق مايفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على أبعدها منه اما لوجود المانع كما فى قوله تعالى : {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}[(٣)] واما لعدم الشرط كما فى هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ماعداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشىء متى تحقق مع ماينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى

---

(١) بديع القرآن ص ٢٤٧ .
(٢) سورة النور : ٣٥
(٣) سورة النساء : ٧٨

ولذلك لايذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم أنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الاجمال ... وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضىء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أى يضىء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه "(١) . فقد استوعب جميع ماتقع الخواطر عليه فيه فلايبقى لأخذه مساغ ولالاستحقاقه مجال كما يقول ابن أبى الاصبع(٢) ، والآية كما نعلم من شواهد المبالغة عند البلاغيين .

ومن شواهد هذا النوع عند ابن أبى الاصبع قوله تعالى : {يتجرعه ولايكاد يسيغه}(٣) .

وقد علق عليها بقوله : "فاستخرجت منها عشرة أوجه من المبالغة لم يتسع هذا الهامش لذكرها"(٤) .

ومنه قوله تعالى : {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}(٥) يقول :

"ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الأحوال على سبيل الاجمال ، وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والأمر والنهى"(٦) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٤/١٢٠-١٢١ .
(٢) بديع القرآن ص ٢٥١ .
(٣) سورة ابراهيم : ١٧
(٤) بديع القرآن ص ٢٥١ .
(٥) سورة الأعراف : ٨٨
(٦) تفسير أبى السعود ٢/٣٧٢ .

(١٥) التفصيل :

وهو فن قريب من التقسيم ، وقد أشار ابن أبى الاصبع الى أن التفصيل على قسمين متصل ، ومنفصل ، فالمتصل منه كل كلام وقع فيه أما وأما ... ؟ وقيل ذلك اجمال ومابعد أما تفصيل" .(١)

ومن شواهد أبى السعود لهذا الفن قوله تعالى : {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون}(٢) حيث يقول :

"تفصيل لأحوال الفريقين بعد الاشارة اليهما اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع مافيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدىء بذلك عند الاجمال"(٣) .

ومنه قوله تعالى : {أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون ، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون.وأما الذين فسقوا ...}(٤) يقول :

"تفصيل لمراتب الفريقين فى الآخرة بعد ذكر أحوالهما فى الدنيا وأضيفت الجنة الى المأوى لأنها المأوى الحقيقى وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لامحالة"(٥) .

---

(١) بديع القرآن ص ١٥٤ .
(٢) سورة آل عمران : ١٠٦-١٠٧
(٣) تفسير أبى السعود ٥٣١/١ .
(٤) سورة السجدة : ١٨
(٥) تفسير أبى السعود ٢٥٦/٥ .

وقد يأتى هذا النوع بدون أما وأما ، ومن شواهده قوله تعالى : {أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} (١) .

حيث يقول : "تفصيل لما أجمل فى العمل وتعداد محاسن أفراده على وجه المدح والتعظيم ، أى فالذين هجروا الشرك والأوطان ، والعشائر للدين" (٢) .

وهذه الآية غير مرتبطة بأما وأما الا أنها جاءت على سبيل التفصيل ، أما النوع الآخر الذى سماه المفصل وهو مايأتى مجمله فى سورة ومفصله فى أخرى أو فى مكانين مفترقين من سورة واحدة كقوله تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} الى قوله تعالى : {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} الى قوله : {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (٣) فقوله وراء ذلك اجمال المحرمات جاءت مفسرة فى قوله تعالى : {وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}" (٤) .

(١٦) الاحتراس "الاحتراز" :

يقول فى قوله تعالى : {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ، فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى} (٥) .

"ولعل ايثار ماعليه النظم الكريم على أن يقال أن تضل احداهما فتذكرها الأخرى لتأكيد الابهام والمبالغة فى الاحتراز

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٥
(٢) تفسير أبى السعود ٣٦٢/١ .
(٣) سورة المؤمنون : ١، ٥، ٧
(٤) انظر بديع القرآن ص ١٥٥ .
(٥) سورة البقرة : ٢٨٢

عن توهم اختصاص الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالأخرى"[1] .

وهذا النوع سماه ابن سنان "التحرز" وعرفه بقوله : "وأما التحرز مما يوجبه الطعن كأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن فيأتي بما يتحرز ذلك الطعن"[2] .

وهذا الفن يكثر عند أبي السعود وحسبنا أن نشير الى بعض من أمثلته التي ساقها :

يقول في قوله تعالى : {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ}[3] .

"ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التغيير"[4] .

ويشير الى الاحتراز في قوله تعالى : {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ}[5] .

فيقول : "واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في الحرمات السابقات ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بين الأختين افضاؤه الى قطع ما أمر الله بوصله"[6] .

---

(١) تفسير أبي السعود ٤١٨/١ .
(٢) سر الفصاحة ص ٣٢٢ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٧
(٤) تفسير أبي السعود ٣٨٨/١ .
(٥) سورة النساء : ٢٣
(٦) تفسير أبي السعود ٦٧٤/١ .

(١٧) الاستدراك :

قال البغدادى : "وأما الاستدراك والرجوع فهو أن يبتدىء الشاعر بمعنى فينفى شيئا ثم يستدركه بما يؤيد هذا المعنى أو يثبت مانفاه أولا"[١].

وعرفه السبكى بقوله : "ان الاستدراك اما بعد تقدم تقرير[٢] كقوله تعالى : {إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم}[٣] أو بعد تقدم نفى كقوله تعالى : {ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى}[٤] وهذا القسم يرجع الى الطباق والرجوع".

وقد أسهب أبو السعود فى هذا النوع وأورد كثيرا فى تفسيره ، والمتصفح لتفسيره يراه بعد لحظة وأخرى .

يقول فى قوله تعالى : {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله ...}[٥] .

"... وهو أقوى بحسب المعنى لأن كل فريق يدعى أن البر هذا فيحب أن يكون الرد موافقا لدعواهم وماذلك الا أن يكون البر اسما كما يفصح عنه جعله فى الاستدراك بقوله ولكن البر من آمن بالله ، وهو تحقيق لملحق بعد بيان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لايختلف باختلاف الشرائع ومايختلف باختلافها

---

(١) قانون البلاغة فى نقد النثر والشعر ، تأليف أبى طاهر محمد بن حيدر البغدادى ، تحقيق د. محسن غياض عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط/الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ١١١-١١٢ .
(٢) عروس الأفراح ٤/٤٦٩ .
(٣) سورة الأنفال : ٤٣
(٤) سورة الأنفال : ١٧
(٥) سورة البقرة : ١٧٧

أى ولكن البر المعهود الذى يحق أن يهتم بشأنه ويجد فى تفصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك"[(١)] .

ويقول فى قوله تعالى : {عَلِمَ اللهُ أنكم ستذكرونهن ولكن لاتواعدوهن سرا}[(٢)] .

"استدراك محذوف دل عليه ستذكروهن أى فاذكروهن ولكن لاتواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض"[(٣)].

وهذا النوع من الكلام سماه ابن المعتز بالرجوع "وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة"[(٤)] . ومن ذلك قوله أيضا :

{ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا}[(٥)] .

يقول : "استدراك من الشرطية أشير به الى قياس استثنائى مؤلف من وضع نقيض تاليها الا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بأن الاقتتال ناشىء من قبلهم لامن جهته تعالى ... كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا"[(٦)] .

ومنه قوله تعالى : {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شىء قبلا .. ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون}[(٧)] .

---

(١) تفسير أبى السعود ٣٠٦/١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٣٥
(٣) تفسير أبى السعود ٣٦١/١ .
(٤) الايضاح ٦/
(٥) سورة البقرة : ٢٥٣
(٦) تفسير ابى السعود ٣٨٢/١ .
(٧) سورة الأنعام : ١١١

يقول : "استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لاقبله " (١) .

## (١٨) التتميم :

وقد عرفه ابن أبى الاصبع بقوله : "هو أن تأتى فى الكلام كلمة اذا طرحت من الكلام نقص معناه فى ذاته أو فى صفاته ولفظه تام " (٢) .

وهذا الفن طرقه أبو السعود فى تفسيره خلال تحليله لآيات القرآن .

يقول فى قوله تعالى : {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَاكَسَبَتْ وَلَكُم مَّاكَسَبْتُمْ وَلَاتُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٣) .

"ان أجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون مامر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان أريد سببه أعنى الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له " (٤) .

وعن قوله تعالى : {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٥) .

يقول : "فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتأييدا له بطريق التذييل تشجيعا لأصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدى للغلبة " (٦) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٦١/٢ .
(٢) بديع القرآن ص ٤٥ .
(٣) سورة البقرة : ١٣٤
(٤) تفسير أبى السعود ٢٦٦/١ .
(٥) سورة البقرة : ٢٤٩
(٦) تفسير أبى السعود ٣٧٧/١ .

وعن قول الله تعالى : {... وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان}(١) يقول :

"والمراد هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها ومالم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تحقيق بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله تعالى : {فأنبتنا فيها حبا وعنبا} الى قوله : {وفاكهة} وأما نفس التي أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظة الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي"(٢) .

ومنه قوله تعالى : {نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان}(٣) حيث يقول :

"الفرقان في الأصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة ، والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها ومالم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل : {فأنبتنا فيها حبا وعنبا} الى قوله : {وفاكهة} واما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي"(٤) .

ويشير أحيانا الى التتميم مع التكميل كما في قوله

---

(١) سورة آل عمران : ٤
(٢) تفسير أبي السعود ٤٣٥/١ .
(٣) سورة آل عمران : ٣-٤
(٤) تفسير أبي السعود ٤٣٥/١ .

تعالى : {صم بكم عمى فهم لايرجعون}(١) فيقول :

"فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بأن ماأصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها ، بل اختلت مشاعرهم جميعا ، واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا جامدين فى مكاناتهم ، لايرجعون ولايدرون أيتقدمون أم يتأخرون"(٢) .

ويقول عن قوله تعالى : {وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون}(٣) .

"تتمة للتمثيل وتكميل له أى تكميل له أى وجعلنا مع ماذكر من أمامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لايقدرون على ابصار شىء ما أصلا"(٤) .

والذى يبدو لنا من خلال عرفنا للأمثلة السابقة أن أبا السعود سار على نهج معظم البلاغيين أى أنه لم يفرق بين المصطلحين السابقين وان كنا نلحظ أن الأمثلة التى ساقها تنطبق على التتميم دون التكميل .

(١٩) التهذيب :

يقول فى قوله تعالى : {ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله}(٥) :

---

(١) سورة البقرة : ١٨
(٢) تفسير أبى السعود ٩١/١ .
(٣) سورة يس : ٩
(٤) تفسير أبى السعود ٤٩٤/٤ .
(٥) سورة البقرة : ١٤٠

"وتقديم الأول مع أنه متأخر فى الوجود لمراعاة طريقة الترقى من الأدنى الى الأعلى والمعنى أنه لا أحد من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة وأثبتوا نقيضها مما ذكر على الافتراء" (١) .

فحسن الترتيب فى النظم حصل بالاستقاء من الأدنى الى الأعلى .

(٢٠) الادماج :

يقول فى قوله تعالى : {الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا} (٢) .

"وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ماهم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة وقد نظم ذلك فى سلك الصلة التى حقها أن تكون معلومة الثبوت عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك" (٣) .

والادماج هو "أن يضمن كلام سبق لمعنى آخر" (٤) سواء كان مدحا أو غيره .

(٢١) العنوان :

قال تعالى : {ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم} (٥) .

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٧٣/١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٨
(٣) تفسير أبى السعود ٦١٩/١ .
(٤) الايضاح ٧٩/٦ .
(٥) سورة آل عمران : ١٠١

يقول : "وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز فى معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}(١)" .

(٢٢) التفسير بعد الابهام :

يشير أبو السعود الى فن التفسير أثناء تحليله للآية القرآنية الكريمة {ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان ...}(٢) فيقول :

"وهذا أسلوب بديع يصار اليه للمبالغة فى تحقيق السماع والايذان بوقوع بلاواسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفغيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة كما أن التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول"(٣) .

وعن قوله تعالى : {يحرفون الكلم عن مواضعه}(٤) يقول :

"وماعطف عليه بيان لاشترائها المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت فى النظم طريقة التفسير بعد الابهام ، والتفصيل اثر الاجمال ، وبالزيادة يقتضيه الحال"(٥) .

وقد عرف ابن أبى الاصبع التفسير بقوله : "هو أن يأتى المتكلم فى أول كلامه بمعنى لايستقل الفهم بمعرفة فحواه

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٥٢٥ .
(٢) سورة آل عمران : ١٩٣
(٣) تفسير أبى السعود ١/٦٢٩ .
(٤) سورة النساء : ١٦
(٥) تفسير أبى السعود ١/٧٠٥ .

اما أن يكون مجملا يحتاج الى تفصيل" .[(١)]

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم :

يقول فى قوله تعالى : {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}[(٢)] .

"... والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة ... أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لاعلى الظاهر بل على طريقة قول النابغة :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب"[(٣)]

فقوله : لاعيب فيهم نفى لصفات العيب عنهم ، ومجىء أداة الاستثناء "غير أنهم" توحى لنا بأنه سيثبت لهم عيبا الا أنه فاجأنا بخلاف ذلك حيث قال "بهن فلول" وهذه العبارة وصفتهم بالشجاعة ، وهى مدح وليست عيبا فأكد لهم المدح بما يشبه الذم .

وقد عرف البلاغيون هذا الضرب فقالوا :

(١) هو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشىء صفة مدح بتقدير دخولها فيها .[(٤)]

(٢) وأن يثبت لشىء صفة مدح ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له .

---

(١) بديع القرآن ص ٧٤ .
(٢) سورة الحج : ٤٠
(٣) تفسير أبى السعود ٢٨/٤-٢٩ .
(٤) الايضاح للقزوينى ٧٤/٦-٧٥ .

وقالوا ان الفرع الأول أفضل من الآخر لأن التأكيد فيه من وجهين :

أحدهما : أنه كدعوى الشيء ببينة .

وثانيهما : أن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلا فاذا نطق المتكلم بأداة الاستثناء توهم سامعه أن ماسيأتى بعدها مخالف لما قبلها . فيكون شيئا من صفة الذم . وهذا ذم . فاذا أثبت بعدها صفة المدح تأكد المدح لتكراره ، ولهذا الفن موقع طريف فى النفوس لما فيه من خلابة وخداع برىء .(١)

ويقول فى قوله تعالى : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} .(٢)

"... فالاستثناء من أعم العلل أى ماتنقمون منا وبيننا لعلة من العلل الا لأن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل من كتبكم ، ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به ، واسناد الفسق الى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد" .(٣)

وهذا الضرب من تأكيد المدح بما يشبه الذم يؤتى بالاستثناء فيه مفرغا ، ويكون العامل مما فيه معنى الذم ، ويكون المستثنى مما فيه معنى المدح .

ومعنى "تَنْقِمُونَ" تعيبون ، "وهذا لايقع الا على واحد من العيوب فلما سلط على الايمان بآيات الله ، وهو من أجل

---

(١) المصدر السابق ص ٧٥ .
(٢) سورة المائدة : ٥٩
(٣) تفسير أبى السعود ٢/٨١ .

المناقب والمفاخر كان تأكيدا للمدح بما يشبه الذم . لأن المستثنى فيه معمول الفعل الذى فيه معنى الذم " (١) .

(٢٤) الاكتفاء :

يشير أبو السعود لفن الاكتفاء كثيرا ، وهو يحلل الآيات القرآنية ، وهذا الفن البلاغي بحثه البلاغيون من قبل أبى السعود تحت باب الايجاز ، وجعله المتأخرون فى أنواع البديع وأفردوا له بابا خاصا .

يقول الحموى عن الاكتفاء : "هو أن يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى . وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين : قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها ، والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى كتب البديع ولافى شعر المتقدمين ..." (٢) .

غير أن ابن رشيق قال بوجوده فى الشعر القديم وكذلك المحدث منه كثير فهم يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقى على الذاهب كما يقول (٣) .

وأبو السعود ذكر هذا الفن فى مواضع كثيرة من تفسيره يقول فى قوله تعالى : {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ} (٤) :

---

(١) البديع من المعانى والألفاظ ، عبد العظيم المطعنى ص ٦٦ .
(٢) خزانة الأدب ص ١٢٦ .
(٣) العمدة ص ٢٥١ .
(٤) سورة النحل : ٨٠

"تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين عن الآخر أو لأن وقايته هى الأهم عندهم "[(١)] .

وقد ذكر الخفاجى[(٢)] فى كتابه هذه الآية شاهدا للاكتفاء ، وذكر تعليقا جيدا حولها ينبغى ذكره لأنه أولى بالقبول ، اذ يقول : "وأعلم أنه فى الآية المستشهد بها نكتة لطيفة ، لم ينبهوا عليها وهو أنه انما اقتصر على الحر لأنه أهم هنا ، لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ، ثم ان مايقى الحر يحصل منه برودة فى الهواء ، فى الجملة فوقاية الحر انما هى لتحصيل البرد ، وهذا فيه من اللطف ماهو ألطف من النسيم فلله در التنزيل ، فكم فيه من أسرار لاتتناهى"[(٣)] .

ويقول فى قوله تعالى : {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم}[(٤)] .

"... وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر مايوجبه من جهته تعالى كما اكتفى عنه فى الأول بذكر مايوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ماهو المقصود واشعارا بأنه المراد فيهما أيضا ولله در شأن التنزيل"[(٥)] .

ويقول فى قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ

---

(١) تفسير أبى السعود ٣٩٠/٣ .
(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، وتوفى سنة ١٠٦٩هـ . انظر مقدمة المحقق ص ٤ .
(٣) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ١٠٩/٢ .
(٤) سورة القصص : ٤٦
(٥) تفسير أبى السعود ٣٠٩/٤ .

لايعقلون شيئا ولايهتدون} (١) .

"... كأنه قيل أتتبعون دين آبائكم حال كونهم غافلين وجاهلين ضالين انكارا لما أفاده كلامهم من الاتباع على أى حالة كانت من الحالتين غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على أنها هى الواقعة فى نفس الأمر وتعويلا على اقتضائها للحالة الأولى اقتضاء بينا فان أتباعهم الذى تعلق به الانكار حيث تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلأن يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين أولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكارى بمنزلة النفى ولاريب فى أن الأولوية فى صورة النفى معتبرة بالنسبة الى النفى ..." (٢) .

ولهذا الفن وقع جليل على النفس ، وقد لحظ ذلك السجلماسى ، فعن النفس تصدر الفنية وترجع اليها لتذوقها وتتفاعل معها يقول السجلماسى : "وهذا النوع بالجملة هو من القول الجميل ذى الطلاوة والبهجة والعذوبة ، الجزل المقطع الغريب المنزع ، اللذيذ المسمع ، لما بين أجزائه من الارتباط ، ولما للنفس الناطقة من الالتذاذ بادراك النسب والوصل بين الأشياء ، ثم بابراز مافى القوة من ذلك الى الفعل وبالشعور به ، فلذلك توفر له من المزية ماتراه يباين به سائر النظوم" (٣) .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٠

(٢) تفسير أبى السعود ١/٣٠١ .

(٣) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للسجلماسى ص ١٩٥ .

(٢٥) الالتفات :

لون من ألوان الصياغة أضافه كثير من المتأخرين الى البديع ، وهو فن يعين المتذوقين على الايحاء بكثير من اللطائف والأسرار التى تكمن وراءه ، وله قدرة على استجلاب النفوس الواعية ، واستمالة القلوب الى كثير من المزايا وذلك بايقاظها وتحريكها . وتلك ميزة يحرص عليها كل من المتكلم والأديب .

وقد أدرك الزمخشرى القيمة الأدبية لهذا الفن من قبل فأشار اليه بقوله : "كأنه ضربة على أوتار النفس يزيدها تنبيها وايقاظا أو هزا وتحريكا" (١) .

ويلحظ أبو السعود تلك القيمة الفنية لهذا الفن ، حيث يقول فى قوله تعالى : {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٢) : "التفات من الغيبة الى الخطاب ، وتلوين للنظم من باب الى باب ، جار على نهج البلاغة فى افتنان الكلام ، ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام ، كما أن التنقل من أسلوب الى أسلوب ، أدخل فى استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم الى الخطاب ، والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما فى قوله تعالى : {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} (٣) ، وقوله تعالى : {حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم} (٤) الى غير ذلك من الالتفات الوارد فى

---

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى ص ٣٧٠ .
(٢) الفاتحة : ١-٤
(٣) سورة فاطر : ٩
(٤) سورة يونس : ٢٢

التنزيل لأسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ، ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجرى عليه من النعوت الجليلة التى أوجبت له تعالى أكمل تميزا ، وأتم ظهورا بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور ، فاستدعى استعمال صيغة الخطاب" (١) .

ومن صور الالتفات التى جاءت عند أبى السعود صيغة الالتفات من المتكلم الى الغيبة حيث يقول فى قوله تعالى : {يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} (٢) :

"عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئة والخلق والاحياء لقبول التوبة التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديره فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم وانما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم كم أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لالأسلافهم " (٣) .

ويشير الى الالتفات فى قوله تعالى : {ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن

---

(١) تفسير أبى السعود ١/٢٥-٢٦ .
(٢) سورة البقرة : ٥٤
(٣) تفسير أبى السعود ١/١٧٦ .

الخالقين} يقول : [١]

"... والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بأن ماذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية وللايذان بأن حق كل من سمع مافصل من آثار قدرته عز وعلا أولاحظه أن يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى" [٢] .

ويقول فى قوله تعالى : {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ} [٣] :

"أى ختما يمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع مافيه من الايماء الى أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية " [٤] .

وهذا الفن يكثر فى تفسير أبى السعود ، ويكفى ماأشرنا اليه من نماذج وحسبنا أن نقول انه فن كلما أمعنا النظر فى مواطنه من الكلام الرفيع تظهر لنا وجوه من الحسن تزيدنا احساسا بجمال الصياغة وجلال التعبير .

وقد بين ابن الأثير لنا علاقة التسمية بالموضوع فيقول "وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه من صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب الى حاضر الى غائب ... ويسمى أيضا شجاعة العربية

---

(١) سورة المؤمنون : ١٤

(٢) تفسير أبى السعود ٤/٥٢-٥٣ .

(٣) سورة يس : ٦٥

(٤) تفسير أبى السعود ١/٥١٥-٥١٦ .

وانما سمى بذلك لأن الشجاعة هى الاقدام ، وذاك أن الرجل الشجاع يركب مالايستطيعه غيره ، ويتورد مالايتورده سواه ، وكذلك هذا الالتفات فى الكلام ، فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات" (١) .

---

(١) المثل السائر ٢/١٨١ .

بديع اللفظ عند أبى السعود :

(١) براعة الاستهلال :

يقول فى قوله تعالى : {يوسف أيها الصديق} "أى أرسل اليه فأتاه فقال يايوسف ووصف بالمبالغة فى الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من براعة الاستهلال" (١) .

والاستهلال الافتتاح والابتداء ، فاستهل : أى رأى الهلال واستهل المولود صاح فى أول زمان الولادة واستهلت السماء جادت بالهلل وهوأول المطر قال المدنى : "ولك من هذه المعانى مناسب للنقل منه الى المعنى الاصطلاحى وان خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثانى وانما سمى هذا النوع الاستهلال لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به" (٢) .

(٢) حسن التخلص :

يقول فى قوله تعالى : {وراودته التى هو فى بيتها ..} يقول : "ولايخفى أن مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو بالتمكين المبالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الاتجاه السابق تحت الاشارة بذلك فى قوله وكذلك مكنا ، كما فعله الجمهور ناء عن التقرب .. وهذا باب لطيف المسلك" (٣) .

---

(١) تفسير أبى السعود ١٥٣/٣ .
(٢) أنوار الربيع للمدنى ٥٦/١ .
(٣) تفسير أبى السعود ١٢٦/٣ .

ومنه قوله تعالى : {ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، وأحلت لكم الأنعام إلا مايتلى عليكم}(١) يقول :

"وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل يحمل الأنعام على ماذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ماحرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى مابعده من قوله تعالى : {فاجتنبوا الرجس من الأوثان}(٢)" .

(٣) التجانس :

يقول عند قوله تعالى : {وقال يا أسفا على يوسف}(٣) :

"والتجانس بين لفظى الأسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما فى قوله تعالى ، {وهم ينهون عنه وينأون}(٤) وقول تعالى : {إثاقلتم إلى الأرض أرضيتم}(٥) ، وقوله {ثم كلى من كل الثمرات}(٦) وقوله : {وجئتك من سبأ بنبأ يقين}(٧) ونظائرهما"(٨) ولنا وقفة مع هذا الفن فى الباب الثالث ان شاء الله .

(٤) الفواصل القرآنية :

وينظر أبو السعود الى الفواصل القرآنية ويبين وجه الملاءمة بين مدلولها ومدلول الآيات السابقة حيث يقول فى

---

(١) سورة الحج : ٣٠
(٢) تفسير أبى السعود ٢٣/٤ .
(٣) سورة يوسف : ٨٤
(٤) سورة الأنعام : ٢٦
(٥) سورة التوبة : ٣٨
(٦) سورة النحل : ٦٩
(٧) سورة النمل : ٢٢
(٨) تفسير أبى السعود ١٨١/٣ .

قوله تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} (١) :

"وتفصيل هذه الآية بلايعلمون كما أنه أكثر طباقا لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لايتسنى الا بالنظر والاستدلال ، وأما النفاق ومافيه من الفتنة والافساد ومايترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فأمر بديهى يقف عليه من له شعور وكذلك الآية الكريمة السابقة بلايشعرون" (٢) .

ويقول فى قوله تعالى : {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}

"اعتراض تذييلى فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على مايعملون" (٣) .

ويلتفت الى الفواصل التى تشير الى اشارة قدرة الله فى هذا الكون ، ويوضح كيف تكون الفاصلة مشيرة اشارة واعية الى مدى هذه الآثار . يقول فى قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

---

(١) سورة البقرة : ١٣

(٢) تفسير أبى السعود ١/٨٠ .

(٣) تفسير أبى السعود ١/٢٤٥ .

والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون} (١) .

قال : "وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة مافيها من عظيم القدرة والحكمة على الوحدانية أظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ، ويجوز أن يكون المراد لقوم يعقلون ذلك ، فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التى لايتصدى لمعرفتها الا المهرة من أساطين علماء الحكمة ولاريب في أن احتياجها الى التفكر أكثر" (٢) .

ويلحظ أبو السعود أن القرآن يعدل من لفظ الى آخر مراعاة لحق الفاصلة ، يقول في قوله تعالى : {ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون} .

"... فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل ، وتعيين الوقتين لأن مايدور عليه أمر الجمال من تزيين الأفنية والأكناف بها ويتجاوب ثغاؤها ورغاؤها انما هو عند ورودها وخطورها في ذينك الوقتين وأما عند كونها في المراعى فينقطع اضافتها الحسية الى أربابها وعند كونها في الحظائر لايراها راء ولاينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على المسرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها أظهر منه في استتباع ماذكر من الجمال وأتم في استجلاب الأنس والبهجة اذ

---

(١) سورة النمل : ١٠-١٢

(٢) تفسير أبى السعود ٣٤٥/٣-٣٤٦ .

فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على أحسن مايكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع" (١) .

ويقول في قوله تعالى : {والله يعلم ماتسرون وماتعلنون} (٢) :

"أي مايظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل أي يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية مالايخفى" (٣) .

وكما نعلم أن الفواصل القرآنية في سور كثيرة متحدة النغم الصوتي ، وفيه تأثير عميق في نفس قارئه وسامعه مالايخفى "ولست أرفض أن يراعي القرآن حق الفاصلة فيبدل في كلمة أو يضع مكانها أخرى لأن هذا ليس أمرا لفظيا هينا كما فهمه كثير من البلاغيين وقليل منهم تنبه الى قيمة الأثر الصوتي أو الأثر الموسيقي في التأثير والايحاء وظل أكثرهم يفهم أن شؤون اللفظ لاتعدو أن تكون محسنات سطحية لاتتصل بجوهر البلاغة" (٤) .

وأبو السعود أحد المفسرين البلاغيين الذين يهتمون بالناحية الصوتية في تفاسيرهم فهو يفسر بعض الخصائص القرآنية تفسيرا قائما على اهتمامه بالناحية الصوتية .

يقول في قوله تعالى : {وتبتل اليه تبتيلا} (٥) مكان تبتلا

---

(١) تفسير أبي السعود ٣/٣٣٧ .
(٢) سورة النحل : ٢٣
(٣) تفسير أبي السعود ٣/٣٥٠ .
(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، دكتور محمد أبو موسى ص ٣٦٩ .
(٥) سورة المزمل : ٨

مع مافيه من رعاية الفواصل" .(١)

ويقول فى قوله تعالى : {ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لايظلمون}(٢) :

"بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء اثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الأعمال أى لايظلمون فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق ، وقد جوز أن يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الأعمال أى لايظلمون بتكليف ماليس فى وسعهم ولابعد كتابة بعض أعمالهم التى من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الأمور بالظلم مع أن شيئا منها ليس بظلم ماتقرر من أن الأعمال الصالحة لاتوجب أصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الأعمال السيئة لاتوجب درجة معينة من العذاب حتى بعد التعذيب بما فوقها زيادة ، وكذا تكليف مافى الوسع وكتب الأعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة مايستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه " .(٣)

وبعد ، فان الكتب التى جاءت فى نهاية القرن الثانى الهجرى ، تعتبر ثروة كبيرة تتناول بلاغة القرآن واعجازه ، ولعل من أهم هذه الكتب "مجاز القرآن" لأبى عبيدة ، و"معانى القرآن" للفراء ، و"مشكل القرآن" لابن قتيبة ،

---

(١) تفسير أبى السعود ٤١٣/٥ .
(٢) سورة المؤمنون : ٦٢
(٣) تفسير أبى السعود ٧٢/٤-٧٣ .

و "طبقات الشعراء" لابن سلام ، و "البيان والتبيين" للجاحظ ، و "الشعر والشعراء" لابن قتيبة ، و "الكامل في اللغة والأدب" للمبرد .

ان الدراسات القرآنية أثارت كثيرا من المسائل الفنية والجمالية فى الأسلوب ، والتى كان لها الفضل فى توجيه دراسات بلاغة القرآن فى مراحلها المختلفة ، فقامت جهود العلماء فى دراسات القرآن لحل اللغز الذى حير الناس وهو "الاعجاز" فتوصلوا الى دراسات ونتائج خدمت الأدب والبلاغة على السواء .

وقد كان للقرآن الكريم أثر مباشر فى توجيه آراء أبى السعود ، فنراه يبدأ القول عن النوع البديعى أحيانا بالتعريف ثم يسوق أمثلة له من القرآن الكريم كما فعل فى التجريد .

وأحيانا يعضد الشواهد القرآنية بشواهد أخرى من الشعر والنثر لتطبيق الفن عليها ، كما فعل فى فن الاكتفاء ، والالتفات ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وغيرها مما جاء فى تفسيره . انظر اليه وهو يعلق على الآية القرآنية التالية مستخدما حسه البلاغى .

يقول عن قوله تعالى : {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا}(١) :

"لئلا يكون لأحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٩ .

أو بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع أنها أفحش الأباطيل من قبل مافى قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل للاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كالذى فى قوله :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب" (١)

وقد يعرض لآية قرآنية ، فيلحظ كلمة فيها وجدت لغرض بلاغى تعين على فهم الآية القرآنية .

يقول فى قوله تعالى : {فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون} (٢) :

"وكلمة كانوا مقحمة للمقابلة لافادة دوام كذبهم وتجدوه بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم التجدد المستمر الذى هو قولهم {آمنا بالله وباليوم الآخر} وهم غير مؤمنين ، فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ، ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبى بمعنى الاذعان والقبول قطعا" (٣) .

ويبرز ذوقه الأدبى حين يلحظ أن الفاصلة غير وزنها مراعاة للفاصلة حتى لاتختفى الناحية الصوتية فيقول عن قوله {وتبتل اليه تبتيلا} مكان تبتلا لرعاية الفواصل" . وقوله : {أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون} (٤) ، حيث يقول :

---

(١) تفسير أبى السعود ٢٨٥/١ .
(٢) سورة البقرة : ٩
(٣) تفسير أبى السعود ٧٤/١ .
(٤) سورة النحل : ٢٩

"وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام أو لايهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات للغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم بما فعلوه } (١) .

وقد أثر القرآن الى حد ليس باليسير فى الذوق العربى والحس الأدبى عند أبى السعود ، وقد أمكن لهذا الذوق الذى رباه القرآن ونماه أن ينفذ خلال تفسيره حيث ظهر فى شواهد القرآن وماوجد حولها من معان وأحكام بيانية وجمالية .

وقد لاحظ أبو السعود مالشاهد القرآنى من جمال وروعة بمقارنته بالنصوص الشعرية والنثرية ، لذلك أكثر من الاشارة اليه ، وايراده ثم المقارنة بين فنون القول فيه وفيها . وهذا وضح لنا من خلال عدنا لأنواع البديع عنده .

ان تعلق ابى السعود بالقرآن الكريم ومافيه من معان بيانية وجمالية هو الذى أثر فى نفسه فاعتمد عليه وعلى المصادر العربية القديمة التى تعين على فهمه من شعر ونثر مطبقا فى ذلك فنون البلاغة على هذه المصادر .

---

(١) تفسير أبى السعود ٣٨٣/٣ .

الفصل الثانى

# بديع المعنى وبديع اللفظ

# فى سورة الرعد

{ألم ، تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون . الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين إثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون} (١) .

لقد أفاض الباحثون والعلماء فى الكلام حول الحروف (٢) المقطعة التى بدئت بها بعض سور القرآن الكريم ، فمنهم من توقف عن الادلاء بأى رأى فيها قائلا الله أعلم بمراده ، ومنهم من قال بأنها امتداد للتحدث بالقرآن الكريم وقد لفت نظرى رأى لصاحب الكشاف أرى أنه من أرجح الأقوال وأفضلها وفيه يقول : "ماورد فى هذه الفواتح من أسماء الحروف هو نصف أسامى حروف المعجم اذ هى أربعة عشرة وهى : الألف ،

---

(١) الآيات : ١-٥

(٢) انظر مباحث فى علوم القرآن ، د. صبحى الصالح ، ط/العاشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٥هـ ص ٢٣٤-٢٤٦ ، كتاب مناهل العرفان فى علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقانى ، دار الفكر ، بدون تاريخ ٢٢٥/١، ٢٢٨ .

واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ، وهذه الأربعة عشر مشتملة على أنصاف أجناس صفات الحروف ففيها من المجهورة نصفها الألف ، واللام ، والميم ، والراء ، والهاء ، والعين ، والطاء ، والقاف ، والياء ، والنون ، ومن الشديدة نصفها : الألف ، والكاف ، والطاء ،والقاف ، ومن الرخوة نصفها : اللام ، والميم ، والراء ، والصاد ، والهاء ، والعين ، والسين ، والحاء ، والياء ، والنون ، ومن المطبقة نصفها : الصاد ، والطاء ، ومن المنفتحة نصفها الألف ، واللام ، والميم ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والعين ، والسين ، والقاف ، والياء ، والنون ، ومن المستعلية نصفها : القاف والصاد ، والطاء ، ومن المستفلة نصفها : الألف ، واللام ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والعين ، والسين ، والحاء ، والنون ، ومن حروف القلقلة نصفها : القاف ، والطاء ، ثم قال :

"ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة فسبحان الذى وقت فى كل شىء حكمته " (١). وهو من أجل وأفضل الآراء حيث كشف عن مزايا صوتية أبان عنها الزمخشرى حين تكلم عنها . وقد تكلم السيوطى عنها أثناء حديثه عن حسن الابتداء فى البلاغة لأنه أول مايقرع السمع ويوقظ الأذهان حيث قال : "وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها

---

(١) الكشاف للزمخشرى ، دار المعرفة ، بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ١/١٠٠-١٠٣ .

وأكملها " .(١)

وقد بدت طرائق الكلام في هذه السورة قائمة على فني الطباق والمقابلة ، والتي تعد "أي المقابلة" طباقا الا أنها ليست بين مفردات فحسب كالطباق ، ولكنها مقابلة عدة معان ثم يذكر في محاذاتها مايقابلها من المعاني المتوافقة .

وفي هذه الآيات التي بين أيدينا جملة معان أو فنون بديعية قام نظم الآيات عليها ، حيث نلاحظ فيها فن الطباق بين قوله تعالى : السموات ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، ورواسي وأنهارا ، والليل ، والنهار ، وصنوان وغير صنوان ؛ وهكذا نجد العلاقة بين الكلمات التي جاءت في الآيات السابقة هي التضاد كما رأينا أو التناقض فكل جمع بين كلمات متضادة أو متناقضة هو طباق ، والتضاد والتناقض من حيث الطباق سواء بلافرق "والفرق بين الضدين والنقيضين لايجتمعان ولايرتفعان كالعدم والوجود ، والضدين لايجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض" .(٢)

ثم ان الملاحظ أن الطباق في الآيات السابقة طباق كله بين الأسماء ، السموات والأرض ، والشمس والقمر ؛ ورواسي وأنهارا ، وبين الليل والنهار ، وبين صنوان وغير صنوان . وهذا الأخير يسمى عند البلاغيين القدماء طباق السلب وهو طباق بين الأسماء كما نراه حيث جاء مرة مثبتا ومرة منفيا

---

(١) الاتقان للسيوطي ص ٣١٨ .
(٢) التعريفات ، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٣٧ .

وهذا النوع عرفه العسكرى بقوله : "هو أن تبنى الكلام على نفى الشىء من جهة واثباته من جهة أخرى أو الأمر والنهى عنه فى جهة أخرى ومايجرى مجرى ذلك" (١) . وهو بهذا التعريف يتسع المعنى للأفعال والأسماء جميعا مما يجعلنا نجد له من فصيح الكلام مايؤكد صحته ، وهذا لاينطبق على تعريف الخطيب الذى حصره فى الأفعال دون الأسماء .

ومما يشهد بصحة هذا التعريف قول الشاعر وهو من شواهد أبى هلال :

خفيف الحاذِ نسّالَ الفيافِي ... وعبدٌ للصحابةِ غيرُ عبدِ

حيث جاء كلمة "عبد" مثبتة مرة ومنفية أخرى .

ومن شواهد هذا النوع فى الأسماء قوله تعالى : {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَاهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ} (٢) حيث نجد فى الآية أمومة مثبتة وأمومة منفية . ومن شواهده ايضا قوله تعالى : {مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ} (٣) وقد تعرضت لها فى فصل التشعيب . وقوله تعالى : {وترى الناس سكارى وماهم بسكارى} (٤) . وهكذا نجد أن الطباق ليس الغاية منه أن نجمع بين معنيين متضادين فحسب ، بل لابد أن يكون هنالك مغزى وراء هذا الجمع وهدف لابد من أن يكون له فى المعنى اثر واضح يظل ببقائه ويذهب بذهابه . والا كان ضربا من العبث لاجدوى من ورائه .

فالتضاد بين الألفاظ فى المعانى كالتضاد فى جوانب

---

(١) الصناعتين لأبى هلال ص ٤٢١ .
(٢) المجادلة : ٢
(٣) الحج : ٥
(٤) الحج : ٢

الخلق وحقائق الوجود "ولن تكمل الحكمة والقدرة الا بخلق الشيء وضده ليعرف كل واحد منهما بصاحبه ، فالنور يعرف بالظلمة ، والعلم يعرف بالجهل والخير يعرف بالشر ، والنفع يعرف بالضر ، والحلو يعرف بالمر" (١) .

فالقضية اذا ليست قضية جمع بين متضادين وكفى ولكنها قضية بناء المعاني وتجليتها في صورة تعبيرية معينة تكون أمكن على وضوح المعنى المطلوب من غيرها . وهو ماوضح لنا من الآيات السابقة .

ثم ان هذه الآيات في مجملها مقابلة بين الأشياء العلوية والسفلية ، والمقابلة كما عرفها البلاغيون هي "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما ، أو يقابلها على الترتيب" (٢) .

فحين نقف أمام الآيات السابقة نلحظ خطوطها المتقابلة المتداخلة في نظام عجيب واتساق تام ، فنحن أمام ارتفاع في الفضاء المنظور يقابله ارتفاع في الغيب المجهول ، وأمام استعلاء يقابله التسخير ، وأمام الشمس والقمر يتقابلان في الجنس نجم وكوكب ويتقابلان في الأوان بالليل والنهار ، ثم ينزل الخط التصويري الهائل من السماء الى الأرض فيخط لوحتها العريضة {وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} حيث يبين المعالم التى اشتمل عليها العالم السفلي ، فهو الذى مد الأرض وبسطها ثم

---

(١) تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، دار الجبل ، بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ص ١٥-١٦ .
(٢) الايضاح للقزويني ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ١٦/٦
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ص ٢٠٧ .

رسم عليها الرواسى والثوابت وخطوط الأنهار الجارية فى الأرض ثم تمم هذه اللوحة بما يناسب هذه الخطوط وماتحتويه هذه الأرض من الكليات وملابسات الحياة فقال تعالى : {وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ} .

ولعل من أبرز سمات هذا المشهد تلك المقابلات الرائعة بين الرواسى الثابتة والأنهار الجارية ، وبين الزوج والزوج من كل الثمرات ، وبين الليل والنهار ، وبين مشهد الأرض كله ومشهد السماء السابق .. وهما متكاملان فى المشهد الكونى الكبير الذى يضمهما ويتألف منهما جميعا ، ثم يمضى السياق القرآنى المبدع فى تصوير وجه الأرض بصورة أدق من الصورة السابقة لها {وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . فنحن أمام تقابلات أخرى فى هذه الجزئية البسيطة من الآية حيث نجد التقابل بين القطع المتجاورات والنخل صنوان وغير صنوان ، والطعوم مختلفات وزرع ونخيل وأعناب ... وهكذا .

ومن أنواع البديع التى ألحظها فى هذه الآيات مراعاة النظير وهو فن يأتى على وجه غير الوجه الذى يكون عليه الطباق بجمع الصور المتقابلة فيحدثنا عن اليمين ليذكر بعدها الشمال ، ويمضى الى الأمام ليرجع الى الخلف ، وينظر فى الليل ليذكر النهار ، ويخوض فى البحر ليصل الى البر ، وهكذا يترامى بالكلام فى جهات متقابلة ، فان مراعاة النظير يبحث عن المعانى المتجانسة ويتجول بينها فاذا حدثنا عن السماء لايثب منها الى الأرض وانما يظل متنقلا بينها فيذكر

النجوم والقمر ، والسحاب والرياح والطيور وهكذا يضع في أيدينا جملة صالحة مما يدور هناك . واذا حدثنا عن البحر لايعبر منه الى البر وانما يقف فيه ليذكر أفلاكه وحيتانه وأمواجه ودرره وصدفه وهكذا يؤنسنا بمزيد من عطائه .

والآيات السابقة أرى أنها من هذا القبيل في جملتها فعند ذكر السماء ذكر استواءه على العرش ثم تنقل بينها فذكر الشمس والقمر وتسخيرهما وهي كما نرى في العلو مع السماء ، ثم انتقل الى الأرض وذكر الرواسي والأنهار ثم ثمرات الأرض والقطع المتجاورات ومابها من زرع وأعناب ونخيل وهي كما نرى متجانسة أشد التجانس وكأنها في المصحف رقعة خضراء ذات يناعة وثمر وهكذا نشاهد في النص التناسب ظاهرا حتى كأن هذه المجاميع المتناسبة ترى كألوان الخرائط .

وهذه الآية {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ} مسوقة للدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى وعجيب صنعه ودلائل وحدانيته ، وجاءت هذه الأشياء هنا لتقاربها في الأشكال والألوان والروائح والمنافع ومايجرى مجرى ذلك[١] . ولما كانت هذه الأشياء في غاية الوضوح من التقارب جاء ختمها {لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . ومما جاء من هذا القبيل قوله تعالى : {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ}[٢] حيث

---

(١) ينظر البحر المحيط ٥/٣٦٣-٣٦٤ بتصرف .
(٢) الرعد : ١٧

يتوزع التشابه والتناظر فى هذه الآية بين الماء والسيل والزبد والربو وهى متجانسة أشد التجانس وبين ألفاظ النار والذهب والايقاد والحلية والمتاع وهى أيضا متجانسة كما نرى .

وعند تأملنا للآيات السابقة مرة أخرى لاحظنا فنين بديعين آخرين هما نفى الشىء بايجابه أو عكس الظاهر . وهذا الفن عرفه ابن الأثير بقوله أن "تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفى لصفة موصوف وهو نفى للموصوف أصلا" (١) وذلك فى قوله تعالى {بغير عمد ترونها} أى "رفع السموات خالية من العمد فالوجه انتفاء العمد والرؤية جميعا فلارؤية ولاعمد" (٢) .

وبها فن آخر يقال له فن الاكتفاء . وعرفوه بقولهم : "هو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر" ومن ذلك قوله تعالى :{يغشى الليل النهار} (٣) حيث "اكتفى بذكر تغشية الليل والنهار مع تحقق عكسه للعلم به منه مع أن اللفظ يحتملها الا أن التغشية بمعنى الستر وهى أنسب بالليل من النهار" (٤) . ومنه قوله تعالى : {وفى الأرض قطع متجاورات} "حيث اكتفى بذكر المتجاورات ولم يذكر غير المتجاورات .

وأخيرا نلاحظ الآيات مرة أخرى فنجد أن الآية الأولى ختمت بقوله تعالى {لعلكم بلقاء ربكم توقنون} ، والثانية ختمت

---

(١) المثل السائر ٢٨٩/٢ .
(٢) اعراب القرآن وبيانه ، محيى الدين الدرويش ، دار الارشاد بحمص ، ط/الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م ٨٥/١٣ .
(٣) البرهان للزركشى ١١٨/٣ .
(٤) تفسير روح المعانى للآلوسى ، دار الفكر ، ط/١٤٠٣هـ ١٠١/١٣ .

بقوله تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} والتى تليها بقوله : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . ففى الآية الأولى قال توقنون ولم يقل تؤمنون دليل الى أن الايمان الذى يأتى عن طريق التأمل والتدبر فى آيات الله جميعها هو الايمان الخالص والكامل الذى يصل بصاحبه الى درجة اليقين .

وأما الآية الثانية فقد عقب سبحانه الآية بقوله {يتفكرون} اشارة الى أن ماذكر فى الأرض وماعليها من رواسى وأنهار وثمرات واغشاء الليل والنهار تنبيه الى عظم المشار اليه فهى تحتاج الى تفكر واطالة نظر ودوام تأمل حتى يقف المرء على دقائق وأسرار لاتبدو واضحة فى النظرة الأولى الا بعد تفكر وامعان نظر ، وأما ماجاء فى الآية الأخيرة التى ختمها سبحانه بقوله : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أى يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هاتيك الأحوال العجيبة وظهور الثمار المختلفة فى الأشكال والألوان والطعوم والروائح فى تلك القطع المتجاورة مع اتحاد ماتسقى به ، بل وسائر أسباب نموها لايتلعثم فى الجزم بأن ذلك صانع حكيم قادر مدبر لها . ولما كانت هذه اللوحة أظهر وأبين من سابقتها تدرك كونها آيات بمحض العقل فلاحاجة للتفكير فالنظر يدل على عظمة الخالق المدبر .(١)

قال تعالى : {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ

---

(١) انظر التفسير الأدبى لسورة الرعد ، الدكتور كامل سلامة الدقس ص ٦٤ .

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (١) .

المعانى اللغوية :

الأغلال : جمع غل وهو القيد الذى يوضع فى العنق وهو أشد التقييد . قال تعالى : {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ} (٢) .

المثلات : جمع مثلة – بفتح الميم وضم الثاء – وفى القاموس : المثلة العقوبة وما أصاب القرون الماضية من العذاب وهى عبر يعتبر بها ، يقول الزمخشرى : "المثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة" (٣) .

عندما ذكر الله سبحانه وتعالى فى أول السورة الكريمة الآيات الدالة على قدرته والداعية الى الايمان بالبعث بقطع دابر الشك ببرهان اليقين {لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} والتى اتضحت فيها قدرة القدير فى ملكوت السموات والأرض ، وتسخير الشمس والقمر وتسخير السحاب واجراء الأنهار ، وتنويع الثمار ، وقد استمدت من غذاء واحد ، وسقيت بماء واحد ، ومع ذلك كان منها الحلو والمر والنافع والضار ومنها مايصلح للغذاء ، ومايصلح للدواء ، وقد أبدع فيها من الحكم مايبدو لكل ناظر ، ويزداد وضوحا عند كل متمعن ، فقدرته لايمكن أن تكون موطن ارتياب أو محل شك وأن من بقى عنده بعد

---

(١) الرعد : ٥-٧
(٢) تفسير ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م ٩١/١٣ .
(٣) تفسير الزمخشرى ٣٥١/٢ .
(٤) اعراب القرآن وبيانه ، لمحيى الدين درويش ٨٦/١٣ .

هذه البراهين شك فقد أهمل قضية عقله وأعرض عن فطرته وحقت عليه كلمة الضلال ، ولايعرف الى الهدى طريقا (١) .

وقد بدأ السياق القرآني بحكاية أقوالهم العجيبة في انكار البعث والجزاء ، {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} .

ونلاحظ ارتباطها بما قبلها فهو تقرير وتأكيد "لذكر مسألة المعاد لأنه سبقه عرض هائل لذكر الدلائل القاهرة على مايحتاج اليه من أمر المبدأ" (٢) .

ثم ان الربط الذي جاء بواسطة حرف العطف "الواو" (٣) قد أحدث تناسقا صوتيا يملأ جرسه الفم ويقرع الأذان ، وفي تكرار اسم الاشارة "أولئك" الذي يدل على بعد المنزلة مايستوجبه أمر هؤلاء المنكرين الذين أهملوا عقولهم وأبوا الا عمى البصيرة عن الحق ، فالأغلال والنار جزاء لهم من جنس عملهم . ثم ان التعبير بالجملة الاسمية يفيد الاستمرار والثبات ، فهم ملازمون للنار لاينفكون عنها ولاتنتهي صحبتهم لها .

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} (٤) .

---

(١) انظر التفسير الأدبي لسورة الرعد ص ٣٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص ٩ .

(٣) انظر النظم القرآني في سورة الرعد ، محمد سعد الدبل عالم الكتب ص ٨٠-٨١ .

(٤) الرعد : ٦

ويبدو أنهم مولعون باستعجال السيئة قبل الحسنة ، وهذا يبين لنا مدى سخفهم وخساسة عقلهم ، وأن هذا الفعل ليس من العقل فى قليل ولاكثير ، والاستعجال هنا طلب التعجيل بالأمر ، والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته ، والسيئة كل مايسوء ونقيضها الحسنة وهى كل مايسر ، فهى مقابلة ونسج بديع حيث جاء فى صدر الآية جملتان فعليتان الأولى فعلها مضارع يدل على التجدد والاستمرار لأن الآية توضح معنى تمادى الكافرين فى ضلالهم وتمسكهم برأيهم وهو عدم الايمان الذى بينه طلبهم فى تعجيل العذاب ، والأخرى جاءت بفعل ماض مصدر بقد تحقيقا وتأكيدا لوقوع العذاب الذى قد حل بمن قبلهم سيحل بهم .

وفى عجز الآية نلاحظ جملتين اسميتين {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} تقابل أيضا من جنس مايعمله الناس . ومما يلفت النظر ذلك الجار والمجرور فى قوله {لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} ، فان كان من منة فهذا أمن ، بل شمول صفحه تعالى عن الناس ، ومغفرته لمن شاء أرحب وأوسع ، ثم تأمل ختام الآية الكريمة حيث جاءت فاصلتها مبنية على حرف الباء وقبله حرف مديد الصوت وهو "الألف" بينما جاءت فاصلة الآيات السابقة منتهية بحرفى الواو والنون ، وفى هذا التنويع تجدد لنشاط السامع والقارىء (١) .

ثم ان تقديم مغفرة الله على عقابه فى مقابل تعجل

---

(١) انظر النظم القرآنى فى سورة الرعد ص ٨٢ .

هؤلاء الغافلين قبل الهداية "ليبدو الفارق الضخم الهائل بين الخير الذي يريده الله لهم والشر الذي يريدونه لأنفسهم ، ومن ورائه يظهر انطماس البصيرة وعمى القلب والانتكاس الذي يستحق درك النار" .(١)

وجملة {وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} "احتراس لئلا يحسبوا أن المغفرة مغفرة دائمة تعريضا بأن العقاب حال بهم من بعد" .(٢)

والمثلات جمع مثلة كسمرة وسمرات وسميت بها لما بين(٣) العقاب والمعقاب عليه من المماثلة كقوله تعالى:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} على سبيل المشاكلة وهي فن بديعي عرفوه بقولهم "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا"(٤) وهذه الكلمة المثلات مصورة لمعناها بجرسها الذي تلقيه في الأذن وبظلها الذي تلقيه في الخيال .

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} .

ويلاحظ أن رابطة التقابل في الصفات بين قوله {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} : "فالانذار من نصيب الكافر والهداية ثمرة الانذار الذي من نصيب المؤمنين فكأن المخصوص بالذكر في هذه الآية المؤمنين والكافرين فذكر البشارة والانذار" .(٥)

وهكذا يبدو أن التقابل واضح في هذه الآيات بين السيئة

---

(١) في ظلال القرآن ٢٠٤٧/١٣ .
(٢) تفسير ابن عاشور ٩٥/١٣ .
(٣) الكشاف للزمخشري ٣٥١/٢ .
(٤) راجع هذا البحث ص ١٨٥ .
(٥) انظر تأملات في سورة الرعد ، د. حسن محمد باجودة ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٦٣ .

والحسنة وبين المغفرة والعقاب ، وبين الانذار والتبشير ، وكيف جسدت هذه المقابلة والمشاكلة هذه المعانى التى تتبعناها قبل قليل .

قال تعالى : {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ . سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} (١) .

المعانى اللغوية :

الأرحام : جمع رحم بفتح الراء وكسر الحاء وبكسر الراء وسكون الحاء مستودع الجنين فى أحشاء الحبلى وهى مؤنثة والرحم أيضا القرابة والمراد الأولى لا الثانية .

سارب : ذاهب فى سربه بالفتح أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الأرض سروبا . وفى المصباح : سرب فى الأرض سروبا من باب فقد ذهب وسرب الماء سروبا جرى وسرب المال سربا رعى نهارا بغير راع فهو سارب وسرب تسمية بالمصدر والسرب أيضا الطريق ومنه يقال خل سربه أى طريقه ، والسرب بالكسر النفس وهو السرب أى رخى البال ويقال واسع الصدر بطىء الغضب والسرب بفتحتين بيت فى الأرض لامنفذ له وهو الوكر (٢) .

---

(١) الآيات : ٨-١١
(٢) المصباح المنير ، مادة (سرب) .

معقبات : فيها احتمالان : الأول أن يكون جمع معقبة بمعنى معقب والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة أى ملك معقب ، ثم جمع هذا كعلامات ونسابات ، والثانى أن يكون جمع معقبة صفة لجماعة ثم جمع هذا الوصف كجمل وجمال وجمالات ، وقال الزمخشرى : "وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقديره من أمر الله أى من قضاياه ونوازله ، أو على التهكم به" (١) .

لقد انتهت الجولة الأولى فى الآفاق ، وجاءت هذه تبين مدى احاطة علم الله الواسع وشموله بكل شيء مابان وخفى {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ..} وهنا "يقف الحس مشدوها تحت وقع هذه اللمسات العميقة فى التصوير وتحت ايقاع هذه الموسيقى فى التعبير ، يقف مشدوها وهو يقفو مسارب علم الله ومواقعه ، وهو يتتبع الحمل المكنون فى الأرحام والسر المكنون فى الصدور والحركة الخفية فى جنح الليل ، وكل مستخف وكل سارب وكل هامس وكل جاهر ، وكل أولئك مكشوف تحت المجهر الكاشف يتبعه شعاع من علم الله ، وتتعقبه حفظة تحصى خواطره ونواياه . ألا انها الرهبة الخاشعة التى لاتملك النفس معها الا أن تلجأ الى الله تطمئن فى حماه وان المؤمن بالله ليعلم أن علم الله يشمل كل شيء ، ولكن وقع هذه القضية الكلية فى الحس لايقاس الى وقع مفرداتها كما يعرض السياق بعضها فى هذا التصوير العجيب .. وأين أية قضية تجريدية ، وأية حقيقة كلية فى المجال من قوله {اللَّهُ يَعْلَمُ

---

(١) الكشاف للزمخشرى ٣٥٢/٢ .

ماتحمل كل أنثى وماتغيض ...} حين يذهب الخيال يتبع كل أنثى فى الوبر والمدر .. وفى البدو والحضر ، وفى البيوت والكهوف والمسارب والغابات كل أنثى من الانسان أو الحيوان أو الطير .. ويتصور علم الله مطلا على كل حمل فى أرحام هذه الاناث وعلى كل قطرة من دم تغيض أو تزداد فى تلك الأرحام !!

وأين أية قضية تجريدية وأية حقيقة كلية فى هذا المجال من قوله {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} حين يذهب الخيال يتبع كل هامس وكل جاهر وكل مستخف وكل سارب فى هذا الكون الهائل ويتصور علم الله يتعقب كل فرد من بين يديه ومن خلفه ويقيد عليه كل شاردة وكل واردة آناء الليل وأطراف النهار !!

ان اللمسات الأولى فى اللوحة الفنية السابقة المعروضة فى مجال الكون الهائل ليست بأضخم ولاأعظم ولاأعمق من هذه اللمسات الفنية الأصلية الآخذة فى أغوار النفس والغيب ومجاهيل السرائر .. وان هذا لكفء لتلك فى مجال التقابل والتناظر" (١).

ان من بدائع التعبير القرآنى وجمال التصوير فى هذه الآيات انها مرتبطة ارتباطا وثيقا مع ماقبلها . فهم أنكروا البعث والجزاء وكان فى مظانهم أن تفتت أجزاء الجسم واختلاط الأجسام ببعضها حتى تصير ترابا فلايمكن التمييز بينها فجاءت هذه الآية البديعية التى تحتوى على علاقة

---

(١) فى ظلال القرآن ٤/٢٠٤٨ .

التضاد بين كلماتها ، تنبه على احاطة علمه جل شأنه ودحضا لمقولتهم الفارغة ، ثم ان علمه سبحانه لايقتصر على ماتحمله كل أنثى من ذكر أو أنثى وانما يعلم أيضا ماتغيضه الأرحام ، وماتزداده بل يعلم سبحانه فوق ذلك . ونلحظ أن التنظيم والتنسيق جاء فى الآية محتويا على بديع المعنى وهو الطباق وكيف أن الله يعلم ماظهر وماخفى من خلال أربع كلمات بينهما تضاد .

وقدم غيض الأرحام على زيادتها ، لأن ملاحظة الغيض للرحم أظهر للعين وأبين .

ثم ان علم الله واحاطته بكل شيء ، ضابط لكل شيء ومقدر لكل أمر قدره ، فكانت الفاصلة فى موقعها أحسن موقع فالأمر ليس فرطا ولاابن مصادفة وانما {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} (١) .

والحاصل أن هذه الآية لها علاقة بما سيأتى بعدها من الماء الذى تسيل به الأودية بقدرها فى السيولة والتقدير .. كما أن فى الغيض والزيادة تلك المقابلة المعهودة فى جو السورة على الاطلاق .

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} ، لفظ الكبير ولفظ المتعال "كلتاهما تلقى ظلها فى الحس ، ولكن يصعب تصوير ذلك الظل بألفاظ أخرى ، أنه مامن خلق حاوت الا وفيه نقص يصغره ومايقال عن خلق من خلق الله الكبير أو أمر من الأمور كبير ، حتى يتضاءل بمجرد أن يذكر الله وكذلك

---

(١) انظر التفسير الأدبى لسورة الرعد ص ٦١ .

المتعال أتراني قلت شيئا ؟! لا ولامفسر آخر للقرآن وقف أمام الكبير المتعال" كما قال الشهيد سيد قطب رحمه الله .[1]

وفي الآية نوع من أنواع البديع سماه القزويني "تشابه الأطراف" وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى .[2] فذكر سبحانه {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} بعد قوله {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} فكونه سبحانه عالم الغيب والشهادة يناسبه أن يذكر من أسمائه الحسنى الكبير المتعال فبكبره وتعاليه يحيط بكل شيء علما . وهذا النوع من مراعاة النظير يتميز عن بقية الصور بأنه يتوافر فيه قدر من التنظيم والملاحظة في توزيع المعاني المتناسبة حتىكأنه صنعة مفردة في بناء الكلام . وهو كما نرى يهدى الى دقائق في أسلوب القرآن وبلاغته وقد عد ابن أبي الاصبع في كتابه بديع القرآن قدرا صالحا منها .

{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} .

نلحظ وجود مقابلة بين قوله أسر ، وجهر ، ومستخف بالليل ، وسارب بالنهار . ثم ان كلمة مستخف تعني المبالغة في الاختفاء كأن فوق اختفائه طالب للمزيد من الخفية كما يفهم من السين والتاء .

والذي يفهم من الآية أن المقصود تقرير شمول العلم وذلك عن طريق المبالغة المدمجة في المقابلة . وقدم سبحانه أسر على جهر ، ومستخف على سارب لأن تعلقه سبحانه بالسر

---

(١) في ظلال القرآن ٤/٢٠٤٩ .
(٢) الايضاح للخطيب القزويني ص ٢١٢ .

والمستخفى أمكن لتقرير الشمول ، وقد أردف سبحانه المستخفى بالليل والسارب بالنهار لتأكيد الاستخفاء والسروب ، فالليل أعون على الاستخفاء والنهار أجلى للسروب وهو تأكيد قائم على فن المقابلة كما نرى .

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} (١) .

والآية وطيدة الصلة بسابقتها ، حيث يتكلم عن الانسان الذى يسر القول ، ويخافت أو يظهره ويجهر به ، أو يحتجب عن الأنظار فى هدأة الليل أو يتحرك بين الناس فى وضح النهار .. هذا الانسان له جند يحرسونه ويحفظونه ، يرقبون كل خطوة له فيرصدونها .

والمعقبات هم هؤلاء الجند ، يرون الانسان ولايراهم ويرصدون أعماله وهو لايدرى من أمرهم شيئا (٢) . ثم تأمل كيف جاء النظم قائما على الفن البديعى الغالب على آيات السورة الكريمة وذلك أنها تتحدث عن الشىء ومايقابله ، ففى قوله {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} طباق معنوى أى من أمامه ومن ورائه ثم انها تشتمل على صفتين متقابلتين فالصفة الأولى هى صفة الحفظ ، والأخرى هى المقابلة لها وهو الحاق السوء بمستحقيه وانزال الهلاك بهم . ثم ان قوله واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، تتميم لتدارك ماذكر سابقا (٣) . وهو فن بديعى معناه

---

(١) آية : ١١
(٢) انظر التفسير الأدبى لسورة الرعد ص ٦٣ .
(٣) انظر روح المعانى للألوسى ١١٦/٥ .

أن يتم الكلام ، فيلحق به مايكمله اما مبالغة أو احترازا أو احتباكا[1] . وفي الآية على مايبدو أنه وقع احتراز ذلك لأنها تدفع ماقد يتوهمه متوهم من أن العالم خاضع لما يجرى من العباد ويأتونه من خير أو شر فأين قدرة الله واطلاق مشيئته وارادته ؟ فجاءت هذه الآية لدفع ذلك التوهم ورد الأمر الى وضعه الحقيقي ، ببيان أن من يهد الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادي له ، وماتشاءون الا أن يشاء الله[2] .

قال تعالى : {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ . لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ، قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[3] .

المعاني اللغوية :

البرق : عبارة عن النور اللامع ساطعا من السحاب .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧٠/٣ .
(٢) التفسير الأدبي لسورة الرعد ص ٦٦ .
(٣) الآيات : ١١-١٦

الرعد : عبارة عن صوت احتكاك الهواء الناشىء من تفريغ جزء منه بسبب اصطدامه بالشرارة .(١)

المحال : المماحلة وهى شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان . قال الأعشى :(٢)

فَرْعُ نَبْعٍ يَهُشُّ فى غُصُنِ الْمَجْدِ
عَزِيزُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ

أى شديد القوة وفى الأساس ، وماحله كايده وهو شديد المحال ورجل متماحل فاحش الطول وبلد متماحل : بعيد قال يصف فرسا :

مِنَ الْمُسْبَطِرَّاتِ الْجِيَادِ طِمِرَّةٌ
لَجُوجٌ هَوَاهَا السَّبْسَبُ الْمُتَمَاحِلُ

ضلال : ضياع وخسارة ، وهو هنا بمعنى الباطل الذى لاغناء فيه ولانفع منه .

ظلالهم : جمع ظل وهو ستر الشخص مابازائه والظل والظليل وأما الفىء فهو الذى يرجع بعد ذهاب ضوئه لسترها .(٣)

الاصال : جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو مابين العصر الى مغرب الشمس .

يلاحظ فى الآيات أنها سلكت أو أخذت طابعها العام وهو الجمع بين الصفات المتقابلة ، وأن المعانى فيها يغلب عليها التطابق والتقابل فالخوف مع الطمع ، والترهيب مع الترغيب هذا التضاد نوع من المناسبة لأن الضد أقرب خطورا

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٤ .
(٢) أساس البلاغة للزمخشرى ، مادة (محل) .
(٣) التفسير الأدبى لسورة الرعد ص ٦٩ .

بالبال عند ذكر ضده .

ثم هناك نوع آخر من بديع المعنى يطلق عليه التقسيم وفيه من التنظيم وتوزيع المعانى مايملأ النفس بجلاله وهو عبارة عن تقطيع وحدات متكاملة وهذا التقطيع نفسه مزية معنوية ونغمية معا ، وقد ذكر ابن حجة ماذكره البلاغيون فى معنى التقسيم ثم قال : ويعجبنى بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال فى التقسيم : "عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} وليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق أو الطمع فى الأمطار ولاثالث لهذين القسمين" (١) .

وهذا موضع دقيق – كما نظن – يتورط فيه أرباب النظم والنثر وهو مظنة الغلط لأنه يحتاج الى شفوف طبع وثقوب نظر .

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} .

تأمل قوله تعالى {ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته} كيف خلع سمات الحياة والحركة على من ليس من شأنه الحياة كالجمادات وغيرها من مشاهد الكون الصامتة لتشارك فى المشهد بحركة من جنس حركة المشهد كله فهو مشهد احياء فى جو طبيعى وفيه الملائكة تسبح من خيفته سبحانه وفيه دعاء الله ودعاء للشركاء وفيه باسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة ص ٤٤٣ .

وماهو ببالغه .. ففى وسط هذا المشهد الداعى العابد المتحرك اشترك الرعد ككائن حى بصوته فى التسبيح والدعاء . ثم يكمل جو الرهبة والابتهال والبرق والرعد فيصيب بها من يشاء وفى هذا تتمة الدلائل السابقة التى تملأ النفوس رهبة وخشية ، ولعلها أشدها فى ايجاب الحذر والخوف فالصواعق تنقض على حين غفلة وتنزل على ماتصيبه فأين منها المفر وهى تصيب بها من يشاء ؟ وكل هذه الدلائل الباهرة تتراءى لهؤلاء المعاندين وتتكرر أمامهم وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال .(١)

وهذا تعقيب جميل يدل على عظيم قدره سبحانه وأنه هو القاهر فوق عباده بيده الأمر وهو شديد المحال أى شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لايحتسبون . وقد جاءت الخاتمة على سبيل المشاكلة وقد مر ذكرها .

أرأيت كيف جسدت المعانى فى هذه الآية ؟ وأنها قامت على فن المقابلة التى مرت بنا قبل قليل والتى جاءت بين تسبيح الرعد وتسبيح الملائكة وجو الرهبة والابتهال ودعاء الله ودعاء غير الله وباسط كفيه ... الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وفى هذه الجملة "الا كباسط كفيه الى الماء" حيث نجد فيه من حسن الأسلوب مايأخذ العقول ، فكلمة "الا" كأنها تفتح ذهن السامع الى انهم قد حصل لهم استجابة ما فيتلهف ليعرفها ويريد أن يتلقفها واذا بها الاستجابة المؤيسة تمام اليأس ، هى استجابة من لايعقل ولايسمع ولاتغنى عنك شيئا ، فهى أشبه شىء بما يسميه علماء البلاغة تأكيد الذم بما يشبه المدح أى ان كان من الماء لمن يدعوه

---

(١) انظر فى ظلال القرآن ٢٠٥١/٤ .

استجابة فيكون من تلك الأصنام لهم استجابة .

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ} .

والذي نلحظه أن الآية قائمة على التضاد بين قوله السموات والأرض ، وطوعا وكرها والغدو والاصال . فالعلاقة بين الكلمات السابقة هي التضاد والتقابل ، وهذا يعني خضوع الكائنات بأجمعها لنواميس تكوينة وآثار قدرته وذلك لايأتي الا عن طريق المقابلة المعهودة ، وهو مانلحظه أيضا في الآية التالية .

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لايَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} .

فنلحظ أن المقابلة كانت بين من لايملك لنفسه نفعا ولاضرا ، ومن هو القهار القادر على كل شيء ، وكانت أيضا بين الأعمى من لايدرك الحقائق والبصير الذي يدركها ، وبين الظلمة التي تعتم النفس والنور الذي يشرق به القلب ، ومن يخلق ومن لايخلق وهي كما نرى ينابيع للمسترشد وكأنها بمثابة الفصل الهادي المرشد . ففي المقابلة الأولى بين من لايملك لنفسه نفعا ولاضرا فهما ليسا متساويين ونراه في المقابلة الأخرى نفي التسوية بين من أدرك الحق واهتدى ومن ضل وغوى والأخير كالأعمى والأول كالبصير ، وهكذا (١) :

(١) انظر المعجزة الكبرى القرآن ، لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر ، ط/بدون ص ٣٢٢-٣٢٣ .

ويلاحظ فى قوله تعالى {خلقوا كخلقه} فن يقال له التهكم وهو قول ظاهره جد وباطنه هزل لمجيئه على سبيل الاستهزاء والسخرية . وسياق الآية تهكم لأن غير الله لايخلق خلقا البتة لابطريق المشابهة ولا المساواة ولابطريق الانحطاط والقصور ، فقد كان يكفى فى الانكار عليهم أن الشركاء الذين اتخذوهم لايخلقون مطلقا ولكن جاء قوله تعالى كخلقه تهكما يريد الانكار تأكيدا .

ثم نلاحظ فى الآية فنا بديعيا يسمى المذهب الكلامى وعرفه أبو حيان فى تفسيره حين تكلم عن الآية السابقة بقوله "هو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضروب من المعقول"(١) ومن ذلك انطلاق الجواب من السائل اذ لاجواب غيره كما فى قوله تعالى : {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} يقول : "ولما كان السؤال عن أمر واضح لايمكن أن يدفع فيه أحد كان جوابه من السائل ، فكان السبق اليه أفصح فى الاحتجاج اليهم وأسرع فى قطعهم فى انتظار الجواب منهم اذ لاجواب الا هذا الذى وقعت المبادرة اليه كما قال تعالى : {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ}(٢) .

قال تعالى : {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٣٧٨/٥ .

(٢) سبأ : ٢٤

الحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ} .

{أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ}(١) .

المعانى اللغوية :

احتمل : أى حمل فانتقل بمعنى المجرد أو هو بمعنى المطاوع كما يفهم من عبارة الأساس وحملت الشىء وحملنيه غيرى فاحتملته وتحملته ومن المجاز حملت اذلاله على واحتملته قال :

أَوْلَتْ فَلَمْ أَحْمَدْ وَقَالَتْ فَلَمْ أُجِبْ
لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّنِى لَظَلُومُ .

زبدا : هو مايعلو وجه الماء ويقال له الغثاء والرغوة

جفاء : قال ابن الأنبارى : الجفاء المتفرق يقال جفأت الريح السحاب أى قطعته ومزقته . وقيل الجفاء مايرمى به السيل يقال جفأت القدر بزبدها تجفأ من باب قطع وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل باللام وفى همزة جفاء وجهان أظهرهما أنها أصل لوجودها فى تصاريف هذه المادة والثانى أنها بدل من واو(٣) . وقال فى الأساس : "ذهب الزبد جفاء أى مدفوعا مرميا به قد جفاه الوادى الى جنباته ، ويقال جفأت القدر

---

(١) الآيات : ١٧-١٩
(٢) أساس البلاغة ، مادة (حمل) .
(٣) اعراب القرآن وبيانه ، محيى الدين درويش ١٣/٨٨ .

بزبدها ، ومر جفاء من العسكر الى البيات أى جماعة معتزلة من معظمه وتقول سامه جفاء ونبذه جفاء اذا عزله عن محبته ".[1]

عندما ضرب الله فى الآيات السابقة مثل الأعمى والبصير والمؤمنين والكافرين ومثل النور والظلمات للايمان والكفر ضرب هنا مثلا للحق وأهله وللباطل وحزبه فقال تعالى : {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} .

انطوت الآية السابقة على أنواع بديعية نلخصها فيما يلى :

(أ) ضرب المثل :

فى الآية مثلان ضربهما الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل للحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية بقدرها فتخضر وتنبت وتزدهر وينتفعون بأنواع المنافع والجواهر التى يصوغون منها الحلى والآلات التى تضفى عليهم القوة والهيبة والجمال والبأس الشديد وان ذلك كله ماكث فى الأرض لاتخلق له جدة ولاتذبل منه نضارة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنافع بزبد السيل الطافى الذى تقحمه العين وينبو عنه البصر لعدم جدواه وبالوضر

---

(١) أساس البلاغة ، (جفأ) .

الذى يطفو فوق الجوهر اذا أذيب . وهو كما نرى قائم على المقابلة .

(ب) وأما النوع الآخر الذى نعنيه هو ذلك الفن الذى يشتد تلاحمه وتقوى قرائنه كلما دققنا النظر والتفكير فى ألوان معانيه ، ونعنى به "مراعاة النظير" .

فالتشابه والتناظر فى هذه الآية يتوزع فى الألفاظ : الماء والسيل ، والزبد والربو . وألفاظ النار والجوهر والفلزات المعدنية وألفاظ الايقاد والحلية والمتاع وهى كما ترى ألفاظ متجانسة أشد التجانس .

والناظر فى تشابكها وتلاحمها لابد أن يكون نظره رهفا نافذا لأن ألوان المعانى التى هو بصدد التعرف عليها ليست ألوانا فاقعة وتراها العيون وانما هى غلالات شفيفة تلمحها القلوب ، كما يقول ابن جنى (١) .

فتأمل الآية تجد القضية ، مسألة صراع بين الحق والباطل ، فالحق هو القرآن الكريم فى نزوله من عند الله واستقراره فى قلوب المؤمنين وثباته فيها وانتفاعهم بالماء النازل من السماء السائل فى أودية كل واد وماقدر له ، وهذا الماء ينزل من السماء فتسيل به الأودية يحمل معه فى جريانه واندفاعه غثاء ورغوة وزبدا فيختلط بالماء فيعكر صفوه . وهناك صورة أخرى تشبه هذه الصورة تلك هى صهر المعادن من ذهب وفضة ونحاس ورصاص بالنار فتتحول الى سوائل أشبه بالماء ومن ثم تتخلص من الشوائب التى علقت بها فتصبح

---

(١) الخصائص لابن جنى ٣٤/٢ .

نقية صافية ينتفع بها الناس فى حياتهم . فهذه المعادن حين تنصهر ، يعلو سطحها زبد أشبه بالزبد الذى يعلو فوق سطح الماء عند جريان السيل ، وأن هذه الشوائب التى تختلط بالمعدن المنصهر هى خبث يلقى به بعيدا عن جوهر المعدن حتى يخلص للطرق والصقل ، ويصبح آنية نافعة أو حلية ثمينة .

ثم ان هناك نوعا آخر من بديع المعنى "التقسيم" ، وهذا النوع عده الشيخ عبد القاهر الجرجانى مما يتحد فيه الوضع ويدق فيه الصنع وقال "فاعلم أنه النمط العالى والباب الأعظم الذى لاترى سلطان المزية يعظم فى شىء كعظمه فيه" (١) .

وهذا النوع هو التقسيم وقد عرفه الخطيب بقوله : "ذكر متعدد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين" (٢) .

فانظر الى قوله : {كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} .

فقد ذكر سبحانه الحق والباطل ثم ذكر مالكل على التفصيل ، وقد يكون من باب الجمع مع التقسيم .

وفى قوله تعالى : بقدرها احتراس بديع ، ثم ان الآية قائمة على فن المقابلة وأدمجت فيها هذه الفنون الأخرى فكانت فى أبهى نظام ، حتى نفذت بالنفوس نفاذا لانجده فى كلام العرب .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٧٤ .
(٢) الايضاح ص ٢٠٣ .

كذلك يضرب الله الأمثال . وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله تعالى {يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ} فما أروعه من تعقيب .

ومن الملاحظ أيضا أن هناك لف ونشر فى هذه الآية ، من قوله {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ ...} الخ يقول الألوسى : "وتغيير ترتيب اللف الواقع فى الفذلكة الموافق للترتيب الواقع فى التمثيل قيل لمراعاة الملاءمة بين حالتى الذهاب والبقاء وبين ذكرهما بأن المعتبر انما هو بقاء الباقى بعد ذهاب الذاهب لاقبله" (١) .

أرأيت كيف جاء النظم على التمثيل ومن ثم تفرعت هذه الفنون عن التمثيل حتى جاء النظم متحدا مترابطا ، كما رأينا ، وهو نظم لانبتغى عنه حولا ولانجد له بدلا ، ولقد قال الزمخشرى عن التمثيل كلاما قيما وهو : "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى من ابراز خبيئات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى يريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبى" (٢) .

ويقول أبو السعود : "القول السائر الذى يمثل مضربه بمورده ، وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير فى البلاد وخليقا بالقبول استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب ، وخطر غريب من غير أن يلاحظ

(١) روح المعانى للألوسى ١٣٢/٥ .
(٢) تفسير الكشاف ١٩٥/١ .

بينهما وبين شيء آخر تشبيه الذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ، لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد " (١) .

نلاحظ أن النظم هنا جاء مبنيا على المقابلة بين قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ، بينهما تضاد يبين الفارق العظيم بين الصفتين فالذين استجابوا في شوق لأن يروا ماوعدهم به الله والذين لم يستجيبوا في خوف بما أعده الله لهم من عذاب مقيم . قال الآلوسي : "وهي على ماقيل واقعة موقع السوأى المقابلة للحسنى الواقعة في القرينة الأولى فكأنه قيل : وللذين لم يستجيبوا له السوأى ... فالذي ينبغي أن يعول عليه أن الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى {أولئك لهم سوء الحساب} وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبره أعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا ، ولذلك ترك العطف فكأنه قيل "والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال : وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن مقابلة على أبلغ وجه وآكده " (٢) .

---

(١) تفسير أبي السعود ٨٧/١ .
(٢) تفسير روح المعاني ١٣٣/٥ .

ثم يلاحظ أن الفاصلة تلتئم بالمعنى وتكمله ويلاحظ مافيها من سوء الخاتمة لهؤلاء الذين لم يستجيبوا له فمأواهم جهنم وبئس المهاد . أى "بئس الفراش والوطاء جهنم التى هى مأواهم يوم القيامة" كما يقول ابن جرير .(١)

لما كانت المقابلة فى الآيات السابقة بين الماء والنار وبين الحق والباطل وبين ماينفع الناس فيمكث فى الأرض ومايذهب جفاء وبين الذين استجابوا لربهم يوم القيامة والذين لم يستجيبوا له ، جاءت المقابلة فى هذه الآية {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} . جاءت المقابلة هنا فى اجمال تام بين فريقين من الناس ـ العمى والمبصرين ، فالذين يتذكرون انما هم أولو الألباب ، فالعمى هم عمى القلوب والبصائر ، والمبصرون تشير الى مبصرى القلوب والبصائر . فالحظ هذا التناسق العجيب الذى يثير الانتباه ، فهما عالمان متضادان.(٢)

قال تعالى : {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} .(٣)

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١٣/١٣٨ .
(٢) انظر تأملات فى سورة الرعد ، د. حسن باجودة ص ١٣٩ .
(٣) الآيات : ٢٠-٢٤

بعد أن ذكر الله سبحانه المثل بين فريقين من الناس عمى ومبصرون وأوضح أنه لايتذكر الا أولو الألباب ناسب أن يذكر من هم أولو الألباب ومايناله من جزاء مقيم يوم القيامة ، وصلة هذه الآيات بسابقتها اتصال تعقيب واستطراد وقد سجلت الآيات التالية وصفا محببا لمن يشع الايمان فى صدورهم ، وهم أولئك الذين تمسكوا بهدى الله ورسوله . وكان هذا الوصف فى تسع صفات جليلة كانت تفصيلا وتصريحا لما تضمنه ذلك المثل الجليل فى قوله تعالى : {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} ... الخ ولعل من شدة الارتباط بين المثل على اجماله وبين ماجاء لشرحه وتفصيله ظن بعض المفسرين أن قوله {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} بدل من قوله {أُولُو الْأَلْبَابِ} أو من قوله {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} ونلاحظ أيضا أن قوله الذين يوفون : مبتدأ موصوف بتسع صفات هى يوفون بعهد الله ، ولاينقضون الميثاق ، ويصلون ماأمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة وخبره أى المبتدأ قوله تعالى : {أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} وكذلك قوله {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} وخبره {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} ولكن الملاحظ فى الآية الشريفة فى قوة الارتباط كأنها كلام واحد وجملة واحدة ، فترى فوائدها المتنوعة المتكررة وكأنك لاتزال فى الكلام الأول وهذا من أهم وأجل الميزات التى امتاز بها الكتاب الكريم . ثم ان هذا النمط البديعى الذى يسميه البلاغيون اللف والنشر أوالاجمال بعد التفصيل وعرفوه بقولهم

"ذكر متعدد على التفصيل أو الاجمال ثم ذكر مالكل من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد الى ماهو له" (١). فقد أجمل سبحانه {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} ثم فصل سبحانه بصفات المؤمنين وهى قوله {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ...} الخ .

{الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق} الملاحظ هنا تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل . قال أبو حيان : "الظاهر أن هذه الجملة تأكيد للتى قبلها لأن العهد هو الميثاق ويلزم ايفاء العهد انتفاء نقيضه" (٢).

{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} وهو وصف عام لما جاء فى كتاب الله وماورد فى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من وجوه البر والخير ، ولاوجه لتضييق الفائدة مع اتساع الآية للجميع فيدخل من جميع الأمور الواجبة الرعاية بين العباد (٣).

{وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} والملاحظ أن الخشية والخوف متقاربان فى المعنى وان فرق بعضهم بينهما بعض التفريق نحو : أن الخشية خوف يصحبه تعظيم واجلال المخشى وان كان الخاشى أيضا عظيما ، والخوف يرجع الى ضعف الخائف وان كان المخوف منه أمرا يسيرا (٤).

وجاء فى الصفة السادسة قوله تعالى : {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} أى أنهم صبروا على كل ماتكرهه النفس من

---

(١) الايضاح للقزوينى ص ٢٢٣ .
(٢) البحر المحيط لابن حيان ٣٨٥/٥ .
(٣) انظر التفسير الأدبى لسورة الرعد ص ١١٦ .
(٤) المرجع السابق ص ١١٦ .

المصائب المالية والبدنية ومايخالفه هوى النفس كالانتقام ونحوه وقد عبر بصيغة الماضى "صبروا" للاشارة الى أن فضيلة الصبر ينبغى أن تكون مستقرة ثابتة لاتزول ولاتزلزل وأما الأعمال التى سبقت معبرا عنها بصيغة المضارع لأنها تتجدد حينا بعد حين لكل مناسبة كالوفاء ، ووصل ما أمر الله به أن يوصل . وقد يقصد به الاستصحاب والالتباس وأما التعبير بالماضى فقد قصد تقدمها على ذلك لأن حصول تلك الصلات انما هى مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها (١) .

ولذا لم تأت صلة فى القرآن الا بصيغة الماضى اذ هو شرط فى حصول التكاليف وايقاعها ـ وفى ارشاد العقل السليم "حيث كان الصبر ملاك الأمر فى كل ماذكر من الصلات السابقة واللاحقة أورد بصيغة الماضى اعتناءً بشأنه ودلالة على وجوب تحققه (٢) " .

وعطف قوله وأقاموا الصلاة من باب عطف الخاص على العام وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، والحظ قوله سرا وعلانية بينهما تضاد لبيان أن الانفاق على كل حال حسن جميل ، فقوله سرا حيث يحسن السر حينما يخشى الرياء والخيلاء ، أو حفظا لكرامة من تمنعه الشهامة من الأخذ ظاهرا ولعل تقديمها للاشارة الى فضل صدقته ، وعلانية حيث تحسن العلانية كما اذا كان الأمر على خلاف ماذكر (٣) .

والصفة التاسعة {ويدرءون بالحسنة السيئة} فيها مقابلة وتضاد أى كأنهم يدفعون الشر بالخير والاساءة

---

(١) المرجع السابق ص ١١٧ .
(٢) تفسير أبى السعود ٣/٤٣٢ .
(٣) التفسير الأدبى ص ١١٨ .

بالاحسان . فهؤلاء لهم عقبى الدار "أى الدار الخالدة الباقية وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون" .

ثم ان قوله تعالى {صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} فن الاحتراس ، حيث انتفى بقوله ابتغاء وجه ربهم أن يكون صبرهم ناشئا عن حب الجاه والشهرة أو ليقال ما أصبره وما أحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل لئلا يشمت به الأعداء . كقول أبى ذؤيب :

وَتَجَلُّدِى لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ
أَنِّى لِرَيْبِ الدَّهْرِ لاَ أَتَزَعْزَعُ

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ . اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}(١) .

وفى المقابل نرى أوصاف أولئك الذين لاعقول لهم فيتذكرون ولاوعى فيبصرون وهم على نقيض فى كل شىء مع أولى الألباب . والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار .

---

(١) الآيات : ٢٥-٢٩

انهم ينقضون العهد المأخوذ على الفطرة ، وينقضون من بعده كل عهد فمتى نقض العهد الأول فكل عهد قائم عليه منقوض من الأساس ، والذى لايرعى عهد الله لايبقى على عهد ولاميثاق ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل على وجه العموم والاطلاق ويفسدون فى الأرض فى مقابل صبر أولئك واقامتهم الصلاة وانفاقهم سرا وعلانية ودرء السيئة بالحسنة فالافساد فى الأرض يقابل هذا كله .

وقوله أولئك هنا يقابل "أولئك" هناك أى أولئك هم المبعدون المطرودون من رحمة الله . لهم اللعنة ، أى السخط والمقت من الله والطرد هنا يقابل التكريم هناك ولهم سوء الدار يقابل عقبى الدار هناك .(١)

وهذه المجموعة من الآيات فى وصف الأشقياء جاءت فى مقابلة المجموعة السابقة فى وصف الاتقياء السعداء . فقوله {وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ} جاءت فى مقابل ماسبق فى صفة المؤمنين فى قوله تعالى : {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ} فجاءت هذه الصفة لتلك عاما . وقوله يقطعون مقابل يصلون ما أمر الله به أن يوصل .

ثم تدبر قوله {أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} أى الموصوفون بهذه الصفات مطرودون من رحمة الله ولهم سوء الدار ، ويجوز أن يكون المراد هنا بالدار الدنيا وسوء عاقبتها عذاب جهنم أو جهنم نفسها . ولم يصرح بلفظ عاقبة لأن عاقبة السوء لاتستحق أن تسمى عاقبة فلم يقل : سوء عاقبة تفاديا أن يجعلها عاقبة حيث جعل العاقبة المطلقة الجنة .

ويجوز أن يكون المراد بالدار جهنم والمراد بسوئها عذابها .(٢)

---

(١) انظر التفسير الادبى لسورة الرعد ص ١٢٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٢٥ .

والأول أبلغ لرعاية التقابل ، لأن المتبادر الى الذهن من الدار الدنيا بقرينة السابق ولأنها الحاضرة فى أذهانهم والتعبير بكلمة "لهم" دون "عليهم" للاشارة الى أن هذا قد أصابهم استحقاقا بما كسبوا لا أنه أمر فرض عليهم فرضا بدون استحقاق .(١)

ثم تأمل السر فى تكرير هذه الكلمة "لهم" فى وصف المتقين والمنكرين فقال هناك {لهم عقبى الدار} وقال هنا {لهم سوء الدار} للتأكيد والايذان باختلافهما . واستقلال كل منهما فى الثبوت ، أى فهؤلاء لهم جهنم وساءت مصيرا ، وأولئك لهم الجنة وحسنت مستقرا ومقاما وقوله "لهم" على سبيل التملك والتخصيص وفى المقابلة مافيها من الترغيب والترهيب الشديدين ، فشتان بين الجنة والنار وبين النعيم المقيم وبين العذاب الأليم .(٢)

قال تعالى : {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} نلاحظ المقابلة بين قوله يبسط ويقدر ، والحياة الدنيا والآخرة ، ويضل ويهدى ، فتتحدث الآية عن بسط الله تعالى الرزق لمن يشاء من عباده وتضييقه عمن يشاء . فجاء ذلك عن طريق المقابلة .

وفى قوله : {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} فن رد العجز على الصدر وعرفه البلاغيون بقولهم : "أن يجعل أحد اللفظين المكررين المتجانسين والملحقين بهما فى أول الفقرة والآخر فى آخرها"(٣) وهو من بديع اللفظ كما نرى .

---

(١)،(٢) المرجع السابق ص ١٢٦
(٣) الايضاح ص ٢٢٠ .

ثم تأمل قوله : {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} . والحظ قوله أناب ، ومآب ومابينهما من توافق معنوى يتجلى فى افادة العودة بشأن الانابة الى الله والرجوع اليه والاستعانة به والتضرع اليه فى الأولى وتعنى فى الثانية الأوبة الحسنة بالجنة وحسن المنقلب فى الثانية ، ومافيها أيضا من توافق صوتى فى فاصلة أناب ومآب . (١)

قال تعالى : {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ، وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} . (٢)

---

(١) تأملات فى سورة الرعد ، د. حسن باجودة ص ١٧٦ .
(٢) الآيات : ٣٠-٣٤

بديع المعنى :

احتوت الآيات السابقة على أنواع هى :

التفسير بعد الابهام : ففى قوله تعالى : {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى} فقد قدم المجرور فيها على المرفوع لقصد الابهام ، ثم التفسير لزيادة التقرير والتأكيد مع التشويق .

ويختتم سياق هذه الآية بقوله : {بل لله الأمر جميعا} أى له القدرة على كل شىء ، وأفادت "بل" الاضراب عما تضمنته "لو" من معنى النفى أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لاتلين شكيمتهم (١) .

وفى قوله : {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} .

يلاحظ هنا مقابلة من طرف خفى ففى قوله {وجعلوا لله شركاء} هى البديل من المقابل لقوله {أفمن هو قائم على كل نفس} فبدلا من أن يجىء النظم القرآنى هكذا :أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أم تلك الأصنام الصماء الخرساء التى تعبدونها ؟ جاء قوله وجعلوا لله شركاء بدلا من هذا المقابل الذى يعرض تلك الالهة فى ميزان واحد مع الله سبحانه وتعالى . فجاء قوله : وجعلوا لله شركاء مشيرا الى هذا المقابل من طرف خفى ، وعارضا له فى معرض الزراية

---

(١) التفسير الأدبى لسورة الرعد ص ١٤٩ .

والاستخفاف ، فهى من صنع أيديهم ومختلقة لا أصل لها .

وفى قوله : {أم تنبئونه بما لايعلم} فن يقال له نفى الشىء بايجابه فهم ليسوا شركاء وان الله لايعلمهم كذلك لأنهم فى الواقع ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله الا أنها مربوبة ثابتة لا الهة معبودة ، ولكن مجىء النفى على هذا السنن المتلو بديع لاتكاد تكتنه بلاغته وعبارته . ومن طريقه قول على بن أبى طالب فى وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم "لاتثنى فلتاته" أى لاتذاع سقطاته فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لاتذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتثنى .(١)

وفى هذه الآية فن بديعى آخر يطلق عليه الاستدراج فى قوله "أم بظاهر من القول" ليحثهم على التفكير دون القول المجرد من الفكر .

وختمت الآية الكريمة بالقول {ومن يضلل الله فما له من هاد} .

بالاشارة الى الصفتين المتقابلتين ، الضلال والهداية ، الضلال اختاره الكافرون بمحض ارادتهم وزادهم الله ضلالا .

ثم تلاحظ المقابلة بين قوله : الدنيا والآخرة ، والجنة والنار ، والمتقين والكافرين مقابلة بينها تضاد .

قال تعالى : {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ . وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ، قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ، وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ

---

(١) التفسير الأدبى ص ١٥٦ .

حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَاجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَاوَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَاكَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللَّهُ مَايَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (١) .

المعانى اللغوية :

الأحزاب : جمع حزب ويطلق على الطائفة المجتمعة لأمر من الأمور .

وقيل : هم مشركو مكة ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى والمجوس .

وقيل : هم العرب المتحزبون على النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

مآب : مرجع .

واق : حافظ يمنعك من عذابه ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم .

لكل أجل كتاب : الأجل المدة والوقت : أى لكل أمر كتبه الله أجل مؤقت ووقت معلوم (٣) .

بعد أن حكم الله على أولئك المكابرين بالوعيد الشديد اذن يحل بهم من عذاب الدنيا الشاق وماينتظرهم من عذاب الآخرة أشق حيث لايقيهم من عذاب الله واق بين سبحانه صفة الجنة التى وعد المتقون وأن هذه عقباهم حيث يقابلها عقبى الكافرين وهى النار . انتقل الى تفصيل حال جماعة آخرين لهم صلة ما بالدين وبالرسل فلم يشاركوا أولئك المكابرين

---

(١) الآيات : ٣٥-٣٩
(٢) التفسير الأدبى لسورة الرعد ص ١٦٧ .
(٣) المرجع السابق ص ١٦٨ .

فى كل سخافاتهم وتعنتهم أولئك هم أهل الكتاب . قال تعالى {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} .

وقوله : {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ} مقابلة من طرف خفى فالذى يقابل الهوى والعاطفة العقل والفكر ، والمراد بالحكم كما يقول أبو حيان : "وأراد بالحكم أن يفصل بين الحق والباطل ويحكم" (١) فهو يحتاج الى عقل وفكر .

وفى قوله : {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} .

تضاد بين قوله يمحو ويثبت : طباق . وفيها أيضا فن يقال له فن الاستخدام وعرفوه بقولهم : "أن يأتى المتكلم بلفظة لها محملان ثم يأتى بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما وتستخدم كل لفظة منهما أحد محملى اللفظة المتوسطة ، ففى لفظة كتاب تحتمل الأمد المحتوم بدليل قوله تعالى فى البقرة {حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} أى حتى يبلغ الكتاب أمده أى أمد العدة وأجله منتهاه والكتاب المكتوب وقد توسطت لفظة كتاب بين لفظتى "أجل ، ويمحو" فاستخدمت لفظة أجل أحد مفهوميها وهو الأمد واستخدمت لفظة يمحو مفهومها الآخر وهو المكتوب فيكون التقدير لكل حد مؤقت مكتوب يمحى ويثبت .

---

(١) تفسير أبى حيان ٣٩٧/٥ .

قال تعالى : "وَإِن مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ. أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ، وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ، وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}(١) .

**اللغـــة :**

نأتى الأرض : نقصدها .

ننقصهـا من أطرافها : النقص أخذ الشيء من الجملة وهو يستعمل فـي نقصان المنزلـة ، والطرف منتهى الشيء وأطراف الأرض نواحيها وجوانبها (٢) .

معقـب : المعقب فى الأصل هو الذى يتعقب الشيء بالابطال وقيـل الحق معقب لأنه يتعقب غريمه بالطلب والمعقب هو الذى يكر على الشيء فيبطله (٣) .

**مافى الآيات من ألوان البديع :**

المقابلـة بيـن قوله نرينك أو نتوفينك . وعليك البلاغ وقوله "علينا الحساب وبينهما تضاد كما نرى .

المشـاكلة فـى قولـه : وقـد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا .

---

(١) الآيات : ٤٠-٤٣
(٢) التفسير الأدبى ص ١٧٩ .
(٣) التفسير الأدبى ص ١٧٩ .

ثم نلحظ فنا آخر يطلق عليه حسن الختام حيث ختمت السورة بحكاية انكار الكفار الرسالة وقد بدأت باثبات الرسالة فيلتقي البدء مع الختام ويشهد الله مكتفيا بشهادته ، وهو الذى عنده العلم المطلق بهذا الكتاب وبكل كتاب ، {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} .

وقد لاحظت فى هذه السورة وفى القرآن بصفة عامة أن فن المقابلة يجىء بكثرة وكذلك الطباق ويليها كثرة فن مراعاة النظير ، والتفصيل بعد الاجمال ، وفن التقسيم ، والجمع . والمشاكلة وهناك فنون يقل ورودها فى القرآن كفن الاكتفاء ، والاستطراد والاستخدام . والمهم أن أكثر هذه الفنون شيوعا هما المقابلة والطباق وهما متقاربان كما نرى . والذى يظهر لى أن شيوع هذه الطريقة فى الكلام الرفيع يدل على أصالتها فى بلاغة الكلام وأنها مظهر من مظاهر الاقتدار والتمكن ومرجع ذلك ليس محددا فى كلام القدماء وكل الذى قالوه لايزيد عما قاله الدسوقى : "وكون المطابقة من وجوه التحسين يعرف بالذوق" (١) .

وهذا التعليل لايكفى فى شرح وتحليل مزية هذا الطريق الذى كان أكثر الكلام بنى عليه . هناك شىء فى هذا الفن جعل الذوق يستحسنه وجعل الكلام العالى يسلك سبيله والذى يبدو لى أن مزيته ترجع الى عدة أسباب منها : ماترسمه هذه الطريقة من توضيح المعانى وتجليتها وذلك بهذا العرض المتقابل لها ، فالشر بمحاذاة الخير ، والهدى بمحاذاة الضلال ، والظلمة بمحاذاة النور ، والترغيب مع الترهيب ، والوعد مع الوعيد ، وبهذا يتعمق الاحساس بالأشياء وتزداد النفوس بصرا بالحقائق .

يقول الدكتور أحمد جاد فى دراسته القيمة عن أدب الرافعى : "أكثر الفنون تعتمد فى المقابلة لابراز أقوى

---

(١) شروح التلخيص ص ٤٨٢ .

عناصرها وأجملها . وفي الرسم تكون الألوان والظلال ألسنة تتحاور وتبرز أعماق الأشياء ، وفن الكلمة يجمع هذه الفنون جميعا بما أودع في الكلمات من رمزية وبما توحي به من خيال ، فلاجرم أن تكون المقابلة في الكلمة أكمل وأجمل" (١) . وهذا كلام نفيس ودقيق جدا .

وأما السبب الثاني : أن اقتران الأشياء المتباعدة وقرب بعضها من بعض من شأنه أن يؤنس النفس وأن يستروحه الطبع ، وقد لاحظوا ذلك في التشبيه وقالوا ان من مزاياه "تباعد طرفيه" والتقابل الذي بين أيدينا في الطباق أقوى درجة في التباعد ، لأنه مرتبة فوق التباعد ، فالأشياء المتقابلة متباعدة لامحالة ، وجمعها على حذو واحد يشعر النفس بالألفة ويقوى حنينها الى عالمها المتآنس المتآلف ، ولذلك يكاد يجمع أهل البصر بطبائع الفنون أن المشكلة الأم فيها هي تأنيس التنافرات وادناء بعضها من بعض في مزيج يوحد بينها وأن ذلك أصعب مراسا وأشد عنادا و"اللذة العميقة يوازيها شعور عميق بالتلاقي بين الأشياء" (٢) .

وقد أشار حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء الى قريب مما أشار اليه جهابذة الفنون في عصرنا نذكر أن الكلام قد يكون أمشاجا في جملة معان تتضارب وأن ذلك ألذ للنفس

---

(١) دراسة في علم البديع للدكتور محمد أبو موسى ص ٣٤ .
(٢) انظر النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٢٨

وأطيب عندها من أن يجمد الكلام على حالة واحدة[1].

أما السبب الثالث من أسباب تأثير المقابلة فهو ما ذكره الدكتور محمد أبو موسى أثناء تعليقه على صور المقابلة فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : "وهناك وجه من وجوه تأثير المقابلة فى الكلام يجرى معها دائما ذلك هو ماتجده فى جمع هذه المتناقضات وتجاورها وتضاربها فى العبارة ، والنفس بين توتر واثارة ،فالحب مع الكره والتوحيد مع الشرك والتوحد مع التفرق ، وهذه الخصوصية فيها تعطى الأسلوب قدرا من الايقاظ وصيرورة الحس كأن يكون مستفزا ومثارا حين الحس بماوراء هذه المتناقضات من صراعات وتجاذبات وهو يشب على قممها المتغايرة والمتناقضة "[2].

وهناك سبب آخر لهذا الفن الذى كأن أكثر الكلام بنى عليه كان ينبوعا للاستدلال وقد جاء كثيرا فى القرآن الكريم ذلك لأن المشركين كانوا يعبدون أحجارا يصنعونها أو مخلوقات الله تعالى خلقها وكانوا يظنون أن لها تأثيرا فى الخلق فكانت المقابلة بين الذات العلية وبين ماابتدعوا من عبادة الأوثان وسيلة وطريقة بليغة مفحمة دامغة للاستدلال على بطلان زعمهم .

ومن هذا القبيل ماجاء فى سورة الرعد قوله تعالى : {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ، قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَايَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَاضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى

---

(١) منهاج البلغاء ص ٣٤٨ .

(٢) قراءة فى الأدب القديم ، محمد أبو موسى ص ٢٨٨ .

وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}(١) .

---

(١) الرعد : ١٦

إحصاء الحروف بفواصل القرآن الكريم

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١-الفاتحة | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣ | ٤ | | | | ٧ |
| ٢-البقرة | مدنية | | ٩ | | | | | | ٧ | | ٢٢ | | | | | | | | | | | ١ | | ١ | ٥٣ | ١٩٣ | | | | ٢٨٦ |
| ٣-آل عمران | مدنية | ٣ | ١٠ | | | | | | ١٠ | | ٢٢ | | | | | | | | | | | ١ | | ٣ | ٣١ | ١٢٠ | | | | ٢٠٠ |
| ٤-النساء | مدنية | ١ | ٣ | ٣ | ٢ | | | | ١٤ | | ٣٣ | | | | ١ | ٣ | ١ | ٣ | ١ | ١ | ٤ | ٣ | | ٢٩ | ٥٩ | ١٥ | | | | ١٧٦ |
| ٥-المائدة | مدنية | | ٤ | | | | | | ٢ | | ٧ | | | | | | | | | | | | | ٣ | ٢٤ | ٨٠ | | | | ١٢٠ |
| ٦-الانعام | مكية | | | | | | | | | | ٤ | | | | | | | ١ | | | | | | ٣ | ١٣ | ١٤٤ | | | | ١٦٥ |
| ٧-الاعراف | مكية | | | | | | | | | | | | | | ١ | | | | | | | | | ٢ | ١٠ | ١٩٣ | | | | ٢٠٦ |
| ٨-الانفال | مدنية | | ٤ | | | | | | ١ | | ١٠ | | | | | | ١ | | | | | ١ | | | ١٩ | ٣٩ | | | | ٧٥ |
| ٩-التوبة | مدنية | | ١ | | | | | | | | ٤ | | | | | | | | | | | | | ١ | ٣٧ | ٨٦ | | | | ١٢٩ |
| ١٠-يونس | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ١٠ | ٩٨ | | | | ١٠٩ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١١-هود | مكية | | ١٣ | | | | | | ٢٢ | ٢ | ١٢ | ٢ | | | ١ | | ٤ | ٣ | | | | ١ | | ٢ | ٥ | ٥٦ | | | | ١٢٣ |
| ١٢-يوسف | مكية | | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | ١ | ١٥ | ٩٣ | | | | ١١١ |
| ١٣-الرعد | مدنية | | ١٥ | | | | | | ٤ | | ٨ | | | | | | | | ١ | | | ٣ | | ٧ | | ٥ | | | | ٤٣ |
| ١٤-ابراهيم | مكية | ٦ | ٤ | | | | | | ١١ | | ١١ | ١ | | | ١ | | | ١ | | | | | | ٤ | ٧ | ٦ | | | | ٥٢ |
| ١٥-الحجر | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢ | ١٥ | ٨٢ | | | | ٩٩ |
| ١٦-النحل | مكية | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | | ١٦ | ١١٠ | | | | ١٢٨ |
| ١٧-الاسراء | مكية | | ٢ | | | | | | ٦ | | ٥١ | | ١ | | | | | | ٤ | | ٢ | ١ | | ٣٧ | ٤ | ٢ | ١ | | | ١١١ |
| ١٨-الكهف | مكية | | ١٧ | | ١ | | | | ٢٩ | | ٢٤ | ١ | | | ١ | ١ | ٢ | | ٥ | | ٢ | ٦ | | ١٣ | ٣ | ٣ | | ٤ | | ١١٠ |
| ١٩-مريم | مكية | | | | | | | | ٢٠ | | | ٣ | | | ١ | | | | | | | | | | ٢ | ٤ | | | ٦٨ | ٩٨ |
| ٢٠-طه | مكية | | | ١ | | | | | | | ٦ | | ١ | | | | | | ١ | | ٣ | ١ | | ٣ | ٧ | | ١ | | ١١١ | ١٣٥ |

| اسم السورة | نوعها | أ | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢١-الانبياء | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٥ | ١٠٧ | | | | ١١٢ |
| ٢٢-الحج | مدنية | ١ | ٢ | | ١ | | | | ١٥ | | ٢٥ | ٢ | | | | | ١ | ١ | | | ٦ | | | | ١٢ | ١٢ | | | | ٧٨ |
| ٢٣-المؤمنون | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٤ | ١١٤ | | | | ١١٨ |
| ٢٤-النور | مدنية | | ٢ | | | | | | ١ | | ٧ | | | | | | | | | | | | | | ٢٣ | ٣١ | | | | ٦٤ |
| ٢٥-الفرقان | مكية | | ١ | | | | | | | | ٤٣ | | | | | | | | | | | | | ١٧ | ١٤ | ٢ | | | | ٧٧ |
| ٢٦-الشعراء | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢ | ٢٥ | ٢٠٠ | | | | ٢٢٧ |
| ٢٧-النمل | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٩ | ٨٤ | | | | ٩٣ |
| ٢٨-القصص | مكية | | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | ٢ | ٣ | ٨١ | | | | ٨٨ |
| ٢٩-العنكبوت | مكية | | | | | | | | | | ٣ | | | | | | | | | | | | | | ٦ | ٦٠ | | | | ٦٩ |
| ٣٠-الروم | مكية | | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | ٣ | ٥ | | | | ٦٠ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٣١-لقمان | مكية | | | | | | | | ٢ | | ١٦ | | | | | | | ١ | | | | | | | ٨ | ٧ | | | | ٣٤ |
| ٣٢-السجدة | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ٢ | ٢٧ | | | | ٣٠ |
| ٣٣-الاحزاب | مدنية | | ٣ | | | | | | ٣ | | ٢١ | ١ | | | | | | ١ | | | ١ | ١ | | ١٩ | ١٨ | ٤ | ١ | | | ٧٣ |
| ٣٤-سبا | مكية | | ٥ | | | | | | ٩ | | ١٤ | | | | | | | ١ | | | | | | ١ | ٤ | ٢٢ | | | | ٥٤ |
| ٣٥-فاطر | مكية | | ١ | | | | | | ٣ | | ٣٥ | ١ | | | | | | | | | | | | ١ | ١ | ٣ | | | | ٤٥ |
| ٣٦-يس | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١٠ | ٧٣ | | | | ٨٣ |
| ٣٧-الصافات | مكية | | ٥ | | | | | | ٢ | | ٢ | | | | | | | | | | ١ | ١ | | | ٢٦ | ١٤٥ | | | | ١٨٢ |
| ٣٨-ص | مكية | | ٣٥ | | ١ | | | | ٦ | | ١٥ | | | | ٢ | | ١ | | | | | ٦ | | ١ | ٣ | ١٨ | | | | ٨٨ |
| ٣٩-الزمر | مكية | | ٤ | | | | | | ٤ | | ٦ | | | | | | | | | | | | | ٢ | ٥ | ٥٤ | | | | ٧٥ |
| ٤٠-غافر | مكية | | ١٧ | | | | | | ١٠ | | ١٥ | | | | | | | | ١ | | | ٢ | | ٣ | ٥ | ٣٢ | | | | ٨٥ |

| اسم السورة | موقعها | أ | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤١-فصلت | مكية | | ١ | | | | | | ٧ | | ٢ | ١ | | | ١ | ١ | ٢ | ١ | | | | | | | ٨ | ٣٠ | | | | ٥٤ |
| ٤٢-الشورى | مكية | | ٥ | | | | | | ٤ | | ٢٠ | ١ | | | ١ | | | | | | | ١ | | ٤ | ١١ | ٦ | | | | ٥٣ |
| ٤٣-الزخرف | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ١٠ | ٧٨ | | | | ٨٩ |
| ٤٤-الدخان | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١٤ | ٤٥ | | | | ٥٩ |
| ٤٥-الجاثية | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٧ | ٣٠ | | | | ٣٧ |
| ٤٦-الأحقاف | مكية | | | | | | | | | | | ١ | | | | | | | | | | | | | ٨ | ٢٦ | | | | ٣٥ |
| ٤٧-محمد | مدنية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣٦ | | ٢ | | | ٣٨ |
| ٤٨-الفتح | مدنية | | ٢ | | | | | | ١ | | ٨ | ١ | | | | | | | | | | | | ٣ | ١٣ | ١ | | | | ٢٩ |
| ٤٩-الحجرات | مدنية | | | | | | | | | | ١ | | | | | | | | | | | | | ٧ | ١٠ | | | | | ١٨ |
| ٥٠-ق | مكية | | ٧ | | | ٥ | | | ٢٧ | | ٢ | | | | ١ | | ١ | ٢ | | | | | | | | | | | | ٤٥ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٥١-الذاريات | مكية | | | | | | | | | | ٣ | | | | | | | | ١ | | ١ | ١ | ٢ | | ٩ | ٤٢ | ١ | | | ٦٠ |
| ٥٢-الطور | مكية | | | | | | | | | | ٧ | | | | | | | | ٤ | | | | | | ٨ | ٣٠ | | | | ٤٩ |
| ٥٣-النجم | مكية | ١ | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣ | | ١ | ٥٥ | ٦٢ |
| ٥٤-القمر | مكية | | | | | | | | | | ٥٥ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٥٥ |
| ٥٥-الرحمن | مكية | | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | ٧ | ٦٩ | | | | ٧٨ |
| ٥٦-الواقعة | مكية | | | ١٠ | ١ | ١ | | | | | | | ١ | | | | | | | | | | | | ١٨ | ٦٥ | | | | ٩٦ |
| ٥٧-الحديد | مدنية | | ١ | | | | | | ١ | | ١١ | ١ | | | | | | | | | | | | | ١٠ | ٥ | | | | ٢٩ |
| ٥٨-المجادلة | مدنية | | | | | | | | ١ | | ٥ | ١ | | | | | | | | | | | | | ٣ | ١٢ | | | | ٢٢ |
| ٥٩-الحشر | مدنية | | ٢ | | | | | | | | ٣ | | | | | | | | | | | | | | ٥ | ١٤ | | | | ٢٤ |
| ٦٠-الممتحنة | مدنية | | | | | | | | ١ | | ٣ | | | | | | | | | | | | | ١ | ٤ | ٤ | | | | ١٣ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٦١-الصف | مدنية | | | | | | | | | | | | | | ١ | | | | | | | | | | ٣ | ١٠ | | | | ١٤ |
| ٦٢-الجمعة | مدنية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢ | ٩ | | | | ١١ |
| ٦٣-المنافقون | مدنية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١١ | | | | ١١ |
| ٦٤-التغابن | مدنية | | | | | | | | ١ | | ٧ | | | | | | | | | | | | | | ٧ | ٣ | | | | ١٨ |
| ٦٥-الطلاق | مدنية | | | | | ١ | | | | | ٩ | | | | | | | | | | | ١ | | | ١ | | | | | ١٢ |
| ٦٦-التحريم | مدنية | | | | | | | | | | ٥ | | | | | | | | | | | | | | ٢ | ٥ | | | | ١٢ |
| ٦٧-الملك | مكية | | | | | | | | | | ٢١ | | | | | | | | | | | | | | ٢ | ٧ | | | | ٣٠ |
| ٦٨-القلم | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١٠ | ٤٢ | | | | ٥٢ |
| ٦٩-الحاقه | مكية | | | ٢٣ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ٤ | ١٥ | ٩ | | | ٥٢ |
| ٧٠-المعارج | مكية | | ١ | | | ١ | | | ١ | | | | | | | | | | ٥ | | | ١ | | ٢ | ٤ | ٢١ | ٤ | | ٤ | ٤٤ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٧١-نوح | مكية | | | ١ | | ٣ | | | | | ١٨ | | | | | | | | | | | ١ | | ١ | ١ | ٣ | | | | ٢٨ |
| ٧٢-الجن | مكية | | ٤ | | | | | | ٢٠ | | | | | | | | ١ | | | | | ٣ | | | | | | | | ٢٨ |
| ٧٣-المزمل | مكية | | ١ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١٦ | ٣ | | | | | ٢٠ |
| ٧٤-المدثر | مكية | | | ٧ | | | | | ٧ | | ٣١ | | | | | | | | | | | | | | | ١٠ | ١ | | | ٥٦ |
| ٧٥-القيامة | مكية | | | ١٠ | | | | | | | ٧ | | | | | | | | | | | ٤ | | | | | ٨ | | ١١ | ٤٠ |
| ٧٦-الانسان | مدنية | | | | | | | | | | ٢١ | | | | | | | | | | | | | ٩ | ١ | | | | | ٣١ |
| ٧٧-المرسلات | مكية | | ٢ | ٧ | | | | | | | ٥ | | | | | | | | ١ | | ٢ | ١ | | ٢ | ١ | ٤٩ | | | | ٥٠ |
| ٧٨-النبا | مكية | | ١٧ | ٣ | | ٤ | | | ٤ | | | ١ | ١ | ١ | | | | | | | ١ | ٣ | | | ١ | ٤ | | | | ٤٠ |
| ٧٩-النازعات | مكية | | | ٩ | | | ١ | | | | ١ | | | | | | ١ | | | | | ٢ | | | ١ | | ١٢ | | ١٩ | ٤٦ |
| ٨٠-عبس | مكية | | ٥ | ١١ | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | | ١ | ١ | | ١٣ | | ١٠ | ٤٢ |

| اسم السورة | نوعها | أ | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٨١-التكوير | مكية | | | ١٤ | | | | | | | | | ٤ | | | | | | | | | | | | ٣ | ٨ | | | | ٢٩ |
| ٨٢-الانفطار | مكية | | | ٥ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢ | | ٣ | ٨ | ١ | | | ١٩ |
| ٨٣-المطففين | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٩ | ٢٧ | | | | ٣٦ |
| ٨٤-الانشقاق | مكية | | | ٥ | | | | | | | ٧ | | | | | | | | | | | ٤ | | | ١ | ٥ | ٣ | | | ٢٥ |
| ٨٥-البروج | مكية | | ١ | | ١ | | | | ١٦ | | ١ | | | | | | ١ | ١ | | | | ١ | | | | | | | | ٢٢ |
| ٨٦-الطارق | مكية | | ٢ | | | | | | ٣ | | ٣ | | | | | | | ١ | ٢ | | | ٤ | | ٢ | | | | | | ١٧ |
| ٨٧-الأعلى | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١٩ | ١٩ |
| ٨٨-الغاشية | مكية | | | ١٨ | | | | | | | ٤ | | | | | | | | ٢ | | | | | | ٢ | | | | | ٢٦ |
| ٨٩-الفجر | مكية | | ١ | ٢ | | | | | ١٠ | | ٥ | | | | | | | | | | ١ | | ١ | | ٣ | ٣ | | | ٤ | ٣٠ |
| ٩٠-البلد | مكية | | | ١٠ | | | | | ٧ | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣ | | | | ٢٠ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٩١-الشمس | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١٥ | | | ١٥ |
| ٩٢-الليل | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢١ | ٢١ |
| ٩٣-الضحى | مكية | | | | ١ | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٨ | ١١ |
| ٩٤-الشرح | مكية | | ٢ | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | ٤ | | | | | | | ٨ |
| ٩٥-التين | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ٧ | | | | ٨ |
| ٩٦-العلق | مكية | | ١ | ٣ | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢ | | | ٣ | | ١ | | ٩ | ١٩ |
| ٩٧-القدر | مكية | | | | | | | | | | ٥ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٥ |
| ٩٨-البينة | مكية | | | ٧ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | | | ٨ |
| ٩٩-الزلزلة | مدنية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | | ٧ | | | ٨ |
| ١٠٠-العاديات | مكية | | | | | | ٣ | | ٣ | | ٣ | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | ١١ |

| اسم السورة | نوعها | ا | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٠١-القارعة | مكية | | | ٦ | ١ | | | | | | | | | ١ | | | | | | | | | | | | | ٣ | | | ١١ |
| ١٠٢-التكاثر | مكية | | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | ١ | ٤ | | | | ٨ |
| ١٠٣-العصر | مكية | | | | | | | | | | ٣ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣ |
| ١٠٤-الهمزة | مكية | | | ٧ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٢ | | | ٩ |
| ١٠٥-الفيل | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٥ | | | | | | ٥ |
| ١٠٦-قريش | مكية | | | ١ | | | | | | | | | | ١ | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | ٤ |
| ١٠٧-الماعون | مكية | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ٦ | | | | ٧ |
| ١٠٨-الكوثر | مكية | | | | | | | | | | ٣ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣ |
| ١٠٩-الكافرون | مكية | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | | | | ١ | ٣ | | | | ٦ |
| ١١٠-النصر | مدنية | | ١ | | | ١ | ١ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٣ |

| اسم السورة | نوعها | أ | ب | ت | ث | ج | ح | خ | د | ذ | ر | ز | س | ش | ص | ض | ط | ظ | ع | غ | ف | ق | ك | ل | م | ن | هـ | و | ى | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١١١-المسد | مكية | | ٤ | | | | | | ١ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٥ |
| ١١٢-الاخلاص | مكية | | | | | | | | ٤ | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | | ٤ |
| ١١٣-الفلق | مكية | | ١ | | | | | | ٢ | | | | | | | | | | | | | ٢ | | | | | | | | ٥ |
| ١١٤-الناس | مكية | | | | | | | | | | | | ٦ | | | | | | | | | | | | | | | | | ٦ |

## الفواصل فى سورة التكوير

اختلف العلماء حول مسألة تسمية ما فى فقر القرآن فقد ذهب فريق الى أنه ينبغى أن يسمى مافى القرآن فواصل ولا ينبغى أن يقال فيه سجع ، وقالوا لان الفاصلة تسمية قرآنية فقد ذكر سبحانه أنه فصله تفصيلا قال تعالى : {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (١) وقال تعالى {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} (٢)

ولفظ السجع عيب به ما يوحش الحس لأنه وصف به كلام الكهان ، وكل كلامهم سجع وان كان فيه سجع جيد ، وقد شاعت اضافة السجع الى الكهانة فقيل أسجع الكهان ، وهذا كله يجعل وصف آيات القرآن بالسجع ليس مقبولا ، أضف الى ذلك أن كلمة السجع ابتذلت فى عصرنا هذا وصارت عنوانا على التكلف والكلام المصنوع ومرجع ذلك الى بروز هذه الظاهرة فى عصور الضعف الأدبى والمهم أن المسألة هى مسألة تسمية فقط ، وأما تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد فالقرآن يكاد يكون كله جاريا على ذلك .

وهناك تصور آخر للسجع ذكره الرمانى والباقلانى ، وذكر الباقلانى أنه رأى من شيعته الأشاعرة ، وخلاصته أنه عيب فى الكلام ، لأنه تكلف كله وقصر للمعانى على القوالب اللفظية وكأن السجع هو الغاية وليس الابانة عن معنى ، فاذا كانت الألفاظ فى أحوال الابانة تابعة للمعانى ، فالمسألة مع

---

(١) هود : ١
(٢) الأنعام : ١٢٦

السجع على عكس ذلك تماما ترى فيه المعانى تابعة للألفاظ ولهذا كان معيبا دائما . قال الرمانى : "والفواصل بلاغة والاسجاع عيب وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى وأما الاسجاع فالمعانى تابعة لها وهو قلب ما توجبه الحكمة فى الدلالة اذا كان الغرض الأول هو حكمة انما هو الابانة عن المعانى التى الحاجة ماسة اليها[1] .

وقد كرر الباقلانى هذا الكلام "أى كلام الرمانى" وأضاف اليه أنه لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب الكلام ، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ، وهذا كلام ضعيف لان القرآن جاء على طرائقهم فى الكلام وكان اعجازه فى تفوقه تفوقا انقطعت دونه قدراتهم[2] .

وقد ناقش الأستاذ سيد صقر آراء الباقلانى فى السجع فى مقدمة كتابه اعجاز القرآن وكان الجاحظ قد طرق هذه المسألة وناقشها مناقشة قوية وهدم الشبه التى يتعلق بها من يحتجون على السجع ، وما كان للرمانى ولا الباقلانى أن يذهبا الى ما ذهبا اليه بعد دراسة الجاحظ لهذا الموضوع[3] .

وما دمنا بصدد الفواصل نود أن نشير الى أن ما ينجم عن الفواصل من أثر ، انما هو أثر صوتى خالص يتمثل فى هذا التوافق الموسيقى أننا نجد سورا بأكملها بنيت على رعاية هذا التوافق الموسيقى : فسورة القمر مثلا لا تشذ فيها آية واحدة عن الانتهاء بالراء ، لقد توافقت آياتها الخمس والخمسون على فاصلة واحدة وهى الراء وسورة مريم فيها من

---

(١) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ٩٧ .
(٢) اعجاز القرآن للباقلانى ص ٢٣٢ .
(٣) مقدمة اعجاز القرآن لسيد صقر . وانظر دراسة فى علم البديع ، د. محمد أبو موسى ص ٧٥ .

هذه الفواصل الموقعة ما يجعلها تبدو فى توافق صوتى عجيب تلين له القلوب .

واذا كانت السورة لم تلتزم فاصلة موحدة فى جميع آياتها فقد التزمت فاصلة موحدة بين كل مجموعة من هذه الآيات وقد جاءت على النحو التالى .

الافتتاحية ، كهيعص

(١) ٣٢ آية تنتهى بياء مفتوحة .

(٢) آيتان على روى النون المسبوقة بواو ٣٤ – ٣٥ .

(٣) آيتان على روى الميم ٣٦ – ٣٧ .

(٤) ثلاث آيات على روى النون المسبوقة بواو ٣٨ – ٣٩ – ٤٠

(٥) ٣٣ آية تنتهى كالمجموعة الأولى بياء مفتوحة ٤١ – ٤٤

(٦) ٢٢ آية تنتهى بدال مفتوحة ٧٥ – ٨٠ – ٨٢ – ٩٧ .

(٧) وثلاث آيات تنتهى بحرف الزاى المفتوحة ٨١ – ٨٣ – ٩٨

ومن الواضح أن بناء السورة صوتيا هو على فاصلة الياء ، وأن ما حدث من مخالفة لهذه الفاصلة انما حدث لأن سياق المعانى قد اختلف . وهكذا تأملت جميع سور القرآن الكريم من خلال الاحصاء لفواصل القرآن ولاحظت أن ما حدث من مخالفة لروى السورة انما حدث لأن سياق المعانى قد اختلفت لذلك أقول من الذى يستطيع أن يزعم أن هذا النسق الصوتى أو البناء الصوتى فى السورة ليس أصلا وليس من البلاغة ، وانما هو مجرد حلية خارجية وزخرف غير جوهرى ؟

ومن يزعم هذا فنحن نطالبه بأن يحاول تبديل كلمات النهاية فى الآيات بغيرها دون أن يحدث ذلك تغييرا جوهريا من حيث الأثر الذى تتركه السورة فى النفوس .(١)

---

(١) راجع هذا البحث ص ٥٥ .

لا أعتقد ذلك ، يقول الرافعي في كتابه اعجاز القرآن :
"لما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جملة ألحان لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة . قراءتها هي توقيعها ، فلم يفتهم هذا المعنى ، وأنه أمر لاقبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم ، حتى أن من عارضه منهم كمسيلمة جنح في خرافاته الى ما حسبه نظما موسيقيا أو بابا منه وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة واساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني ، كأنه فطن الى أن الصدمة الأولى للنفس العربية ، انما هي أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها ، وليس يتفق ذلك في شئ من كلام العرب الا أن يكون وزنا من الشعر أو السجع" (١)

والملاحظ من قوله أن الرافعي ينظر الى الاجزاء والى المجموع معا ، وأنه لايرى المجموع بليغا الا اذا انتهى الى ألحان مؤتلفة من حروف في كلمات متآلفة وكلمات في اسلوب مؤتلف في نغماته وترتيله ، وتناسق بيانه . وهو رأى جدير بالقبول .

وبعد هذه المقدمة عن فواصل القرآن الكريم ، نود أن ننتقل الى سورة التكوير لنعرف من خلالها فواصل الآيات فيها
قال تعالى : {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ

---

(١) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ص ٢١٤ .

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} .

يلاحظ فى مطلعها أنها تتحدث عن أهوال يوم القيامة ، وما يحدث فى هذا اليوم ، فقد جاءت الآيات الاثنتا عشرة مقدمة باذا ولها جواب واحد وهو قوله "علمت نفس ما أحضرت" ثم أن الشرط بطرقه المتعددة ، التى تتعلق بأحداث تتعلق بالسماء وأخرى تتعلق بالأرض وثالثة تتعلق بالانغام المستأنسة ، وأحداث تتعلق بالوحوش ، وأحداث تتعلق بالبحار ، وأحداث تتعلق بالنفس الموءودة وأحداث تتعلق بالنار وأخرى بالجنة كل ذلك مغزاه "علمت نفس ما أحضرت"

ونرى فى ذلك أنه يصور انقلابا فى الوجود المتعارف عليه والكون المألوف ، فلم تعد الشمس تؤدى وظيفتها التى ألفناها ولا النجوم ولا البحار كذلك .

وأن قوله {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} جملة وهى كذلك تعد جزءا من جملة عندما تلاحظ جزئيات الشروط ، اذا الشمس كورت واذا — اذا .. علمت نفس ما أحضرت" وهكذا ومادام غرضنا هو فواصل الآيات ، فاننا نشاهد هذا التوافق الموسيقى "السجع" الجميل بين فواصل الآيات .

فكون كورت "مبنية للمجهول شرط لاستقرار الكلمة فى مكانها من الأولى . وكون "انكدرت" خبر للمبتدأ شرط كذلك لاستقرار الكلمة فى مواطنها وهى غير مبنية للمجهول كالآيات السابقة وهكذا تتبين ذلك فى جميع الآيات .

وان استقرار هذه القوافى فى مواضعها هو سبب ما نحسه الآن ونطرب له من هذا التوافق الموسيقى الذى يلذ للنفس

---

(١) الآيات : ١-٩

والأذن على السواء .

أقول "ان النظم كما يحدث علاقات بين الألفاظ من حيث هى دالة ، يحدث فيها علاقات كذلك من حيث هى اصوات وأجراس حروف

ولعل المتمعن فى فواصل الآيات السابقة يرى أن فيها ترجيحا وهو أن الكلمات فى الفاصلتين على وزن واحد . وفيها تشابه فى بدايات القرائن .

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، وهكذا

وكما نلحظ التساوى فى بدايات القرائن ، نلحظ التساوى فى الطول أو عدد الكلمات وكذلك التشابه فى بنية التركيب فضلا عن وحدة الروى فى الفواصل جميعها (١) ثم يلاحظ أن الفاصلة فى الآية الأولى {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} خالفت الثانية {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} فى وزنها ، وشابهت الثالثة "سُيِّرَتْ" وأن الرابعة {عُطِّلَتْ} شابهت الأولى الثالثة فى وزنها وخالفت الخامسة "حُشِرَتْ" وأن الآية السادسة والسابعة وهى قوله {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} شابهت الآيات السابقة "سيرت وعطلت ، وأن قوله {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} شابهت الخامسة {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} ثم يلاحظ التغيير المفاجئ فى نهاية المقطع {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} تغير فى بداية القرينة وتغير فى بنية التراكيب عما فى القرائن الاخرى . وهذا التغير يلتقى مع التساوى وعلى مكان واحد لتتضافر على اطلاق جمال الفواصل .

(١) انظر الفاصلة فى القرآن ، محمد الحسناوى ص ٢٣١ .

{إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ} رجعت الى قوله {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} شابهت الآيات الأولى كورت ، وسيرت ، سجرت . {وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}(١) شابهت الثانية فى قوله انكدرت .

أما الآية الأخيرة "الجواب" {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} ، فقد حدث تغيير فى بداية القرينة وفى بنية التركيب . وهو كما قلنا ان هذا التغير يلتقى على صعيد واحد ليتضافر على اطلاق جمال الفواصل . وهكذا فان متابعة هذه التوقيعات تبدى ألوانا من طرق الابانة ومظهرا من مظاهر الاقتدار عند دراسة هذا اللون .

ويرى ابن قتيبية فى كتابه "تأويل مشكل القرآن" أن النغم الموسيقى والنظم والتوقيع الداخلى فى الآيات هى احدى الخصائص التى يقوم عليها الاعجاز فهو حلو النغم ، رتيب الوقع ، حبيب الجرس الى النفوس لاتمله الآذان لما ينساب فى عباراته وخلال لفظه من الموسيقى الخافتة ولاتتعثر فيه الألسنة لسلاستها وفى هذا الصدد يقول : " وجعله متلوا لايمل على طول التلاوة ومسموعا لاتمجه الآذان ، وغضا لا يخلق على كثرة الرد " (٢) .

وفى قوله تعالى {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} جناس ناقص ، وقد ذكر عبد القاهر أن حسن الجناس ليس راجعا الى أجراس الحروف مظاهر الوضع اللغوى وانما هو راجع الى أمر يقع من المرء فى فؤاده وفضل يقتدحه العقل فى زناده والامر الذى يقع من

---

(١) الآيات : ١٠-١٤
(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٣ لابن قتيبة .

المرء فى فؤاده هو المعنى الذى وراء الجناس وذلك اذا وقعت الألفاظ المتجانسة فى نظم الكلام مواقع متمكنة على وفق مقتضيات المعنى وترتيب صورته فى النفس .

والمزية الأم عند الشيخ هى صياغة الكلام صياغة يتواءم فيها كل لفظ وكل حال من أحوال اللفظ وكل موقع من مواقعه ، يتلاءم ذلك كله مع ما يعن فى الخاطر ويختلج فى الضمير ، فالكلام المرتب فى اللفظ هو صورة المعانى المرتبة فى النفس وبمقدار ما يلاحظ فى اللفظ من دقائق أحوال النفس يكون الكلام ممتازا .

والألفاظ المتجانسة اذا وقعت مواقعها على هذا الحد كانت مزيتها راجعة الى هذا الكشف ، وهذه الابانة . وهذا هو ما يقع من المرء فى فؤاده ولاتجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لايبتغى به بدلا ولا تجد عنه حولا"

وقد ذكر عبد القاهر سريرة أخرى تكشف فضل ذلك الأسلوب هى ما يحسه قارئه وسامعه حين يقع على الكلمة المجانسة لسابقتها فيقع فى نفسه أن الكلام قد رد عليها وأعادها وأنه لن يقع منها على جديد ، فاذا ما فوجئ بها تنشق له عن جديد وقع ذلك فى نفسه موقعا حسنا ، لأنها كنغمة غير مترقبة ، وهذه المفاجأة قيمة تجرى على فنون كثيرة لأنها تنفض عن النفس حالة الرتابة والألفة وتحدث فيها نوعا من الاثارة واليقظة والروعة والاستغراب .

---

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ص ٩ .
(٢) أسرار البلاغة ص ٧٢ .

أما أجراس الحروف فليس لها عند الشيخ قيمة فى مزية الجناس .

ومهما يكن من داع دعاه الى أن يقف هذا الموقف الذى يرفض فيه القيم الصوتية للجناس ، فاننا نذهب الى غير ما ذهب اليه مقتنعين اقتناعا لايخالجه شك بأن الظلال المتولدة من تكرار الحروف والهيآت المتجانسة ذات قيمة لاتنكر فى بعث خواطر النفس واثارة استحسانها ، وهز أعطافها وبعث الاريحية والطرب فى داخلها كل ذلك مشروط باصابة الموقع ودقة التوزيع وملاءمة المعنى .

فان الأجراس القارعة لاتهش لها الطباع السليمة ، وتكرار الأصوات وان كان باعث الأريحية فهو أيضا باعث الملالة والكزازة ، والفرق انما هو فى حسن سياسة الكلام ومعرفة طبعه وجريانه جريانا يتسق مع ما ينبعث فى النفوس من معان وخواطر .

اجراس الحروف فى هذه اللغة ذات التوقيع والغنائية المتميزة ضرب من ضروب الابانة الخفية وطريق من طرق الوحى بالمعانى والايماء اليها وبعض الناس أشد احساسا بذلك وفطنة له من بعض كما يقول الرمانى .

ثم يلاحظ فى الآيات فن تكلمنا عنه فى سورة الرعد وهو مراعاة النظير فى قوله : {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} فبعد أن ذكر سبحانه الشمس وما يتعلق بها والنجوم وهى كما ترى علوية ذكر سبحانه البحار وتسجيرها . وهكذا .

---

(١) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ١٠٥ .

قال تعالى : {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ، وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

نلاحظ فى هذا المقطع أن فواصل الآيات قد تنوعت . بمعنى أنها لم تلتزم فاصلة واحدة فى جميع آياتها وانما التزمت فاصلة موحدة بين كل مجموعة من الآيات .

ففى الأربع الآيات الأولى تنتهى بالسين .

وآية واحدة تنتهى بحرف الميم .

وخمس آيات تنتهى على فاصلة الياء والنون ماعدا آية انتهت بالواو والنون .

ثم تجئ آية تنتهى بحرف الميم .

وآيتان بحرف النون

وآية بحرف الميم

ثم آية تنتهى بحرف النون

ونلاحظ أن المقطع الأول من السورة كان بناؤه صوتيا على حرف التاء وكان المقطع فى مضمونه يتحدث عن الانقلاب الهائل الذى حدث للكون ولذلك لم تختلف الفاصلة ذلك لان سياق المعانى فيها لم يختلف .

---

(١) الآيات : ١٥-٢٩

أمـا فـى المقطـع الآخر فقد تحدث المولى فيه عن خطتين همـا ـ القسم واثبات أن المنزل هو قول رسول كريم ، وقضية أخـرى هـى قضيـة العقيـدة ومـا يتعلـق بهـا {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ـ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فقـد انتهـت آياته بحرفى الميم والنـون وأكـثر فـواصل القرآن تنتهى بهذين الحرفين ، وهما "الحرفان الطبيعيان فى الموسيقى نفسها" أو بالمد وهو كذلك طبيعـى فـى القرآن ، فان لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة بصوت الجملة وتقطيـع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعـه وعنى أن ذلك لايكون أكثر ما أنت واجده الا فى الجمل القصار ولا يكون الا بحرف قوى يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوها مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقى .

وهـذه هـى طريقـة الاستهواء الصوتى فى اللغة ، وأثرها طبيعى فى كل نفس ، فهى تشبه فى القرآن الكريم أن تكون صوت اعجـازه الـذى يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ، ثم لا يجد فى النفوس على أى حال الا الاقرار والاستجابة [1].

(١) اعجاز القرآن للرافعى ص ٢١٧ .

## الباب الثالث

# البديع وقضية الاعجاز

الفصل الأول : المثل السائر لابن الأثير

الفصل الثانى : بديع القرآن لابن أبى الاصبع

الفصل الأول

# المثل السائر لابن الأثير

من الذين عاصروا السكاكى ، أحد العلماء الذين رجعوا بالبديع الى طريقته الأولى ، فأعادوا اليه صفاءه وسهولته ، وسلكوا طرائق القدماء فى مصنفاتهم وطبعوها بسمات أصل اللغة من أرباب الفصاحة ، ونأوا بها عن ثياب المنطق والفلسفة ، ضياء بن الأثير[(١)] المتوفى سنة ٦٣٧ فى كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، وقد كان أديبا بارزا وناقدا بصيرا وبلاغيا ذواقة ، حيث اتقن الفن البلاغى وحلله وقسمه الى موضوعاته تقسيما نأى به عن مناهج الفلاسفة والمتكلمين وظهرت قدرته الذوقية فى الاكثار من الشواهد وتحليلها والوقوف عندها مليا لانه يرى الذوق أو الطبع للناقد من ضرورياته اذ يقول "وهذه الرموز التى هى أسرار الكلام لايتفطن لاستعمالها الا أحد رجلين : اما فقيه فى علم البيان قد مارسه ، واما مشقوق اللسان فى الفصاحة قد خلق عارفا بلطائفها ، مستغنيا عن مطالعة صحائفها ، وهذا لايكون الا عربى الفطرة فيقول مايقوله طبعا ،على أنه لايسدد فى جميع أقواله مالم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية"[(٢)].

---

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بضياء الدين ، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨هـ ومات ببغداد سنة ٦٣٧هـ .
انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين ، مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ٥/٢٥-٣٢ .

(٢) المثل السائر ٣/١٨٩ .

"وكتاب المثل السائر" يشتمل على مقدمة تحتوى أصول علم البيان ، ومقالتين حيث تحدث فى المقالة الأولى عن الصناعة اللفظية ، وفى المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية وهذا الذى يعنينا فى هذا الكتاب .

وقد تكلم ابن الأثير فى القسم الثانى من المقالة الأولى فى الألفاظ المركبة ، حيث عرض فى هذا القسم لألوان البديع اللفظى اذ قال "واعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هى :

(١) السجع : ويختص بالكلام المنثور .

(٢) التصريع : ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل فى باب السجع لانه فى الكلام المنظوم كالسجع فى الكلام المنثور .

(٣) التجنيس : وهو يعم القسمين جميعا .

(٤) الترصيع : وهو يعم القسمين جميعا .

(٥) لزوم مالا يلزم : وهو يعم القسمين أيضا .

(٦) الموازنة : تختص بالكلام المنثور .

(٧) اختلاف صيغ الألفاظ : وهو يعم القسمين جميعا .

(٨) تكرير الحروف : وهو يعم القسمين جميعا " (١)

ثم تطرق لها بالشرح والتحليل فأبان عن منزلة كل واحد منها وسر الفصاحة فيه .

ثم تحدث فى المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية ، وبين أنها تنقسم الى قسمين : (٢)

---

(١) المثل السائر ١/٣٠٧-٣٠٨ .
(٢) المثل السائر ٧/٢ .

الأول منهما ، فى الكلام على المعانى مجملا ثم قسمه الى قسمين احدهما :"أن يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدى فيه بمن سبقه " وهذا النوع قد يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة فمن ذلك قول أبى تمام :

بَكَرُوا وأَسْرَوا فِى مُتُونِ ضَوامِرٍ
رُقِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجارِ
لايبرحون ، ومَنْ رآهم خالهم
أبدا على سَفَرٍ مِنَ الأسفارِ

قال "وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة والخاطر فى مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة ، لشاهد الحال الحاضرة " .(٢)

وثانيهما : وهو "الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق" (٣) وابن الأثير مسبوق بهذا القسم من أبى هلال العسكرى حيث يقول "والمعانى على ضربين ، ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له امام يقتدى به فيه ، أو رسوم قائمة فى أمثلة مماثلة يعمل عليها ، وهذا الضرب ربما يقع عند الخطوب الحادثة ، ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة ، والآخر ما يحتذى به على مثال تقدم ورسم فرط" (٤) .

والثانى فى الكلام مجملا ، وقد عد تحته ثلاثين نوعا وهى "الاستعارة ، والتشبيه ، التجريد ، الالتفات ، وتوكيد الضميرين ، وعطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده ،

---

(١) المثل السائر ص ١١ .
(٢) المصدر نفسه ١١/٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ٦١ .
(٤) الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ٨٤ .

والتفسير بعد الابهام ، واستعمال العام فى النفى والخاص فى الاثبات ، والتقديم والتاخير ، والحروف العاطفة والجارة وفى الخطاب بالجملة الفعلية ، والجملة الاسمية والفرق بينهما ، وقوة اللفظ لقوة المعنى وعكس الظاهر ، والاستدراج والايجاز والاطناب ، والتكرار ، الاعتراض ، والكناية والتعريض والمغالطات المعنوية ، والاحاجى ، وفى المبادئ والافتتاحات التخلص والاقتضاب ، والتناسب بين المعانى ، ويحتوى على المطابقة أو المقابلة وصحة التقسيم وفساده وترتيب التفسير والاقتصاد والتفريط والافراط ، والاشتقاق ، والتضمين والارصاد والتوشيح وأخيرا فى السرقات الشعرية" .

ثم تطرق لها بالشرح والتحليل معتمدا فى ذلك على شيئين الذوق والتعليل القائم على العلم والتوجيه الحسن وهو ما يؤكد عليه فى مقدمة كتابه فيقول "واعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم"(٢) ويقول "وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لاتغنى تلك الآلات شيئا"(٣).

وهذا يعنى أن ابن الأثير لايكتفى فى النقد الأدبى بحكم المعرفة المستنيرة ، وانما يحكم الذوق السليم الذى يرى أنه أكبر من حكم القاعدة الموضوعة والمعرفة الضيقة المحددة .

---

(١) انظر : المثل السائر ٢/٧٣-٣٩١ ، والجزء الثالث ٥-٢٥٩

(٢) المصدر نفسه ٤٨/١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٥ .

لذلك شن حملة عنيفة على المنطق والفلسفة ورأى في رجالها أمثال ابن سينا والفارابي رجالا مغرورين أغلهم أرسطو وأفلاطون ، وأن ما ذكروه يعد لغوا لايستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا . واذا كانت تلك نظرة ابن الاثير لأصل المنطق والفلسفة فان طريقته في الكتابة أخذت اتجاها مغايرا لمفهوم الدراسة التقعيدية ، فهي تقوم على دعامتين.

الدعامة الأولى : "دراسة قاعدية ، عني فيها بالحدود والتعاريف وحصر الأقسام ، وجمع فيها كل ما استطاع جمعه من معالمها التي اهتدى اليها الذين سبقوه الى البحث البلاغي ، وهو في كثير من المواضع يصحح أخطاءهم ويضيف الى تحديداتهم ماجعلها جامعة مانعة ماتعد على الوجه الذي يهتدي اليه وبالنظر الذي يهتدي به .

والدعامة الثانية :

دراسة نقدية ، وفيها ألم بكثير من العيوب التي يقع فيها مستعملو تلك الفنون في أشعارهم أو خطبهم أو كتاباتهم "(١) ومن هنا يمكن القول ان كتاب المثل السائر جمع كثيرا من أصول البلاغة العربية والنقد الأدبي ، وأنه وحد هذين الفنين الجماليين ومزجهما وطبعهما بسمات تظهره من بين الذين عاصروه من أصحاب الأسلوب القاعدي الجاف وخلطهما بنصوص من الأدب وأراء كان في أكثرها موفقا مجيدا وهو شئ لم نلمسه عند السكاكي .

---

(١) المصدر نفسه ٣١/١ .

## البديع فى المثل السائر :

لقد نحا ابن الاثير بالبلاغة منحى آخر أساسه التعريف بصناعة الكتابة ، فقسم كتابة الى قسمين أو مقالتين :

المقالة الأولى فى الصناعة اللفظية ، وتحدث فى القسم الثانى منها عن الألفاظ المركبة ، حيث عرض فى هذا القسم لأنواع البديع اللفظى ، وفيها يقول :

"وأعلم أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هى : السجع ويختص بالكلام المنثور ، التصريع ويختص بالكلام المنظوم ، التجنيس ويشمل القسمين جميعا ، الترصيع ولزوم مالا يلزم ، الموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ ، وتكرير الحروف" (١) .

وتحدث فى المقالة الثانية عن الصناعة المعنوية ، فجمع بهذا العمل مسائل البيان والمعانى والبديع فى تلك المقالتين :

لهذا فاننى أحاول جمع ما تفرق فى أنحاء الكتاب من الأنواع التى اشتهر بها علم البديع عند معظم المتأخرين : فأبدأ بالمحسنات المعنوية :

## الطباق : التناسب بين المعانى :

وقد قسمه الى ثلاثة أقسام :

---

(١) المثل السائر ص ٣٠٨ .

النوع الأول : المطابقة : وتسمى البديع - ايغا - "وهو فى المعانى ضد التجنيس فى الألفاظ ، لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ،وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين" (١) :

ويبين ابن الأثير أن أرباب هذه الصناعة قد اجمعوا "على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشئ وضده ، كالسواد والبياض ، والليل والنهار ، الا أن قدامة بن جعفر قد خالفهم فى هذا فقال : "المطابقة ايراد لفظين متساويين فى البناء والصيغة مختلفين فى المعنى وهذا الذى ذكره هو التجنيس بعينه ، غير أن الأسماء لا مشاحة فيها الا اذا كانت مشتقة" (٢) .

ثم يوضح ابن الأثير أصل المطابقة فى اللغة فيقول "وقد وجدنا الطباق فى اللغة من طابق البعير فى سيره ، اذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤكد ما ذكره قدامة لأن اليد غير الرجل لا ضدها ، والموقع الذى يقعان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحد ، فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سمى به ، وذلك مناسب وواقع فى موقعه" (٣) .

ثم يذكر ابن الاثير أن غير قدامة من حذاق هذه الصناعة قد سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق بينه وبين مسماه الا أن يكونوا قد علموا مناسبة لم يعلمها ابن الأثير ثم يبين : أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع

---

(١) المصدر نفسه ١٧١/٣ .
(٢) المصدر نفسه ١٧١/٣ .
(٣) المصدر نفسه ١٧١/٣ .

المقابلة : لأنه لايخلو الحال فيه من وجهين : اما أن يقابل الشئ بضده أو يقابل الشئ بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث :

فأما الأول : فهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض ، وما جرى مجراهما فانه ينقسم الى قسمين :

أحدهما : مقابلة فى اللفظ والمعنى كقوله تعالى : {فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا} (١) فقابل الضحك والبكاء ، والقليل والكثير .

وكذلك قوله تعالى : {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَاتَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} (٢) ثم يقول "وهذا أحسن ماجاء فى هذا الباب" (٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خير المال عين ساهرة لعين نائمة" (٤) .

ومثل له أيضا بقول على رضى الله عنه "ان الحق ثقيل مريى والباطل خفيف وبى" . وأنت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت" وهذه خمس مقابلات فى الكلمات القصار .

وأما الآخر فهو مقابلة فى المعنى دون اللفظ :

فقد مثل لها بقول المقنع الكندى من شعراء الحماسة :

لَهُمْ جُلَّ مَالِى إِنْ تَتَابَعَ لِى غِنًى
وَإِنْ قَلَّ مَالِى لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدا (٥)

فقوله "تتابع لى غنى بمعنى قوله : كثر مالى ، فهو

---

(١) التوبة : ٨٢
(٢) الحديد : ٢٣
(٣) المثل السائر ١٧٢/٣ بتصرف .
(٤) لم أعثر عليه فى كتب الحديث .
(٥) المثل السائر ١٧٩/٣ .

اذا مقابله من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية انما هى فى المفردات من الألفاظ ، نحو قام وقعد .. وقل وكثر فالقيام ضد القعود ، والقليل ضد الكثير فاذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل الى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وهذا مقابلة معنوية لا لفظية (١) :

ويبدو لى أن هذه المقابلة المعنوية فى رأى ابن الأثير هى ما عبر عنه الخطيب القزوينى بالطباق الخفى فقال : "والطباق قد يكون ظاهرا كما ذكرنا وقد يكون خفيا (٢) ... كقوله تعالى : {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} (٣) حيث طابق بين أغرقوا وأدخلوا نارا فالتقابل ظاهر بين الاغرق والاحراق الذى هو لازم لدخول النار .

أما مقابلة الشئ بما ليس بضده ، فانها ضربان :

الضرب الأول يتفرع الى فرعين :

الفرع الأول :

"ماكان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب كقول قريط بن أنيف :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة

ومن إساءة أهل السوء احسانا (٤)

---

(١) المصدر السابق ١٧٩/٣ .
(٢) الايضاح للقزوينى ص ١٩٣ .
(٣) نوح : ٢٥
(٤) المثل السائر ١٨٠/٣ .

"فقابل الظلم بالمغفرة ، وليس ضدا لها وانما ضد العدل الا انه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم" (١) .

ومثله قوله تعالى : {أشداء على الكفار رحماء بينهم} (٢) فالرحمة ليست ضد الشدة وانما ضد الشدة اللين الا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة" (٣) وأرى أيضا أن الرحمة تقابل القسوة ولكنه قال أشداء ولم يقل قساة ، لأن المطلوب مع الكفار هو الشدة واظهار الشوكة والغلبة وليست القسوة والظلم ، ولم يقل أشداء على الكفار لينون بينهم لأن المطلوب بين المؤمنين هو التراحم والتعاطف والتواد وليس الضعف واللين .

الفرع الثاني :

ماكان بين المقابل والمقابل به بعد وهذا مما لايحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبى :

لمن تطلبُ الدنيا اذا لم تُرد بها
سرورَ محبٍّ أو اساءةَ مجرمِ

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض ، لا بين المحب والمجرم اذ ليس كل من أجرم اليك كان مبغضا لك .

والذى يبدو لى أن هذا الضرب بفرعيه ـ وهو مقابلة الشئ بما ليس بضده انما هو واحد من أمرين الحقهما الخطيب

---

(١) المثل السائر ص ١٨٠ .
(٢) الفتح : ٢٩
(٣) المثل السائر ١٨٠/٣ .

بالطباق ، حيث قال : "ويلحق بالطباق شيئان[1] :

أحدهما بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسببية واللزوم ، نحو قوله تعالى : "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " .

والآخر : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان كقول دعبل :

لاتعجبي ياسلمَ من رجلٍ

ضَحِكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

فالمراد بضحك المشيب ظهوره وهو لايقابل البكاء وانما اللفظ الذى عبر به عن الظهور وهو الضحك المقابل للبكاء .

ومما يتصل بهذا الضرب ما يسميه ابن الأثير : المؤاخاة بين المعانى ، والمؤاخاه بين المبانى .

أما المؤاخاة بين المعانى ، فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لا مع الأجنبى ، ومثاله : أن تذكر وصفا من الأوصاف ، وتقربه بما يلتئم به ، فان ذكرته مع مايبعد منه كان ذلك قدحا فى الصناعة ، وان كان جائزا . ومن ذلك قول الكميت :

أم هَلْ ظعائنُ بالعلياءِ رافعةٌ

وإن تكامل فيها الدلُّ والشَّنَبُ

فالدل يذكر مع الغنج وما أشبه ، والشنب يذكر مع اللعس "وهذا موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا . وهو مظنة الغلط لأنه يحتاج الى ثاقب فكرة وحذق بحيث توضع المعانى مع أخواتها لا مع الأجنبى منها"[2] .

---

(١) شروح التلخيص ٢٩٤/٤ ، الايضاح ص ١٩٤ .
(٢) المثل السائر ١٨٢/٣ .

ومنه قول أبى نواس وقد أخطأ فيه :

وقد حلفت يمينا

مبـــرورة لاتكـــذب .

برب زمزم والحو

ض والصفا والمحصب .

لان ذكر الحوض مع زمزم ، والصفا والمحصب غير مناسب ، وانما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وماجرى مجراهما .

ويلاحظ أن ماسماه ابن الأثير هنا باسم المؤاخاة بين المعانى هو ماعرف عند الخطيب باسم "مراعاة النظير" .[1]

أما المؤاخاة بين المبانى فانه يتعلق بالألفاظ ،[2] فمن ذلك قول أبى تمام فى وصف الرماح :

مثقفات سلبن العرب سمرتها

والروم زرقتها والعاشق القضفا[3]

ويقول "وهذا البيت من أبيات أبى تمام الأفراد ، غير أن فيه نظرا ، وهو قوله العرب والروم ، ثم قال العاشق ، ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن . اذ كانت الأوصاف تجرى على نهج واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضفا ، وكان ينبغى أن يقول قضفها أو دقتها" .[4]

ويرى ابن الأثير أن المؤاخاة بين المبانى إنما يطالب بها الناثر دون الناظم ، لأنه يمكنه التصرف فى ضروب القول أكثر من الناظم ، كما أنه يرى أن هذا الضرب من الكلام واجب

---

(١) الصبغ البديع ص ٢٧٤ .
(٢) المثل السائر ١٨٤/٣ .
(٣) القضفا : النحافة والضمور .
(٤) المثل السائر ١٨٥/١٨٤/٣ .

"وأنه لايحسن المحيد عنه حتى مر به فى القرآن الكريم مايخالفه ، كقوله تعالى : {أو لم يروا إلى ماخلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل}(١) ولو كان الأحسن لزوم البناء اللفظى على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين ، وكذلك قوله تعالى :

{أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون}(٢)

وكذلك ورد قوله تعالى : {حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم}(٣)

فذكر السمع بلفظ الأفراد وجمع الأبصار والجلود .(٤)

وهكذا نجد ابن الأثير يرى أن المؤاخاة بين المبانى ليست محسنا للكلام وقد عاب قبل ذلك بيت أبى تمام لأنه لم يلتزم بها ، ثم رأى أن من الانصاف أن يطالب بها الناثر دون الناظم ، فكما وجد فى القرآن الكريم مايخالفها ، رأى أن المؤاخاة بين المبانى غير لازمة لحسن الكلام .

الضرب الثانى "فى مقابلة الشئ بمثله" ويتفرع الى فرعين :

الفرع الأول "مقابلة المفرد بالمفرد" كقوله تعالى {نسوا الله فنسيهم}(٥) وكقوله تعالى {ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا}(٦) .

---

(١) النحل : ٤٨
(٢) النحل : ١٠٨
(٣) فصلت : ٢٠
(٤) المثل السائر ١٨٦/٣ .
(٥) التوبة : ٦٧
(٦) النمل : ٥٠

وقد روعي هذا في القرآن كثيرا ، فاذا ورد ماورد في صدر آية من الآيات مايحتاج الى جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى : {مَن كفر فعليه كفرُه}(١) وكقوله تعالى : {وجزاء سيئة سيئة مثلها}(٢) وهذا هو الأحسن وعليه مدار الأستعمال ومعلوم أن هذا النوع الذى تحدث عنه ابن الأثير هو ماعرف عند المتأخرين باسم المشاكلة . وهو ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا(٣) .

المثال الأول : وجزاء سيئة سيئة مثلها .

وأما الثانى كقوله : {صِبغةَ اللهِ ومَن أحسنُ مِن اللهِ صِبغة}(٤)

الفرع الثانى : مقابلة الجملة بالجملة :

يرى ابن الأثير أن الجملة فى الكلام اذا كانت مستقبلة قوبلت بمستقبلة ، وان كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احداهما فى معنى الأخرى(٥) .

ويمثل لهذا النوع بقول الله تعالى {قل إن ضللت فإنما أضِل على نفسي وإن إهتديت فبما يوحى إلىَّ ربِّى}(٦) فالتقابل فى هذه الآية من جهة المعنى ، ولو كان التقابل من جهة اللفظ ، لقال وان اهتديت فانما أهتدى لها ، وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها ، أعنى أن

---

(١) الروم : ٤٤
(٢) الشورى : ٤٠
(٣) الايضاح ١٩٨ .
(٤) البقرة : ١٣٨
(٥) المثل السائر ١٩٠/٣ .
(٦) سبأ : ٥٠

كل ماهو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها الأمارة بالسوء ، وكل ماهو لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه اياها ، وهذا حكم عام لكل مكلف .

وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أن يسند ذلك الى نفسه ، لأن الرسول اذا دخل تحته مع علو محله ، وسداد طريقته كان غيره أولى به[1] .

ومن هذا النوع قوله تعالى : {ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا}[2] فانه لم يراع التقابل في قوله "ليسكنوا ومبصرا" اذ لو روعى التقابل لقال "والنهار ليبصروا فيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكلف ، لان معنى قوله مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في الحاجات" .

ويرى ابن الأثير أن في تقابل المعاني بابا عجيب الأمر يحتاج الى فضل تأمل وتدبر قل من يفطن اليها . وذلك يختص[3] بالفواصل من الكلام المنثور وبالاعجاز من الأبيات الشعرية .

يقول في قوله تعالى :{وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون} وقوله : {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون}[4] .

---

(١) المثل السائر ١٩٠/٣ .
(٢) النمل : ٨٦
(٣) المثل السائر ص ١٩٠ .
(٤) البقرة : ١١-١٣

يقول : "ألا ترى كيف فصل الآية الأخرى بيعلمون ، والآية التى قبلها بيشعرون وانما فعل ذلك لأن الآمر والوقوف على المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما النفاق ومافيه من البغى معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وماكان فيهم من التجارب والتغاور ، فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه "يشعرون" وأيضا ، فانه ذكر السفه فى الآية الأخيرة أو هو جهل ، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا مثالا "لايعلمون"(١)

ومما جاء فى هذا الباب قول أبى الطيب المتنبى :

وقفت ومافى الموت شك لواقف

كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقد أوخذ على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخرا للبيت الثانى ، واخر البيت الثانى آخرا للأول لكان أولى .(٢)

القسم الثانى "من التناسب بين المعانى" فى صحة التقسيم وفساده .(٣)

نبه ابن الاثير فى بداية كلامه عن هذا القسم أنه لايريد بصحة التقسيم ههنا ماتقتضيه القسمة العقلية كما عنى بها المتكلمون وانما يريد به مايقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد، واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره ، فتارة يكون التقسيم بلفظة "اما"

---

(١) المثل السائر ٣/١٩٤-١٩٣ .
(٢) المصدر نفسه ٣/١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ٣/١٩٤ .

وتارة يكون بلفظة "بين" وتارة بلفظة "منهم" وهكذا ...

ومما جاء من هذا القسم قوله تعالى : {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} (١) يقول :

"فهذه قسمة صحيحة لأنه لايخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاصى ، ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات ، واما مقتصد بينهما" (٢) .

وعند قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} (٣) لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس هناك قسم ثالث .

وقد ذكر ابن حجة ماذكره البلاغيون فى معنى التقسيم ثم قال "ويعجبنى بلاغة زكى الدين ابن أبى الاصبع فانه قال عن التقسيم عبارة عن استثناء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ، ومثل له بقوله تعالى : {هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا} وليس فى رؤية البرق غير الخوف من المواعق أو الطمع فى الأمطار ولا ثالث لهذين القسمين" (٤) .

ومن التقسيم ماروى أن اعرابيا وقف على مجلس الحسن البصرى - رضى الله عنه - فقال "رحم الله عبدا أعطى من سعة أو امسك من كفاف أو آثر من قلة" فقال الحسن البصرى : ماترك لاحد عذرا .

وقد ذكر ابن الأثير أن أبا هلال العسكرى قد عاب على جميل قوله :

---

(١) فاطر : ٣٢
(٢) المثل السائر ١٩٤/٣ .
(٣) الرعد : ١٢
(٤) خزانة الأدب لابن حجة ص ٤٤٣ .

لو كان في قلبي كقدر قلامةٍ
حبا وصلتك ، أو أتتك رسائلي

لأن اتيان الرسائل داخل في جملة الوصل .(1)

ويرد ابن الأثير على أبي هلال العسكري بقوله "وليس الأمر كما وقع له ، فان جميلا انما أراد بقوله : وصلتك ، أتيتك زائرا ، قاصدا أو كنت راسلتك مراسلة ، والوصل لايخرج عن هذين الوصفين اما زيارة واما رسالة "(2) . وهو في نقده محق فالوصل ليس كالرسالة .

ومن شرط التقسيم عند ابن الأثير أن لاتتداخل أقسامه بعضها ببعض وهو مأخوذ عن قدامة في نقد الشعر"(3) .

ونلاحظ أن ابن الأثير تحدث عن صحة التقسيم ولم يتطرق الى الجمع مع التفريق أو الجمع مع التقسيم أو الجمع مع التقسيم والتفريق مما نلحظه عند عبد القاهر الجرجاني ثم عند الخطيب القزويني(4) ، ولكنه أخذ صحة التقسيم عن قدامة بن جعفر . فأحاط بمفهومه وشروطه(5) .

القسم الثالث "من التناسب بين المعاني" في ترتيب التفسير .

يبين ابن الأثير مقصده من هذا النوع بأن صحة الترتيب يقصد بها "أن يذكر في الكلام معان مختلفة فاذا عيد اليها بالذكر لتفسير قدم المقدم وآخر المؤخر وهو الأحسن ، الا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ، ولم

---

(1) الصناعتين ص ٣٧٩ .
(2) المثل السائر ٣/١٩٧ .
(3) دلائل الاعجاز ص ٦٤-٦٥ .
(4) الايضاح ص ٢٠٤ .
(5) نقد الشعر ص ١٣٩ .

يراع فيه تقديم المقدم ولاتاخير المؤخر كقوله تعالى : {أفلَمْ يَرَوْا إِلَى مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَاخَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} (١) ولو قدم التفسير المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقيل ان نشأ نسقط عليهم كسفا من السماء أو نخسف بهم الأرض" (٢) .

وكذلك قوله تعالى : {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ..} (٣) فقدم المؤخر أخر المقدم .

وأما ماروعي فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى : {ومَانُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لاتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتْ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} (٤)

قال العلامة سعد الدين التفتازاني جمع الأنفس في عدم التكلم "يقول لاتكلم نفس لأن النكرة في سياق النفي تعم ، ثم فرق بأن أوقع التباين بينهما بأن بعضها شقي وبعضها سعيد بقوله فمنهم شقي وسعيد وانما الأنفس وأهل الموقف واحد ، ثم

---

(١) سبأ : ٩
(٢) المثل السائر ٣/٢٠٠ .
(٣) آل عمران : ١٠٦-١٠٧
(٤) هود : ١٠٤-١٠٨

قسم وأضاف الى السعداء مالهم من نعيم الجنة والى الأشقياء مالهم من عذاب النار بقوله فأما الذين شقوا الى آخره ...."

اقول تداخل هذه الألوان وبناء العبارة عليها جعلها كأنها ضرب من القبض والبسط ، وضروب من الملاحظات النافذة السريعة التى تدرك الحدود الفارقة والصفات الجامعة وتضع الاشارات السريعة التى تصل الاشياء بعضها ببعض ، فهم واحد بالنسبة للموقف وهم فريقان بالنسبة للشقاوة والسعادة ، والشقاوة للأشقياء هى كذا ، والسعادة للسعداء هى كذا ، وهكذا ...

تحديدات ذهنية أشبه بالأعمال الرياضية ، وهذا هو مرجع المزية فيها ، لأنها تثير ألوانا عديدة من نشاط النفس ولابد أن يكون هذا النشاط جادا ويقظا[٢] .

ويلاحظ مما تقدم أن ابن الأثير قد ألم بصحة التقسيم وفساده ، وترتيب التفسير وفساده ، قد ألم بهما عند قدامة ابن جعفر الا أنه لم يذكر صحة التفسير واستعاض عنها بترتيب التفسير . ولا أعلم السبب الذى من أجله ترك صحة التفسير الى صحة ترتيبه مع أنه يقول "ان فساد التفسير أقبح من فساد ترتيبه"[٣] .

## الارصاد أو التسهيم :

ويعرفه بقوله "وأن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له ، أى أعدها فى نفسه ، فاذا أنشد

---

(١) شروح التلخيص ٣٤٥/٣٤/٤ .
(٢) قد استفدت فى هذا كثيرا من الدكتور محمد أبو موسى .
(٣) المثل السائر ٢٠٤/٣ .

البيت عرف مايأتى فى قافيته "[1] ثم يذكر أن ذلك محمود الصفة لان الكلام مادل بعضه على بعض ، فقد افتخر ابن نباتة السعدى بذلك فقال :

خذها اذا أنشدت فى القوم من طرب

صدورها عرفت منها قوافيها

ثم يبدأ ابن الأثير فى التمثيل لهذا النوع البديعى بما جاء منه شعرا ويختمه بما جاء منه نثرا ، فما جاء منه شعرا قول النابغة :

فِداءٌ لامرئٍ سارتْ إليهِ

بعذرةِ ربِّها عمِّى وخالى

ولو كفِّى اليمينُ بغتك خونا

لأفردتُ اليمينَ عن الشمالِ

ثم يقول الا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية فى البيت الأول أن فى البيت الثانى ذكرا للشمال .

وأما ماجاء منه نثرا فقول الله تعالى : {وماكان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون}[2] عرف أن بعده يختلفون لأنه تقدم مايدل عليه .

ومنه قوله تعالى : {مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت}[3] فاذا وقف السامع على قوله عز وجل وان أوهن

---

(١) المثل السائر ٣/٢٤٥ .
(٢) يونس : ١٩
(٣) العنكبوت : ٤١

البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت .

ويذكر ابن الأثير أنه قد رأى أبا هلال العسكرى يسمى هذا النوع باسم التوشيح "وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان" (١) .

والملاحظ مما تقدم أن تعريف ابن الأثير للأرصاد لم يكن دقيقا لأنه خصه بالشعر حيث قال "أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له ، أى أعدها فى نفسه ، فاذا أنشد صدر البيت عرف مايأتى به فى قافيته" (٢) على الرغم من هذا فقد مثل له نثرا والتعريف لم يشمل النثر كما شمل الشعر .

ولهذا عرفه الخطيب القزوينى بقوله "أن يجعل من الفقرة أو البيت مايدل على العجز اذا عرف الروى" (٣)

أما تسميتة بالارصاد فقد انفرد به ابن الأثير ولعل أول من نبه اليه عبدالله بن المقفع بقوله عند ماسئل عن البلاغة "وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته" (٤) ، ولم يسمه وجاء قدامة فسماه التوشيح (٥) وجاراه فى التسمية كل من أبى هلال العسكرى والباقلانى (٦) وأطلق عليه ابن رشيق التسهيم متابعا فى ذلك على بن هارون المنجم (٧) .

---

(١) المثل السائر ص ٢٤٦ .
(٢) المثل السائر ص ١٤٦-٢٤٦ .
(٣) الايضاح ص ١٩٨ .
(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١١٧/١ .
(٥) نقد الشعر ص ١٦٧ .
(٦) الصناعتين لأبى هلال ص ٣٩٧ .
(٧) البلاغة تطور وتاريخ لشوقى ضيف ص ١٤٩ .

وجاء الارصاد على لسان ابن الأثير ، فجاءت على لسان من بعده الا أن الخطيب أطلق عليه اسم الارصاد أو التسهيم[١] .

وقد ذكر العلامة السبكي - أن الارصاد انما سمى ارصادا لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها وسمى تسهيما من البرد المسهم المستوى الخطوط ، وقيل يسمى تسهيما ، لأن المتكلم يصوب ماقبل عجز الكلام الى عجزه والتسهيم ، تصويب السهم الى الغرض[٢] .

التورية :

يسمى ابن الأثير هذا النوع باسم المغالطات المعنوية ، وعرفه بقوله "أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شئ آخر ونقيض ، والنقيض أحسن موقعا وألطف مأخذا"[٣] ، وهى من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه لما فيه من التورية .

ثم يبين أن الذى يكون له مثل يقع فى الألفاظ المشتركة من ذلك قول أبى الطيب :

يُشَلُّهُمُ بكل أقَبَّ نَهْدٍ
لفارسه على الخَيْلِ الخيار

وكلِّ أصمَّ يَعْسِلُ جَانِباهُ
على الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌ حمار

يُغادِرُ كلَّ ملتفتٍ اليه
ولَبَّتَهُ لِثعلبةٍ وِجارُ

---

(١) الايضاح للقزوينى ١٩٨.
(٢) عروس الأفراح للسبكى ٣٠٥/٤ .
(٣) المثل السائر ٩١/٣ .

وقد أخذ ابن الأثير التسمية من قول عبد القاهر الجرجاني وكقول الذى قال لاحملنك على الأدهم[(١)] ، يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة : ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب فالمراد بالأدهم ـ القيد والفرس الذى فيه سواد وقد حمله الحجاج على المعنى الأول وحمله القبعثرى على الآخر فكل منهما قد حمل ذلك اللفظ على خلاف مراد الآخر .

وعبد القاهر جدير بهذه التسمية وان كانت مغالطة أدبية طريفة .

وقد سمى السكاكى هذا الفن باسم الأسلوب الحكيم ، وعرفه الخطيب بقوله بأنه "تلقى المخاطب بغير مايترقب يحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها له على أنه الأولى بالقصد أو السائل بغير مايتطلب تنزيل سؤاله منزلة غيره ، تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم لذا"[(٢)] .

التجريد :

وعرفه بقوله "اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه" .

ويبين سر هذه التسمية ، فبين أن أصله فى وضع اللغة : من جردت السيف اذا نزعته من غمده ، وجردت فلانا اذا نزعت ثيابه ، ومن هنا قال النبى صلى الله عليه وسلم "لا مد ولا تجريد" فى النهى عند اقامة الحد ، أن يمد صاحبه على الأرض

---

(١) الدلائل ص ١٠٧ .
(٢) الايضاح ص ٤٦ .

وأن تجرد ثيابه ، ثم نقل هذا المعنى الى نوع من أنواع علم البيان" .(١)

وابن الأثير وجد للتجريد فائدتين .

الأولى : طلب التوسع فى الكلام ، لانه اذا كان ظاهره خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك كان ذلك من باب التوسع .

الفائدة الثانية : وهى الأبلغ أن المتكلم يتمكن من اجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه اذ يكون مخاطبا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه .

وعلى هذا الأساس قسم ابن الأثير التجريد قسمين : محضاً ، وغير محض .

القسم الأول : التجريد المحض وعرفه بقوله : أن تأتى بكلام لغيرك وأنت تريد به نفسك ، وهذا القسم ينطبق على تعريف ابن الأثير للتجريد .(٢)

وقد قسمه الى قسمين :

القسم الأول : مايمكن به تمكين المتكلم من اجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، وقد مثل له بقول الشاعر المعروف بالحيص بيص :

إلامَ يَرَاكَ المَجْدُ فى زِيِّ شاعرٍ
وقَدْ نَحَلَتْ شوقاً فروعُ المنابرِ

كتمتَ بعيبِ الشعرِ حلماً وحكمةً
ببعضهما تنقادُ صعبُ المفاخرِ

---

(١) المثل السائر ١٦٩/٢ .
(٢) المثل السائر ١٧٠/٢ .

أمَا وأَبيكَ الخَيْر إنكَ فارسُ ال
مقَالِ - ومُحي الدارساتِ الغوابرِ
وإنكَ أعْيَيْتَ المسَامِعَ والنُّهى
بقولِكَ عما فى بطونِ الدفاتِرِ

فقد أجرى الشاعر الخطاب على غيره ، وهو يريد نفسه ليتمكن من ذكر ماذكره ونحن نعلم أن هذا التجريد التفات على رأى السكاكى حيث انتقل من التكلم الى الخطاب .(١)

النوع الثانى : ماقعد به التوسع خاصة ومنه قول الشاعر :

حننتَ إلى ريّا ، ونَفسُكَ باعدتْ
مزَارَكَ مِن ريّا وشعباكمَا معَا
فما حسَنٌ أن تأتِيَ الأمرَ طائعاً
وتجزع أَنْ داعى الصبابةِ اسمعَا

ثم يقول ابن الأثير : وقد ورد بعد هذين البيتين مايدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لأنه قال :

وأذكرُ أيامَ الحمَى ثمّ أنْثنى
على كبدى خشيةٍ أنْ يتصدعا
بنفسِيَ تلك الأرضَ ما أطيبَ الربا
وما أحسنَ المصطافَ والمتربعا

فانتقل من الخطاب التجريدى الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الأولى لماقضى عليه بالتوسع وانما يقضى عليه بالتجريد البليغ الذى هو الطرف الآخر وهذا النوع هو التفات

---

(١) الايضاح ص ٢٠٦ .
(٢) المثل السائر ١٧٠/٢ .

من المخاطب الى المتكلم على رأى الجمهور وكان الأحرى بابن الأثير أن يضم هذا النوع الى أنواع الالتفات عنده .

أما القسم الثانى :

فهو تجريد غير محض ، فهو خطاب للنفس لا للغير ، ومن أمثلتة :

أقولُ لهَا وقد جَشَأتْ وجَاشتْ
رُوَيْدكِ تُحمَدِي أو تستريحى .

عكس الظاهر :

وقد عرفه ابن الأثير بقوله : "وهو نفى الشئ باثباته ، وعده من مستظرفات علم البيان ، ذلك لانك "تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفى لصفه موصوف ، وهو نفى للموصوف أصلا " (١) .

ومن أمثلة هذا النوع قول على بن أبى طالب – رضى الله عنه – فى وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تثنى فلتاته " أى لاتذاع وليس المعنى ذلك بل المعنى أنه لم يكن ثم فلتات تثنى .

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قول الشاعر الباهلى :

لاتَفزعُ الأرنبُ أهوالَها
ولاترَى الضبَّ بِهَا ينجحِرْ .

فظاهر المعنى من البيت أنه كان هنالك ضب ولكنه ليس منجحر وليس الأمر كذلك ، لأن المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا .

(١) المثل السائر ٢/٢٨٩ .

وسبب قلة استعمال هذا النوع من الكلام ، كما يقول ابن الأثير "أن الفهم يأباه ولايقبله الا بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه ، وماكان عاريا عن قرينه فانه لايفهم منه ما أراد قائله" (١) .

ولئن كان هنالك قرينة وضحت المراد من قول على - رضى الله عنه - "لاتثنى فلتاته" ، وهى أنه قد ثبتت فى النفوس ، وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فليس هناك قرينة تبين المراد من قول القائل "ولاترى الضب بها ينحجر" ويقول ابن الأثير : "انه مكث يطوف على أقوال الشعراء قصدا للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد الا بيتا لامرئ القيس هو" (٢)

على لاحبٍ لايهتدى بمنارِه
إذا ساقَه العَودُ الدِّيافيُّ جَرْجَرَا

فقوله "لايهتدى بمناره" ظاهره أن له منارا ولكنه لايهتدى به ، وليس الأمر كذلك بل وانما المراد : أنه لا منار له ، فيهتدى به .

ويلاحظ أن ابن الأثير لم يقرأ "كتاب العمدة" لابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦ هـ لأنه يقول "قد طوف على أقوال الشعراء قصدا للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم يجد غير ماتقدم" (٣) مع العلم بأن ابن رشيق أورد هذا النوع وسماه نفى الشئ بايجابه (٤) ومن أمثلته قول زهير :

---

(١) المثل السائر ٢/٢٩٠ .
(٢) المثل السائر ٢/٢٩٠ .
(٣) العمدة لابن رشيق ٢/٨٠ .
(٤) العمدة لابن رشيق ٢/٨١ .

بأرضٍ خلاءٍ ، لايسدُّ وصيدَها
عليَّ ومعروفي بها غيرُ منكرِ

حيث أثبت بها في اللفظ وصيدا ، وانما أراد : ليس لها وصيد وقد عده من البديع .

ومن أمثلته أيضا قول ابى ذؤيب :

متفلِّقٌ أنساؤها عن قانئٍ
كالقرطِ صاوٍ غُبرُهُ لايرضعُ

فلم يرد أن هناك بقية لبن لايرضع ، ولكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع .

وقد عثر العلامة السيوطى على هذا النوع من الكلام فى علم البديع وأطلق عليه نفى الشئ بايجابه متابعا فيه ابن رشيق صاحب العمدة (١) .

الاستدراج :

ويقول انه استخرجه من كتاب الله تعالى ، وعرفه بقوله "وهو من مخادعات الأقوال التى تقوم مقام مخادعات الأفعال" (٢) .

ويوضح أن مدار البلاغة فيه انما تكمن فى النكت الدقيقة التى يستخدمها فى استدراج الخصم للاذعان والتسليم

ويقول "وقد ذكرت فى هذا النوع مايتعلم منه سلوك

---

(١) شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، ط/مصطفى حلبى ، ١٣٥٨هـ ص ١٣٤ .
(٢) المثل السائر ٢/٢٩٥ .

الطريق" فمن ذلك قوله تعالى : {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} (١) .

يقول ابن الأثير "الاترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم ، فقال لايخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولايتعداه أو يكون صادقا فيصبكم بعض الذى يعدكم ان تعرضتم له" (٢) .

ثم يقول : "انما قال يصيبكم بعض الذى يعدكم ، وقد علم أنه نبى صادق وان كل مايعدهم به لابد وأن يصيبهم ، لابعضه ، ذلك لأنه احتاج مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة فى القول ، ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى الى سكونهم اليه ، فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله ، وأدخل من تصديقهم اياه ، فقال "وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم" وهو كلام المنصف فى مقابلة المشتط ، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع مايعد به لكنه أردف بقوله "يصبكم بعض الذى يعدكم" ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا ، فضلا عن أن يتعصب له ، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل (٣) ، كأنه برطلهم فى صدر الكلام بما يزعمونه ، لئلا ينفروا منه" (٤) .

---

(١) غافر : ٢٨
(٢) المصدر نفسه ٢٩٦/٢ .
(٣) المثل السائر ٢٩٧/٢/٧٩٦ .
(٤) يقال برطل فلانا رشاه ، فتبرطل فارتشى .

ويقول فى آخر الآية : "لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولاعضده بالبينات"(١) ، وفيه من خداع الخصم واستدراجه مالا خفاء فيه .

وللاستدراج سالك وتصرفات عجيبة فى القرآن الكريم ، كشف عنها ابن الأثير ببراعة واتقان ، نرى ذلك حين تكلم عن قوله تعالى : {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}(٢) يقول ابن الأثير .

"هذا كلام يهز أعطاف السامعين ، وفيه من الفوائد ما أذكره ، وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم الذى عصى به أمر العقل رتب الكلام معه فى أحسن نظام ، مع استعمال المجاملة واللطف ، والأدب الحميد ، والخلق الحسن مستنصحا فى ذلك بنصيحة ربه ، وذلك أنه طلب منه أولا العلة فى خطيئته طلب منبه على تماديه ، موقظ من غفلته لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب ، الا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ، ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين ، فكيف بمن جعل المعبود جمادا لايسمع ولايبصر يعنى به الصم .

---

(١) المثل السائر ٢٩٦/٢ .
(٢) مريم : ٤١-٤٥
(٣) المثل السائر ٢٩٧/٢-٢٩٨ .

ثم ثنى ذلك بدعوته الى الحق ، مترفقا به ، فلم يسم أباه بالجهل المطلق ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال ان معى لطائفة من العلم وشيئا منه ، وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق ، فلا تستنكف ، وهب اننى واياك فى مسير وعندى معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه ثم حذره من سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال "انى أخاف أن يمسك عذاب" فنكر العذاب ملاطفة لأبيه ، وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا "[1] .

ثم يقول "وفى القرآن مواضع كثيرة من هذا الجنس لا سيما فى مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم - للكفار - والرد عليهم "[2] .

## الالتفات :

يرى ابن الأثير أن "الالتفات خلاصة علم البيان التى حولها يدندن واليها تستند البلاغة ، وعنها يعنعن "[3] .

وهذا النوع مأخوذ من التفات الانسان عن يمينه وشماله ويسميه شجاعة العربية . لأن الشجاعة هى الاقدام فالشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ، ويتورد مالا يتورده غيره وكذلك هذا فى الالتفات من الكلام ، فان اللغة العربية تختص به دون سائر اللغات .

---

(١) المثل السائر ٢/٢٩٨-٢٩٩ .
(٢) المصدر نفسه ٢/٢٩٩ .
(٣) المصدر نفسه ٢/١٨١ .

وقد تكون التسمية مأخوذة من أن الشجاعة فيها مخاطرة وكذلك الانتقال من الكلام أو الخطاب أو الغيبة الى معنى آخر فيه مخاطرة بفهم السامع ، وان كان مما يجدد نشاطه وينبهه للاصغاء الى مايقال له من الكلام .

الأسرار البلاغية لأسلوب الالتفات :

يورد ابن الأثير رأيا للامام الزمخشرى – رحمه الله – فى قيمة الالتفات ، وهو "أن الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن فى الكلام ، والانتقال من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه" (١) ، ولكنه يرد هذا الرأى لسببين اثنين :

أولهما : "أن الانتقال فى الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع ، وايقاظا للاصغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد ، فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع ، وهذا قدح فى الكلام ، لا وصف له ، لأنه لو كان حسنا لما مل" (٢) .

وثانيهما : أنه لو سلم للزمخشرى "ماذهب اليه لكان يوجد ذلك فى الكلام المطول ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معا يبلغ عشرة ألفاظ ، أو أقل من ذلك" (٣) .

---

(١) المصدر نفسه ٢/١٨١ .
(٢) المصدر نفسه ٢/١٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ٢/١٨٢ .

ثم يبين ابن الأثير رأيه فيقول "ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لايكون الا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من اسلوب الى أسلوب ، غير أنها لاتحد بحد ولاتضبط بضابط لكن يشار اليها الى مواضع منها ، ليقاس عليها غيرها ، فانا رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ، ثم رأينا ذلك بعينه ، وهو ضد الأول قد استعمل فى الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لايجرى على وتيرة واحدة ، وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود" (١) .

وابن الأثير ينهج نهج الأوائل فهاهو ذا "ابن جنى" ينبه الى البحث عن الآسرار التى يلتفت من أجلها فى الكلام ، موضحا أن هذه الأسرار هى من خصائص التراكيب ، ومتطلبات السياق والمقام .

يقول ابن جنى "وليس ينبغى أن يقتصر فى ذكر علة الانتقال من الخطاب الى الغيبة ، ومن الغيبة الى الخطاب بما عادة أهل النظر أن يفعلوه ، وهو قولهم : ان فيه ضربا من الاتساع فى اللغة لانتقاله من لفظ الى لفظ ، هذا ينبغى أن يقال اذا عرى الموضع من غرض معتمد ، وسر على مثله تنعقد اليد" (٢) .

---

(١) المثل السائر ٢/١٨٣ .
(٢) المحتسب لابن جنى ١/١٤٥ .

## أقسام الالتفات عند ابن الأثير :

قسم ابن الأثير الالتفات الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة .

(أ) أما الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى في سورة الفاتحة :

{الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}(١) .

حيث رجع هنا من الغيبة الى الخطاب اذ قال "اياك نعبد واياك نستعين" بعد قوله "الحمد لله رب العالمين" فعدل فيه من الغيبة الى الخطاب ، لأن الحمد دون العبادة فأنت تحمد نظيرك ولاتعبده ، ولهذا استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر ، فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ، ولما صار الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال : اياك نعبد فخاطب بالعبادة تصريحا بها وتقريبا منه عز اسمه .

وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال(٢) {صراط الذين أنعمت عليهم} فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ، ثم قال {غير المغضوب عليهم} عطفا على الأول ، لأن الأول موضع تقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فأسند النعمة اليه لفظا ، وروى عنه

---

(١) الفاتحة : ١-٧

(٢) المثل السائر ٢/٨٣-١٨٤ .

ذكر الغضب تحننا ولطفا وهذه صورة من صور الالتفات التى حظيت بالقبول عند البلاغيين من بعده .

ومما يندرج تحت هذا النوع أعنى الرجوع من الغيبة الى الخطاب :

(١) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس[(١)] . كقوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[(٢)] .

وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس ، فانه قال : {وزينا} بعد قوله {ثم استوى} وقوله {فقضاهن} ، وأوحى ، وفائدة الالتفات هنا أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست من سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظا ولا رجوما ، فلما صار الكلام الى هاهنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لأنه مهم من مهمات الاعتقاد[(٣)] ، وهذا هو التفات من الغيبة الى التكلم فى مفهوم المتأخرين .

(٢) الرجوع من خطاب النفس الى الجماعة[(٤)] :

ومن ذلك قوله تعالى : {ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون}[(٥)] .

حيث صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لابراز الكلام لهم فى معرض المناصحة ، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم

---

(١) المثل السائر ص ١٨٦ .
(٢) فصلت : ١١، ١٢
(٣) المثل السائر ص ١٨٦-١٨٧ .
(٤) المصدر السابق ص ١٨٧ .
(٥) يس : ٢٢

ويداريهم ، لأن ذلك أدخل في امحاض النصح حيث لايريد لهم الا مايريد لنفسه وقد وضع قوله {وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي} فكان قوله : ومالكم لاتعبدون الذى فطركم ؟ بدليل قوله بعد ذلك {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (١) ولولا هذا القصد لقال "الذى فطرنى واليه أرجع" وقد ساقه هذا المساق الى أن قال {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ} (٢) ثم يقول "فانظر أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التى تمر عليها من آيات القرآن الكريم ، وأنت تظن أنك فهمت فحواها ، واستنبطت" (٣) رموزها وهى من بديع القرآن وتلك صورة من صور الالتفات من التكلم الى الخطاب عند المتأخرين .

(٣) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد (٤) .

ومنه قوله تعالى : {انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم . أمر من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم} (٥) .

والفائدة هاهنا هى "تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه ، وان لم يكن ذلك صريحا ، لكن مفهوم الكلام يدل عليه" (٦) .

ويبدو لى أن ابن الأثير قد وَهِم فى فهم الالتفات فى الآية الكريمة فالانتقال من التكلم فى قوله "انا" و"أنزلنا" و"انا كنا" الى الغيبة فى قوله "من ربك" اذ لم يقل "رحمة

---

(١) المثل السائر ص ١٨٧ .
(٢) يس : ٢٥
(٣) المثل السائر ص ١٨٧ .
(٤) المصدر السابق ص ١٨٧ .
(٥) الدخان : ٣-٦
(٦) المثل السائر ٢/١٨٨ .

منا " وذلك لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة .

(ب) وأما الرجوع من الخطاب الى الغيبة[1] .

فمنه قوله تعالى : {هو الذى يسيّركم فى البرّ والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين}[2] .

فقد صرف الكلام هنا من الخطاب الى الغيبة لكى يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ، ويطلب منهم الانكار عليهم .

ومنه قوله تعالى : {قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا ، الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون}[3] . يقول ابن الأثير :

"فانه انما قال {فآمنوا بالله ورسوله} ولم يقل : فآمنوا بالله وبى ، عطفا على قوله : "انى رسول الله اليكم " لكى تجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ، وليعلم أن الذى وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبى الذى يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان ، انا أو غيرى ، اظهارا للنصفة وبعد التعصب لنفسه ، فقرر أولا فى صدر الآية أنه رسول الى الناس ، ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين :

---

(١) المرجع السابق ص ١٩١ .
(٢) يونس : ٢٢
(٣) الأعراف : ١٥٨

الأول منهما : اجراء تلك الصفات عليه .

الثاني : الخروج من تهمة التعصب لنفسه[1] .

القسم الثاني : الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر[2] .

ويقول عنه ابن الأثير "انه كالذي قبله في انه ليس الانتقال فيه من صيغة الى صيغة طلبا للتوسع في أساليب الكلام فقط بل الأمر وراء ذلك وانما يقصد اليه تعظيما لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيما لأمره وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر"[3]

ومن هذا القسم قوله تعالى : {قَالُوا يَاهُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَانَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَانَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}[4] .

فقد قال : أشهدوا ، ولم يقل : "وأشهدكم" ليكون موازنا له وبمعناه فاشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت ، وأما اشهادهم ، فما هو الا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم[5] .

وهذا المثال راجع الى صورة الرجوع من المتكلم الى الخطاب التي ذكرها ابن الأثير ، لأنه رجع عن التكلم في قوله "واشهدوا" .

---

(١) المثل السائر ص ١٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٩٢ .
(٤) هود : ٥٣-٥٤
(٥) المثل السائر ص ١٩٣ .

القسم الثالث : الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، وعن المستقبل بالماضى :(١)

فالأول : وهو الاخبار عن الماضى بالمستقبل ، أبلغ من الأخبار بالماضى لأن الفعل المستقبل يبين الحال التى يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الماضى .

فالضرب الأول : كقوله تعالى : {والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت، فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور} .(٢)

وانما عبر بالمستقبل عن الماضى فى قوله "فتثير" لحكاية الحال التى يقع فيها اثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة ، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أوتهم المخاطب أو غير ذلك .(٣)

وفى الآية الكريمة التفات لم يذكره ابن الأثير وهو الانتقال من الغيبة فى قوله "والله الذى أرسل" الى المتكلم فى قوله فسقناه .

الضرب الثانى : الاخبار عن المستقبل بالماضى ، وفائدته المبالغة فى تحقيق الفعل وايجاده لأن الفعل الماضى يعطيك معنى أنه كان ووجد ، وانما يكون ذلك اذا كان المستقبل من الأمور العظيمة التى يستعظم وجودها ومن أمثلته

---

(١) المثل السائر ص ١٩٤ .
(٢) فاطر : ٩
(٣) المثل السائر ص ١٩٥ .

قوله تعالى : {يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات والأرض}(١) فهو انما قال {ففزع} بلفظ الماضى بعد قوله {ينفخ} وهو مستقبل ، للاشعار بتحقيق الفزع ، وأنه كائن لا محالة ، لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل ، وكونه مقطوعا به .

وتلك هى أقسام الالتفات عند ابن الأثير ، وقد رأينا كيف فهم هذا الفن البديعى وعرف سر بلاغته عندما جعل القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكلام العرب البلغاء همه فى التطبيق ليعرف قيمة هذا الفن ، وهذا النوع عند علماء البلاغة المتأخرين ، لأنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية ، يقول ابن يعقوب معلقا على هذا النوع على أنه من علم البديع :

"فان قلت لأى وجه خصص تسميته بعلماء المعانى مع أن عد الالتفات من البديع أقرب ، لأن حاصل مافيه أنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية ، فيصغى اليه لطرافته وابتداعه ، وان لم يكن الكلام مطابقا لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعانى فضلا عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع ؟ قلت : أما كونه من الأحوال التى تذكر فى علم المعانى فصحيح كما اذا اقتضى المقام فائدة من طلب مزيد الاصغاء لكون الكلام سؤالا ، أو مدحا ، أو اقامة حجة أو غير ذلك فهو من هذا الوجه من علم المعانى ، ومن جهة كونه شيئا ظريفا مستبدعا يكون من علم البديع ، وكثيرا مايوجد فى المعانى مثل هذا

---

(١) النحل : ٨٧

(٢) المثل السائر ص ١٩٩ .

فليفهم ، وأما تخصيص علماء المعاني بالتسمية فلاحجر فيه ولاحرج ، والله أعلم" .(١)

قال صاحب البغية معلقا على الشق الأول من عبارة ابن يعقوب "والحق أن مثل هذا يكون شرطا لحسنه ، ولا يقتضى وجوبه فى البلاغة فلا يصح أن يعد به من علم المعانى" .(٢)

الاقتصاد والتفريط والافراط :

وضح ابن الأثير حقيقة هذه المعانى الثلاثة ، ويرى أن التفريط هو التقصير فى المعانى عن المطلوب ، والافراط الزيادة فيه والاقتصاد الاعتدال والتوسط بين الطرفين ، يقول فى قوله تعالى : {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}(٣) .

فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط بينهما . وهذا المعنى اللغوى امافى الاصطلاح البيانى فهو : أن يكون المعنى المضمر فى العبارة على حسب ماتقتضيه منزلة المعبر عنه فى منزلته ، والافراط عنده الغلو أو المغالاة وذكر أن قوما من أرباب هذه الصناعة ذموه وحمده آخرون ، والمذهب عنده استعماله ، فان أحسن الشعر أكذبه بل أصدقه أكذبه . والاقتصاد ، ماوردت فيه مبالغة مقبولة ، مسبوقة بكاد ومايجرى مجراها من أفعال المقاربة .(٤)

والكلام عن المبالغة فى البيان وصلتها بالصدق أو الكذب قديم ، وهى من مسائل الاعجاز التى دار حولها الكلام

---

(١) مواهب المفتاح ٤٦٣/١،٤٦٤ .
(٢) بغية الايضاح ١٤٥/١ .
(٣) سورة فاطر : ٣٢
(٤) المثل السائر ٢٢٢/٣ .

فى اسلوب القرآن الكريم ، وهل تجوز المبالغة اذا جازت فى قول الناس من شعر ونثر ؟ وتعرض لتلك المشكلة ابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن وقسم الناس من حيث النظر اليها فريقين أحدهما وهم فى الغالب فريق الأدباء والبيانيين — أجازها لأنها لازمة فى التعبير الفنى "البيان" (١) .

والآخر ، فريق المتحفظين من اللغويين ومن لف لفهم ، وهم يرون فى المجاز عامة ضربا من الكذب والقرآن برئ منه ، والمبالغة لاتجوز فى كلام رب العالمين .

بينما وقف فريق آخر فى الوسط ، فلم يأخذ بالمبالغة ولم ير الاغراق فيها ، انما تطلب التوسط ، وكان لتلك الفرق الثلاث آراؤها فى الشعر ، فالفريق الأول يرى أن أعذب الشعر أكذبه ، والثانى يرى أن أعذبه أصدقه ، والثالث يرى أن أحسن الشعر المذهب الوسط الذى لاتزيد معانيه على ألفاظه ولاتنقص (٢) .

وبعد فقد اتخذ ابن الأثير القرآن الكريم نموذجا للفصاحة والبلاغة ، فقد ذكر فى مقدمته أنه استمد منه بعض مقاييسه البيانية ، حيث كان مرجعه الأخير اذا أشكل عليه الأمر ، وكثيرا مايخالف بيانه مع ماوضع من مقاييس ، أو ماتعارف عليه الناس ، فلا يكون ذلك قصورا فيه ، بل يكون نقصا وعيبا فيما وضع ورأى غيره من النقاد ، يقول فيه "والقرآن الكريم أحق أن يتبع وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره" (٣) .

---

(١) انظر أثر القرآن فى تطور النقد ص ٣٧ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٧ .
(٣) الاستدراك لابن الاثير ص ٩ .

وقد رأينا تقديمه أسلوب القرآن على مقاييسه ، وتنازله عما وضعه هو أمام ماجاء فى الذكر الحكيم من قوله فى التناسب بين المعانى والمبانى حيث يقول "وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجبا فى الاستعمال،وأنه لايحسن بالمحسن المحيد عنه حتى مر بى فى القرآن الكريم مايخالفه كقوله تعالى فى سورة النحل : {أولم يروا إلى ماخلق الله مِن شئ يتفيؤا ظِلالُه عنِ اليمينِ والشمائل}(١) ولو كان الأحسن لزوم البناء اللفظى على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال ، أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين"(٢) .

ثم يقول "ولو كان هذا معتبرا لورد فى كلام الله تعالى الذى هو أفصح من كل كلام ، والاخذ فى مقام الفصاحة والبلاغة انما يكون منه والمعول عليه"(٣) .

فالقرآن الكريم نموذج رائع للأدب العربى شعرا ونثرا ، وجمع كل خصائصهما بدرجة فائقة من حيث المعانى والصور ، والأخيلة والأحاسيس ، والألفاظ الموحية القوية التأثير ، والموسيقى المؤثرة فى فقراته وآياته فى سجعه وتناسق فواصله ولهذا اعتبر القرآن أروع بيان وبلاغته أسمى بلاغة ولغته أفصح اللغات .

ولقد كان القرآن الكريم مصدرا مهما اتخذه ابن الأثير فنراه يكثر من الشواهد القرآنية ويبدع فى تحليلها تحليلا

---

(١) سورة النحل : ٤٨
(٢) المثل السائر ٢٥/٢ .
(٣) المثل السائر ٢٩٧/٢ .

أدبيا بارزا كما أشاد بما تكشف له من أسلوب القرآن من النكت البيانية التى لم يتنبه لها من قبله أحد . ثم يعضدها بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وكلام العرب القدماء سواء كان شعرا أم نثرا كما مر معنا حتى أصبحت كتبه نموذجا رائعا لما اعتمد عليه من مصادر أولية ساعدت فى صقل الموهبة عنده وأبرزته بهذه المنزلة .

# التجنيس

## البديع اللفظى عند ابن الأثير :

لقد اختلف الدارسون بفن التجنيس ، وكثر الكلام فيه والاختصام حوله ، والاحتجاج له ، وعليه ، وقد سيطر هذا الفن على الأدب فى أزمنة متطاولة ، وطبع أعمالا كثيرة بطابعه حيث كان مظهرا لمزيد من الصقل والتثقيف لدى كثير من أهل الطبع كما نلاحظ فى خطب أهل المقال عن الجاهليين ، والاسلاميين وفى وصاياهم وعهودهم ورسائلهم ، وغير ذلك من المقامات التى هى فطنة الصقل والتقويم ، ويمكن أن تكتب دراسات حول الجناس فى أى فن من فنون الأدب فى أى عصر من عصوره . ويمكن أن تكتب دراسات أيضا مستقلة فى النثر نحو كتابات ابن العميد والخوارزمى فضلا عن أبى تمام ومسلم فى الشعر .

وقد امتدح ابن الأثير هذا الموضوع فى بداية حديثه عنه فقال "انه غرة شامخة فى وجه الكلام" (١) .

وقال فى فصل آخر حين تكلم عن آلات علم البيان وأدواته "وكذلك يحتاج الى معرفة الأسماء "المشتركة" ليستعين بها على استعمال التجنيس فى كلامه وهى اتحاد الاسم واختلاف المسميات ، كالعين فانها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء ، وعلى المطر وغيره الا أن المشتركة تفتقر فى الاستعمال الى قرينة تخصها ، كى لاتكون مبهمة لأنا اذا قلنا

---

(١) المثل السائر ٣٧٩/١ .

عين ... ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات كثيرة من العين الناظرة ، والعين النابعة ، والمطر وغيره ، مما هو موضوع بازاء هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصه زال ذلك الأبهام بأن تقول عين مستاء أو عين نضاخة ، أو مثلثة ..." .(١)

ويقول " ...أما قولك : ان فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ ، واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم ، بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين .

أما البيان فقد وفى به الأسماء المتباينة التى هى كل اسم واحد دل على مسمى واحد . فاذا أطلق اللفظ فى هذه الأسماء كان بينا مفهوما لايحتاج الى قرينة ، ولو لم يضع الواضع من الأسماء شيئا غيرها لكان كافيا فى البيان .

وأما التحسين فان الواضع لهذه اللغة العربية ، التى هى أحسن اللغات نظر الى مايحتاج اليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى من مهمات ذلك "التجنيس" ولا يقوم به الا الأسماء المشتركة ، التى هى كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا ، فوضعها من أجل ذلك" .(٢)

ويلاحظ أن الغلو بين فى كلام ابن الأثير "فلا يرتفع الجناس الى هذه المكانة التى وضعه فيها" بل لايرتفع نوع بلاغى الى الحد الذى يضع الواضع الألفاظ من أجله وتصبح اللغة خادمة له .(٣)

وقد قسم ابن الأثير الجناس الى قسمين :

---

(١) المصدر نفسه ١/٧٠-٧١ .
(٢) المصدر نفسه ١/٧١-٧٢ .
(٣) فن الجناس ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر ص ٢٠ .

تجنيس على الحقيقة ، وهو مايعرف عند الخطيب بالجناس التام ، وعرفه بقوله أن تتساوى حروف ألفاظه فى تركيبها ووزنها ، كقوله تعالى : {ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة} (١) فالساعة الأولى ـ القيامة ـ والساعة الثانية الوقت المعلوم من الزمن .

ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين نازعوا جرير ابن عبدالله البجلى زمام ناقته "خلوا بين جرير والجرير" (٢) اى دعوا زمامه .

ومما جاء منه فى الشعر قول أبى تمام .

فأصبحت غرر الأيام مشرقة
بالنصر تضحك عن أيامك الغرر (٣)

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه ، والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشئ : أكرمه ، فاللفظ واحد ، المعنى مختلف

ومنه قوله :

من القوم جعد أبيض الوجه والندى
وليس بنان يجتدى منه بالجعد

فالجعد : السيد ، والبنان الجعد : ضد البسيط ، فأحدهما يوصف به السيد والآخر يوصف به البخيل .

ومنه أيضا :

بكل فتى ضرب يعرض للقنا
محيا محلى حليه الطعن والضرب (٤)

---

(١) الروم : ٥٥
(٢) النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ص ٢٥٩ .
(٣) المثل السائر ١/٣٨٠ .
(٤) المثل السائر ١/٣٨٠ .

فالمقصود بالضرب الرجل الخفيف ، والضرب بالسيف فى القتال

ومنه أيضا :

كم أحرزت قُضُبُ الهنديِّ مُصْلَتَةً

تهتز من قضب تهتز فى كثب

بيضٌ إذا انتضيت مِنْ حُجْبِها رجعت

أحقَّ بِالبيض أبدانا مِنَ الحُجُبِ

فالقضب : السيوف ، والقضب : القدور على سبيل

الاستعارة . والبيض : السيوف وتعنى أيضا : النساء .

ويلاحظ على جميع الأمثلة السابقة التى ساقها ابن

الأثير انما هو – أى الجناس – بين اسمين بمعنى أن اللفظين

فيه انما هما من نوع واحد وهذه الذى سماه الخطيب :
(١)
المماثل . وقد سماه عبد القاهر بالمستوفى ، وسماه العلوى (٢)

المستوفى والكامل وسماه الحلبى المستوفى التام (٣) وعند ابن (٤)

الأثير بالتجنيس الحقيقى ولامشاحة فى المصطلحات أو تعدد

الأسماء للمسمى الواحد كما يقول السجلمانى (٥) .

وقد أورد ابن الأثير لأبى العلاء المعرى قوله :

لَوْ زَارَنَا طيفُ ذَاتِ الخَالِ أحْيَانَا

وَنَحْنُ فِى حفَرِ الأجداثِ أحيانَا

ومن أبياتها أيضا :

تقول أنْتَ أمرُؤ جافٍ مغالطة

فقلت : لاهومت أجفانُ أجفانَا

---

(١) الايضاح ٢٠٦/٦ .
(٢) أسرار البلاغة ص ٥ .
(٣) الطراز ٣٥٦/٢ .
(٤) حسن التوسل للحلبى ص ٤٣ .
(٥) راجع الباب الأول من هذا البحث ، الفصل الثانى .

فأحيانا : فى الشطر الأول من البيت الأول : جمع حين ، وهو الزمن ، وأحيانا فى الشطر الثانى منه فعل ماضى ، أى بعث فينا الحياة بعد الموت ، فالجناس فى هذا البيت ليس بين لفظين من نوع واحد ، وانما هو لفظان من نوعين مختلفين لأنه بين اسم وفعل والجناس الواقع بين نوعين كاسم وفعل ، يسميه الخطيب المستوفى حيث مثل له بقوله :

مامات من كرم الزمان فإنه

يَحيَا لدى يحيَى بن عبدالله (١)

وان كان ابن الأثير لم يفرق بينها فان الخطيب استفاد من أمثلة ابن الأثير ورتب عليها أنواع الجناس .

ثم يذكر أنه رأى الغانمى قد ذكر فى كتابه بابا سماه "رد الاعجاز على الصدور" وجعله منفصلا عن باب التجنيس مع أنه ضرب من التجنيس وقسم من أقسامه ، أما ماأورده الغانمى من الأمثلة كقول بعضهم :

ونَشرِى بجميل الصُنع

ذِكرًا طيِّبَ النَشرِ

ونَفرِى بِسيوفِ الهندِ

من أشَرَف فى النفرِ

ويَحرِى فى شرَى الحمْدِ

على شاكلة البحرِ

وقول بعضهم فى الشيب :

---

(١) الايضاح للقزوينى ص ٢١٦ .

يابياضا أذرى دموعى حتى
عاد منها سواد عينى بياضا

وقول البحترى :

وأغر فى الزمن البهيم محجل
قد رحت منه على أغر محجل (١)
كالهيكل المبنى إلا أنه
فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

ثم يقول ابن الأثير "وليس الأخذ على المعانى فى ذلك مناقشة على الأسماء ، وانما المناقشة على أن ينصب نفسه لايراد علم البيان ، وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التى ذكرناها داخلا فى الآخر ، فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصبح" (٢) .

ثم يقول "وربما جهل بعض الناس ، فأدخل فى التجنيس ماليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى ، فمن ذلك قول أبى تمام :

أظن الدمع فى خدى سيبقى
رسوما من بكائى فى الرسوم (٣)

وهذا ليس من التجنيس فى شئ ، اذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معا (٤) .

والواقع أنه لامناقضات بين ماقاله الغانمى وماقاله ابن الأثير ، لانه يصح اجتماع الجناس ورد العجز على الصدر فى

---

(١) ديوان البحترى ٢١٧/٢ .
(٢) المثل السائر ٣٨٥/١ .
(٣) ديوان أبى تمام ص ٢٨٨ .
(٤) المثل السائر ٣٨٦/١ .

كلام واحد ويسمى كل واحد منهما باسمه الذى يميزه بالنظر اليه من زاوية خاصة ، وتعريف رد العجز على الصدر يفيد ذلك ففى قول الارجانى :

دعانىِ من ملامِكما دعانى
فِدا الشوقِ قبلكما دعانى

دعانى الأولى بمعنى أتركانى ، والآخر بمعنى نادانى .

فهو جناس من هذه الناحية ، ورد عجز على صدر من ناحية أن التجانس المذكور آخر البيت بعينه من حيث الصورة فى صدر المصراع الأول .(١)

وان كنا نرى أن كلا منهما أصبح فنا مستقلا بذاته عند المتأخرين .

القسم الثانى : تجنيس بالمشابهة ، وهو ستة أنواع :

أولها : أن تكون الحروف المتساوية فى تركيبها مختلفة فى وزنها ، وهذا يعنى أن الاختلاف فى هيئات الحروف فقط ، واللغة مليئة بهذه الكلمات المتحدة فى أنواع الحروف وفى أعدادها وترتيبها ، وتختلف فقط فى هيئاتها نحو كلمة جنة فهى بالفتح ، البستان وبالكسر من الجنون ، وبالضم تعنى ساترا ، وكلمة برد بضم الأول ثوب وبفتحة ضد الحر . وهكذا .

وقد مثل له ابن الأثير بقول النبى صلى الله عليه وسلم "اللهم كما حسنت خلقى ، فحسن خلقى"(٢) حيث اتحدتا فى أنواع

---

(١) فن الجناس ـ بتصرف ص ٢٠٥ .
(٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٤٠٣/١ وقد جاء بنحوه قوله : "اللهم كما حسنت خلقى فأحسن خلقى" .

الحروف وأعدادها وترتيبها واختلفتا فى هيئاتها فالأولى بفتح الخاء والثانية بضمها .

ومن أمثلته أيضا قول أحدهم "لاتنال غرر المعالى الا بركوب الغرر واهتبال الغرر"

وقول البحترى :

وفَرَّ الخائنُ المغرورُ يرجو
أمانا أيَّ ساعة ما أمانِ
يهابُ الالتفاتَ وقد تهيَّا
لِلحظةِ طرفهِ طرفُ السنانِ (١)

ومنه قول الآخر :

قد ذبت بين حشاشةٍ وذماءِ
مابين حرِّ هوى وحرِّ هواءِ .

ويلاحظ مما تقدم أن الجناس بين "طرفه" و"طرف" و"خلقى" و"خلقى" انما هو من الجناس الذى يدعى عند الخطيب جناسا محرفا (٢) ، وان الجناس بين "هوى" و"هواء" مما يسميه الخطيب جناسا ناقصا "ويعنى هذا أنهما اختلفا فى أعداد الحروف فقط واتفقا فى أنواعها وهيئاتها وترتيبها" والكلمات التى يتكون منها هذا الجناس كثيرة جدا منها الجوى ، والجوانب ، والجوى والجوانح ومنها حوام ، وحوامل ، الأولى حامية والثانية جمع حاملة . والهوى ، والهواجس ، وهكذا .

---

(١) المثل السائر ٣٨٦/١ .
(٢) الايضاح ص ٢١٨ .

وعلى كل هى كلمات ذات طابع مستحسن قد يتوهم من ينظر اليها انه يرى كلمات تنمو بين يديه .

وثانيها : أن تكون الألفاظ متساوية فى الوزن مختلفة فى التركيب بحرف واحد لاغير ، وأن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس[1] .

ومما جاء منه قوله تعالى : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[2] فان الاختلاف بين حرفين متقاربين وان كانا متحدين من حيث الوزن .

وقوله تعالى : {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ}[3] وقوله تعالى : {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ}[4] فالاختلاف بين حرفين متقاربين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم "الخيل معقود بنواصيها الخير"[5] .

ومنه قول البحترى :

مِنْ كُلِّ سَاجِي الطَّرْفِ أَغْيَدَ أَجْيَدٍ
وَمُهَفْهَفِ الكَشْحَيْنِ أَحْوَى أَحْوَرِ

وقول أبى تمام :

يمدون مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِم
تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِب

وقول البحترى أيضا :

---

(١) المثل السائر ٣٨٦/١ .
(٢) القيامة : ٢٢-٢٣
(٣) الأنعام : ٢٦
(٤) غافر : ٧٥
(٥) صحيح مسلم ١٤٩٣/٣ كتاب الامارة عن جرير بن عبد الله . وفى سنن أبى داود ٤٧/٣ كتاب الجهاد .

شَواجرُ أرماحٍ تقطع بينهم
شَواجِرَ أرحامٍ ملومٌ قطوعها .

ويلاحظ أن ابن الأثير قد مثل لعدة أنواع ولم يسمها كما فعل الخطيب الذى استفاد كثيرا من أمثلة ابن الأثير حيث عمد الى ترتيبها وتقعيدها تقعيدا يوافق وأصحاب المدرسة الكلامية ، فهو ، مثل للقسم الذى يسميه الخطيب جناسا مضارعا .

نلحظ ذلك فى قوله {نَاضِرَةٌ ونَاظِرَةٌ} وينهون ، وينأون ، الخيل ، الخير ، وأغيد ، وأجيد .

ومثل أيضا للجناس اللاحق وهو أن يكون الاختلاف بين حرفين غير مقاربين وذلك نحو "تفرحون ، وتمرحون" .

ومثل أيضا للجناس الناقص ولم يسمه وهو ماكان الاختلاف فيه أعداد الحروف وهو مانلحظه فى عواصي وعواصم وقواضي وقواضم .

ثم مثل لجناس القلب وهو مااختلف فى ترتيب الحروف ومثل له بقول البحترى "ارماح" و"أرحام" .

واللغة العربية غنية بالالفاظ التى تثرى هذا الباب من مثل "علم ، وعمل ، ولمع ، وسخر ، وخسر ، ورسخ وهكذا وهذا باب واسع .

ثالثها : أن تكون الألفاظ مختلفة فى الوزن والتركيب بحرف واحد .(١)

(١) المثل السائر ١/٣٨٨ .

وذلك كقوله تعالى : {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}(١) وقد عد الخطيب المثال السابق ضمن أمثلة الجناس الناقص وهو مانلحظه بين قوله : {الساق ، والمساق} والزيادة جاءت فى أول الكلمة .

ومثل لهذا النوع بقوله تعالى : {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}(٢) وهو من الجناس اللاحق عند الخطيب .

ومنه أيضا قول النبى صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده"(٣) .

ومن الشعر قول ابى تمام :

بَدْرٌ اطالت فيك بادرة النوى
ولعا وشمسٌ أولعتْ بِشِمَاس

وقوله :

كادوا النبوة والهدى فتقطعت
أعناقهم فى ذلك المضمارِ

جَهِلُوا فلم يستكثروا من طاعةٍ
معروفةٍ بعمارةِ الأعمارِ

ومنه قول محمد بن وهيب

قسمت صروف الدهرِ بأساً ونائِلاً
فمالك موتورٌ ، وسيفك واترُ

---

(١) القيامة : ٣٠،٢٩
(٢) الكهف : ١٠٨
(٣) ذكره البخارى فى كتاب الايمان ٥٤،٥٣١ ، ولفظه : من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وعند أحمد ٤٤٠/٣ ولفظه "السالم من سلم الناس من يده ولسانه" .

ونلحظ أن ابن الأثير هنا جاء بما ألحقه الخطيب بالجناس وهو نوعان :

الأول : جناس الاشتقاق وهو مايجمع فيه الكلمتين الاشتقاق ، نحو "استغفروا ربكم إنه كان غفارا"(١) وقوله "سأل سائل بعذاب واقع"(٢) .

الثانى : أن يجمع بين اللفظين شبه الاشتقاق ، وهذا النوع أكثر من سابقه وأدخل فى الجناس وأجدر أن يكون منه وألا يكون ملحقا به ، ومنه قول النابغة :

وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت
بعد الكلال تشكى الأين والسأما

والذى أعنيه أن هذين النوعين قد وردا فى أمثلة ابن الأثير وان لم يسمهما ، فقد جمع بين قوله "المسلم وسلم ، بين بدر ، وبادرة وبين شمس ، وشماس وبين عمارة والاعمار ، وبين موتور ، و واتر"

ولعل السمة الأدبية التى انفرد بها ابن الأثير هى التى جعلته يكثر من الشواهد الأدبية ، دون النظر فى الأنواع التى تتفرع من الجناس .

وقد مثل ابن الأثير للأنواع السابقة من نثره اذ يقول فى فصل يتضمن ذكر الجهاد . "وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبى ، وسيوفه قد تطلعت أن يقال لها اضربى ، ومواطن الجهاد قد بعد عهدها باستسقاء شآبيب النحور ، وانبات ربيع الذباب والنسور ، وما ذاك الا لأن العدو اذا طلب تقمص ثوب اذلاله وتنصل من صحة نصاله ، واعتصم بمعاقله التى لا فرق

---

(١) سورة نوح : ١٠
(٢) سورة المعارج : ١

بينها وبين عقاله " .[1]

فالحظ قوله "اركبى واضربى" و"النحور والنسور" "معاقله ، وعقاله" جميعا تنطوى ضمن الأقسام التى عددناها .

الرابع : ويسمى المعكوس ، وهو ضربان :

أحدهما عكس الألفاظ ، كقول بعضهم (عادات السادات - سادات العادات) وكقول الآخر (شيم الأحرار - أحرار الشيم) .[2]

ومنه قول الأضبط بن قريع من شعراء الجاهلية :

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكله

ويأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جمعَهْ

ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسه

ويلبسُ الثوبَ غيرُ من قطعه

ومنه قول المتنبى :

فلا مجدَ فى الدُّنيا لمن قلَّ مالُه

ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مجده

ومنه قول الآخر :

إنَّ الليالِيَ للأنامِ مَناهِلٌ

تُطوى وتُنشرُ بينها الأعمارُ

فقصارُهنَّ مِنَ الهمومِ طويلةٌ

وطِوالُهنَّ من السرورِ قِصارُ

ومِنه قول ابن الزقاق الأندلسى :

غيَّرتنا يدُ الزمان

فقد شِبتُ والتحى

---

(١) المثل السائر ١/٣٨٨ .
(٢) المثل السائر ١/٣٩٢-٣٩٣ .

فاستحالَ الضحى دجى

واستحال الدجى ضحى

ويقول ابن الأثير "وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب "التبديل" وذلك اسم مناسب لمسماه لأن مؤلف الكلام يأتى بما كان مقدما فى جزء كلامه الأول مؤخرا فى الثانى وبما كان مؤخرا فى الأول مقدما فى الثانى" (١) ، ثم مثل له بقول :

أشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك .

وقد مثل له بقوله تعالى : {تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} (٢) .

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم "جار الدار أحق بدار الجار" (٣) .

ووصفه بأن له حلاوة وعليه رونق .

ويلاحظ أن هذا النوع من البديع بعد أن سماه قدامة باسم التبديل جاء أبو هلال العسكرى فسماه "العكس" (٤) وأول من جمع المصطلحين معا هو أبو بكر الباقلانى حيث سماه "العكس والتبديل" (٥) ثم تابعه فى هذه التسمية الخطيب القزوينى (٦) .

فالكلمة فى هذا الأسلوب لاتظل فى مكانها الا ريثما ترجع اليها لتحركها ثانية فى توافق مع جارتها فتثب كل واحدة مكان الأخرى فيتولد معنى جديد وكأننا نتوهم أن ليس وراء هذا التغيير المفاجئ للكلمات معنى جديد ثم نواجه بهذا

---

(١) المثل السائر ٣٩٤/١ .
(٢) آل عمران : ٢٧
(٣) مسند الامام أحمد بن حنبل ٣٨٨/٤ . ولفظه جار الدار أحق بالدار من غيره .
(٤) الصناعتين ص ٣٨٥ .
(٥) اعجاز القرآن للباقلانى ص ٩٨ .
(٦) الايضاح ص ٢٠٠ .

المعنى وكل ذلك له أثر فى تنشيط النفس واثارة الانتباه

والآخر : عكس الحروف ومثل له بقول الشاعر :

أهديْتُ شيئاً يقِلُ لولا
أحدوثة الفأل والتبرك
كرسي تفاءلت فيه لما
رأيت مقلوبه "يسرك" (١)

ومنه قوله الآخر :

جاذبتها والرِّيح تجذب عقربا
من فوق خدٍ مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتمنعت
وتحجبت عنى بقلب "العقرب" (٢)

قال ابن الأثير "واذ قلب لفظ : عقرب صار برقعا .

وهذا النوع يسمى عند الخطيب جناس القلب وقد تحدثنا عنه سابقا "وهو نادر الاستعمال لأنه قل مايقع كلمة تقلب حروفها فيجئ معناها صوابا" (٣) كما يقول ابن الأثير .

النوع الخامس "المجنب" وهو أن يجمع مؤلف بين كلمتين احداهما كالتبع للأخرى والجنيبة لها . ومنه قول الشاعر :

أبا العباس لاتحسب بانى
لشئ من حلى الأشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين
زلال من ذرا الأحجار جارى

---

(١) المثل السائر ٣٩٦/١ .
(٢) المصدر نفسه ٣٩٦/١ .
(٣) المصدر نفسه ٣٩٦/١ .

ثم يقول "وهذا القسم عندى فيه نظر ، لأنه بلزوم مالا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وهاهنا لم يتفق الا جزء من اللفظ ، وهو أقله ، وأما اللزوم من الكلام المنثور فهو تساوى الحروف التى قبل الفواصل المسجوعة ، وهذا هو كذلك لأن العين والراء تساويا فى البيت الأول فى قوله "الأشعار وعار" والجيم والراء فى البيت الثانى فى قوله "الأحجار وجار" (١).

وهذا النوع عند الخطيب هو مايعرف بالجناس الناقص ومن أمثلته أيضا قول الخنساء :

إِنَّ البكاءَ هو الشفاءُ
من الجوى بينَ الجوانح .

ومنه أيضا قول حسان :

وحامِى لواءَ قد قتلْنَا وحاملٌ
لواء منعنَا والرماحُ شوارعُ

وهكذا .

النوع السادس : من المشبه بالتجنيس : "هو مايساوى وزنه وتركيبه ، غير أن حروفه تتقدم وتتأخر . ومنه قول أبى تمام :

بيض الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ فى
متونِهِنَّ جلاءُ الشكِّ والريبِ (٢)

فالصحائف والصفائح قد تقدمت حروفه وتأخرت .

ومما جاء من الكلام المنثور قوله صلى الله عليه وسلم فى فضل تلاوة القرآن الكريم "يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل

---

(١) المصدر نفسه ٣٩٧/١ .
(٢) المصدر نفسه ٣٩٧/١ .

كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلتك عند آخر آية تقرأ " .[1]

فقوله صلى الله عليه وسلم "اقرأ ، وارق" من التجنيس

وهذا الضرب من التجنيس هو ماعرف عند الخطيب أيضا بجناس القلب ، وهو ما كان "الاختلاف فيه بين اللفظين فى ترتيب الحروف ، ومثل له بقولهم : حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه[2] . ومنه ماجاء فى الخبر "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا "[3] وقد يتسع جناس القلب حتى يشمل الجملة من الكلام أو البيت من الشعر وهذا غاية الصقل والاتقان من ذلك قوله تعالى : {كل فى فلك} وقوله : {وربك فكبر} اقرأ الاثنتين من اليمين لليسار .

ومن أبلغ شواهده الشعرية قول القاضى الأرجانى :

مودته تدوم لكل هول

وهل كل مودته تدوم .

(٣) السجع :

اذا كان الجناس دراسة صوتية للأدب ، فالسجع كذلك الا أنه لايجوس خلال الكلمات والحروف ليجدد الضروب الصوتية المتشابهة ، ولكنه يقف عند نهايات الفقر ليقيس مابين هذه النهايات من اتقان واختلاف فى أنواع الأصوات وحركاتها ، وأوزانها .

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ١٩٢/٢، ٤٧١ .
(٢) الايضاح ص ٢١٢ .
(٣) المرجع السابق ٣/٣ وبنحوه فى سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، مايقول اذا أصبح ٣١٩/٤ ، وبنحوه فى سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء باب ١٤ ، ١٢٧٤/٢ .

واذا كانت الفنون البديعية مما تجرى فى الشعر والنثر على سواء فان السجع يكاد يكون خاصا بالنثر ، وهو الفن البلاغى الوحيد الذى يمكن أن يقال انه يجرى فى داخل البيت ويسمى تشطيرا أو ترصيعا .

وقد عرف ابن الأثير السجع بقوله : "تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد" (١) والتعريف ينص صراحة على أنه من الفنون الخاصة بالنثر .

ثم يقول : "وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به ، والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما" (٢) كما أنه لم تخل من السجع سورة من سور القرآن .

فمما جاء منه فى القرآن الكريم {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} (٣).

ومنه قوله تعالى : {طه ، مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى . تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (٤) .

---

(١) المثل السائر ٣٠٨/١ .
(٢) المصدر نفسه ٣٠٨/١ .
(٣) الأحزاب : ٦٤-٦٥
(٤) طه : ١-٨

وقوله تعالى "والعاديات ضبحا . فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا} (١) وأمثال ذلك كثيرة .

وقد ذكر القزويني (٢) أن الفواصل قد تكون قصيرة كقوله تعالى : {والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا} (٣) وقد تكون متوسطة "إقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" (٤) وقد تكون طويلة كقوله تعالى : {إذ يريكهم الله في منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور . وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور} (٥).

ويبدو أن الخطيب قد استفاد من امثلة ابن الأثير التي أوردها فصنف الآيات على حد قوله السابق .

ثم يرد ابن الأثير على الذين يذمون السجع في القرآن وأن ذلك وارد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ يقول "أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام" .

"وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام" (٦) .

ومن ذلك أيضا ، مارواه ابن مسعود رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "استحيوا من الله حق

---

(١) العاديات : ١-٥
(٢) الايضاح ص ٢٢٣ .
(٣) المرسلات : ١، ٢
(٤) سورة القمر : ١-٣
(٥) سورة الأنفال : ٤٢، ٤٣
(٦) سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ١٧٤ ، ٤٢٣/١ المكتبة العلمية ببيروت . ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٦٥٢/٤ وقال هذا حديث صحيح .

الحياء " قلنا : انا لنستحى من الله يارسول الله ! قال : ليس ذلك ! ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وماوعى ، والبطن وماحوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن اراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا " (١) .

وأما ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم - قال لبعضهم منكرا عليه وكلمه بكلام مسجوع : أسجعا كسجع الكهان (٢) ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبى صلى الله عليه وسلم فابن الأثير يجيب عن ذلك قائلا : لو كره النبى صلى الله عليه وسلم السجع مطلقا ، لقال أسجعا ؟ ثم سكت ، وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال : "أسجع كسجع الكهان" صار المعنى معلقا على الأمر ، وهو انكار الفعل على هذا الوجه ، فعلم أنه انما ذم من السجع مثل سجع الكهان لا غير ، وانه لم يذم السجع على الاطلاق فقد ورد فى القرآن الكريم (٣) .

على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نطق به فى كثير من كلامه ، حتى أنه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها من أجل السجع ، فقال لابن ابنته عليها السلام "أعيذه من الهامة والسامة ، وكل عين لامة" (٤) وانما أراد

---

(١) رواه الترمذى ، كتاب صفة القيامة ٦٣٧/٤ عن عبد الله ابن مسعود .

(٢) الذى فى صحيح مسلم ١٣١١/٣ كتاب القسامة "أسجع كسجع الأعراب" . وفى رواية أخرى أنه قال للرجل صاحب القول "كيف أعزم من لاشرب ولا أكل ، ولانطق ولا استهل ؟ فمثل ذلك بطل قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : "هذا من اخوان الكهان" .
ومثله كذلك فى أبى داود كتاب الديات ٧٠٠/٤ ، والنسائى كتاب القسامة ٤٩/٨ .

(٣) المثل السائر ص ٣١٠ .

(٤) رواه الترمذى ٦٥٢/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .

"ملمة " لأن الأصل فيها من ألم فهو ملم . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "ارجعن مأزورات غير مأجورات"(١) وانما أراد موزورات من الوزر ، فقال مأزورات لمكان مأجورات ، طلبا للتوازن والسجع ، وهذا مما يدلك على فضيلة السجع .

على أن الحديث النبوى الذى يتضمن انكار سجع الكهان عندى فيه نظر ، فان الوهم يسبق الى انكاره ، يقال : فما سجع الكهان الذى يتعلق الانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والجواب عن ذلك أن النهى لم يكن عن السجع نفسه وانما النهى عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنين بغرة عبد أو أمة قال الرجل : "أأدى من لاشرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سجعا كسجع الكهان" أى اتتبع المعانى كسجع الكهان .

وكذلك كان الكهنة كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن أمر جاءوا بالكلام مسجوعا .

....فالسجع اذن ليس بمنهى عنه ، وانما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اسجعا كسجع الكهان" أى أحكما كحكم الكهان .

والا فالسجع الذى أتى به ذلك الرجل لا بأس به لأنه قال "أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك يطل"

---

(١) ارجعن مأزورات غير مأجورات .
سنن ابن ماجة ، كتاب الجنائز ، باب ٥٠ ، ٥٠٣/١ .

وهذا كلام حسن من حيث السجع وليس بمنكر لنفسه وانما المنكر هو الحكم الذى تضمنه فى امتناع الكاهن أن يدى الحنين بغرة عبده أو أمه .

ثم يقول "واعلم أن الأصل فى السجع انما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب فى جميع الأشياء والنفس تميل اليه بالطبع" (١) .

ومع هذا فليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط ، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد ، اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الأدباء سجاعا ، وما من أحد منهم ، ولو شدا شيئا يسيرا من الأدب الا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة ويأتى فى كلامه ، بل ينبغى أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة ، لا غثة ، ولا باردة ، وأعنى بقولى "غثة" و"باردة" أن صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى مفردات الألفاظ المسجوعة ، ومايشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها ، ومايشترط له من الحسن وهو فى الذى يأتى به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف (٢) ، أو ينظم عقدا من الخزف الملون .

ويفترض ابن الأثير افتراضا فيقول "فان قيل : فاذا كان أعلى درجات الكلام على ماذهبت اليه لكان ينبغى أن يأتى القرآن كله مسجوعا وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع وغير المسجوع .

قلت فى الجواب : ان أكثر القرآن مسجوع حتى أن السورة

---

(١) المثل السائر ص ٣١٠-٣١٤ .
(٢) الكرسف : القطن .

لتأتى جميعها مسجوعة ... وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا الا أنه سلك مسلك الايجاز والاختصار ، فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب .

وهاهنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وانما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الاعجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين" (١) .

وهكذا يرى ابن الأثير أن هذا الفن البديعى سر من أسرار الاعجاز فى القرآن وأنه مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة ، كيف لا ؟ وهو يرى أيضا أن السجع الكثير فى القرآن قد جاء فى أرفع صور البيان ، وقد باين كل اسجاع الساجعين وقد جاوز أيضا ببلاغته الرائعة جميع بلاغات العرب .

ثم يوضح ابن الأثير ان للسجع سرا آخر وهو خلاصته المطلوبة ... فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا وهو شئ لم ينبه عليه أحد غيرى ، ....وأقول فيه قولا هو أبين مما تقدم وأمثل لك مثالا اذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل فى كلامك ليبلغ الشاهد الغائب ... والذى أقوله هو "أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها ، فان كان المعنى بعينه فيهما سواء فذاك هو التطويل بعينه ، لأن التطويل انما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها . واذا وردت سجعتان تدلان على معنى واحد كانت

---

(١) المثل السائر ص ٣١٤ .

احداهما كافية فى الدلالة عليه ـ وجل كلام الناس جار عليه .[1]

لذا فابن الأثير يضع للكلام المسجوع أربع شرائط .

الأولى : اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الذى أشرت اليه فيما تقدم .

الثانية : اختيار التركيب على الوجه الذى أشرت اليه

الثالثة : أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى تابعا للفظ .

الرابعة : ان تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها . فهذه أربع شرائط لابد منها . اذا استوفاها كان فى غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام .

ومهما يكن فالسجع من فنون البديع التى ذاعت فى القرن السادس ، وكان غاية الأديب يقصد اليه ، ويتكلفه فقط واسترذله النقاد ، وليس ذلك راجعا الى قلة شأنه فى الأسلوب اذا وقع مطبوعا ، بل ان غرام الأدباء به وتعلقهم دليل على أصالته وتأثيره وان عجزوا عن أن يصوغوا منه صورا زاهية فحين هاجم النقاد هذا الفن البديعى انما هاجموا صوره المتكلفة المرذولة ، ومثل السجع فى هذا مثل الاستعارات التى أغرب فيها أبو تمام وتكلفها ، فليس اسقاط هذه الصور دليلا على قلة شأن الاستعارة فى الاسلوب وانما هو استرذال الصور المتكلفة القبيحة التى كانت أثرا من آثار الافراط فيها

وكلام ابن الأثير عن السجع الذى نقلناه سابقا ، حرى

---

(١) المثل السائر ٣١٤/١، ٣١٥ .

بالقبول والتقدير ذلك أنه وضع شروطا ومعايير ينبغى أن يكون عليها السجع . لذا فهو يقع فى القرآن مطبوعا غير متكلف ويبدع لفظا ومعنى ، وهو من صميم البلاغة شريطة أن يضعه عالم بجوهر الكلام يحفظ من صحة المعنى وسداده .

وكأن هناك سجعا لايراعى فيه هذا الشرط فيضعه متكلفون أدعياء لايحفظون فيه روح المعنى . ولا سلاسة اللفظ .

ومن أجود الذين دافعوا عن السجع شاعرنا الحديث أحمد شوقى ، اذ يقول فى كلامه عن السجع "السجع شعر العربية الثانى ، وقواف مرنة ريضة خصت بها الفصحى ، يستريح اليها الشاعر المطبوع ويرسل فيها الكاتب المتقن خياله ، ويسلو بها أحيانا عمن فاته من القدر القدرة على صياغة الشعر وكل موضع للشعر الرصين محل للسجع ، وكل قرار لموسيقاه قرار كذلك للسجع ، فانما يوضع السجع النابع فيما يصلح مواضع للشعر الرصين ، من حكمة تخترع ، أو مثل يضرب ، أو وصف يساق ، وربما وشيت به الطوال من رسائل الادب الخالص ، ورصعت به القصار من فقر البيان المحض ، وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع وعدوه عيبا فيها ، وخلطوا الجميل المتفرد بالقبيح المرذول منه : يوضع عنوانا لكتاب أو دلالة على باب ، أو حشوا فى رسائل السياسة ، أو ثرثرة فى المقالات العلمية فيا نشء العربية ان لفنكم لسرية مثرية ، لن يضيرها عائب ينكر حلاوة الفواصل فى الكتاب الكريم ، ولا سجع الحمام فى الحديث الشريف ، ولا كل مأثور خالد من كلام السلف الصالح" (١) .

---

(١) أسواق الذهب لأحمد شوقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٩٠هـ ص ١١٥ .

## أقسام السجع :

يقسم ابن الأثير السجع الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يكون الفصلان متساويين لايزيد أحدهما عن الآخر كقوله تعالى : {فأمّا اليتيم فلا تقهر ، وأمّا السّائل فلا تنهر} (٢) وقوله تعالى : {والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً} (٣) وهذا النوع هو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذى فيه كما يقول ابن الأثير . (١)

القسم الثانى : أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول ، طولا لايخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا ، ومنه قوله تعالى : {بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً . إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً . وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً} (٤) .

فالفصل الأول ثمانى لفظات والفصلان الثانى والثالث - تسع - تسع .

ومنه قوله تعالى : {وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدّاً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً} (٥) .

وأمثال ذلك فى القرآن كثير كما يقول ابن الأثير .

---

(١) المثل السائر ١/٣٧٠ .
(٢) الضحى : ٩-١٠
(٣) العاديات : ١-٥
(٤) الفرقان : ١١-١٣
(٥) مريم : ٨٨-٩٠

والقسم الثالث : وهو أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، ويرى ابن الأثير أن هذا النوع عيب فاحش وذلك أن السجع قد استوفى أمده في الفصل بسبب طوله ثم يجئ الفصل الثاني قصيرا عن الأول ، فيكون كالشئ المبتور .(١)

ثم يبين ابن الأثير أن السجع على اختلاف أقسامه "ضربان" :

الأول : السجع القصير ، وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة ، وكلما قلت الألفاظ كان أفضل لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع .

وهو أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ولايكاد استعماله يقع الا نادرا .

والضرب الآخر : وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولا ، وكل من هذين الضربين تتفاوت درجاته .

فالسجع القصير فأحسنه ماكان مؤلفا من لفظتين لفظتين كقوله تعالى : {والمُرسَلاتِ عُرفاً ، فالعاصِفاتِ عَصفاً}(٢) وقوله تعالى : {يَاأيُّها المُدَّثِّرْ ، قُمْ فَأنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ}(٣) ويرى ابن الأثير أن ماكان من عشرة ألفاظ يعد من السجع القصير وأما مازاد عن ذلك فانه من الطويل وهو أيضا درجات متفاوتة .

منه مايقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه من احدى عشرة لفظة الى اثنتي عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة

---

(١) المثل السائر ٣٧٢/١ .
(٢) المرسلات : ١،٢
(٣) المدثر ١-٤

كقوله تعالى : {ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ، ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور}(١) فالأولى احدى عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة .

ومن السجع الطويل مايكون تأليفه من العشرين لفظة فى طولها كقوله تعالى : {إذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور ، وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور}(٢) .

(٣) الترصيع :

يرى ابن الأثير أن الترصيع مأخوذ من ترصيع العقد ، بأن يكون فى أحد جانبى العقد من اللآلئ مثل مافى الجانب الآخر . وكذلك تجعل الألفاظ المنثورة من الأسجاع ، وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثانى فى الوزن والقافية(٣) .

ويجئ الترصيع فى الشعر ، ولكنه لايجئ فى كلام الله تعالى لما فيه من التكلف كما أنه قليل جدا فى الشعر لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة ، ومن هذا قول بعضهم :

فمكارم أوليتها متبرعا
وجرائم ألغيتها متورعا

---

(١) هود : ٩-١٠
(٢) الأنفال : ٤٣-٤٤
(٣) المثل السائر ٣٩٧/١ .

وهو كما نرى كلام وخم جدا .

ورد ابن الأثير على من استشهد لهذا النوع من كتاب الله ومثله بقوله تعالى : {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} . فيقول "فليس الأمر كما وقع له فأن لفظة لفي" قد وردت في الفقرتين معا ، وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه ، لكنه قريب منه .

ومما جاء نثرا قول الحريري "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه فألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزنا وقافية " . (٢)

(٤) لزوم مالا يلزم :

يرى ابن الأثير أن هذا الفن من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا ، لأن اللازم في هذا الموضع انما هو السجع ، وهو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوانينها ، وهو فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا ، وفي الشعر : أن تتساوى الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية . (٣)

وهذا النوع سماه عبد الله بن المعتز "اعنات الشاعر نفسه " فدلت التسمية على مافي صناعته من مشقة وعناء وقد سماه ابن جني التطوع بما لايلزم ثم قال وهو "أن يلتزم الشاعر مالا يجب عليه ، ليدل بذلك على غزارة وسعة اطلاعه " . (٤)

ولئن جعل ابن المعتز هذا النوع خاصا بالشعر وخصه

---

(١) الانفطار : ١٣-١٤
(٢) المثل السائر ٣٩٧/١ .
(٣) المثل السائر ٤٠١/١-٤٠٢ .
(٤) انظر الخصائص ٢٣٤/٢ .

كذلك ابن جنى ، فان ابن الأثير جعله شاملا للشعر والنثر وجاراه فى ذلك الخطيب القزوينى[(١)] ولقد جعل ابن الأثير لهذا النوع ملحقا له وسماه مايلحق باللزوم وذلك أن الكلمة الأخيرة اذا صغرت من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور فهو ملحق باللزوم والتصغير عوضا عن تساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية والتى قبل الفاصلة من النثر وورود مثل هذا النوع فى القرآن يسير جدا فمن ذلك قوله تعالى : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}[(٢)] ومنه قوله : {وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ}[(٣)] ويقول ، وربما وقع بعض الجهال فى هذا الموضع ، فأدخل فيه ماليس منه كقوله تعالى : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}[(٤)] وهو لايدخل فى باب اللزوم لأن الأصل فيه "نعم" و"جحيم" والياء هى من حروف المد واللين ، فلا يعتد بها هاهنا[(٥)] .

الموازنة : ويعرفها بقوله هى "أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية فى الوزن وأن يكون صدر البيت الشعرى وعجزه متساويى الألفاظ وزنا[(٦)] وللكلام مع الموازنة

---

(١) الايضاح للقزوينى ص ٢١٢ .
(٢) العلق : ١-٢
(٣) الطور : ١-٢
(٤) الطور : ١٧-١٨
(٥) المثل السائر ١/٤١٣ .
(٦) المثل السائر ص ٤١٤ .

طلاوة ورونقا ، وسببه الاعتدال ، لأنه مطلوب فى جميع الأشياء . ولهذا يكون أسلوب الموازنة . أخا للسجع فى المعادلة دون المماثلة لأن فى السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهى تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد (١).

أما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ولا تماثل فى فواصلها . فكل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا . وعلى هذا السجع أفضل من الموازنة .

ومن هذا النوع قوله تعالى : {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ، كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا . أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ، فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} (٢).

وكذلك قوله تعالى : {مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا} (٣).

ثم يقول : "وأمثال هذا فى القرآن كثير ، بل معظم آياته جارية على هذا النهج حتى أنه لاتخلو منه سورة من السور ، ولقد تصفحته فوجدته لايكاد يخرج منه شئ عن السجع والموازنة" (٤).

وبعد . فهذه هى أنواع البديع التى أوردها ابن الأثير فى كتابه "المثل السائر" ورأينا كيف عالج ابن الأثير هذه الفنون علاجا امتاز بلمحاته الفنية وذوقه الأدبى الخالص ، وكيف عاد بها أيضا الى مصادرها الأولية القديمة القرآن

---

(١) المثل السائر ص ٤١٥ .
(٢) مريم : ٨١-٨٤
(٣) طه : ١٠٠-١٠١
(٤) المثل السائر ٤١٦/١ .

الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأشعار العرب القدماء عودا حميدا . وقد أكثر من ايراد الشواهد وحللها ببيان دقائقها الفنية ، وتشريح ماجاء فيها من عيوب على حد ماورد فى أنواع البديع عند ابن الأثير .

وقد لاحظت أن أصحاب المدرسة الأدبية أهل اتجاهين بارزين :

الأول : يكتفى بايراد الأمثلة وكأنها بذاتها توحى وتؤثر ، مثلها فى ذلك مثل المعارض الفنية تنطق معروضاتها عن نفسها ، نلحظ مثلا كتاب البديع ، لابن المعتز حين تكلم عن الاستعارة فهو يورد النصوص دون أن يعلق بكلمة . على أن مثل تلك الكتب التى تعرض للنصوص الأدبية للتأثير والايحاء لاتخلو من أحكام فنية ، وتعليلات جمالية لكنها كثيرا ماتكون موجزة .

والاتجاه الآخر : نجد أصحابه يوردون النصوص الأدبية ويحللونها بتوضيح دقائقها الفنية وتشريح ماقد يكون فيها من عيوب .

وقد امتاز بذلك كتاب "المثل السائر" لابن الأثير فمقياسه أدبى عماده الذوق ، والذوق تصقله التربية الأدبية يسبقها طبع موهوب ، يسلط ذلك كله على النص الأدبى فيميز جيده من رديئه .

واذا رأينا ابن الأثير جعل السجع وجها من وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم وكذلك الجناس ـ فاننا سنلتقى ـ بعالم آخر جعل همه الاعجازى "بديع القرآن" . ذلك ماسنتكلم عنه فى الفصل الثانى ان شاء الله .

## الفصل الثانى

# بديع القرآن لابن أبى الاصبع (١)

لم يكن كتاب بديع القرآن أول عمل قام به ابن أبى الاصبع، وانما كان له قبل مؤلفه هذا كتابان آخران ، أحدهما "تحرير التحبير فى بديع القرآن والشعر والمنثور" والآخر : هو "بيان البرهان فى اعجاز القرآن" ويبدو أنه لاحظ مافى هذا الكتاب من فنون بديعية معجزة ، فأراد أن يفرد لها كتابا خاصا بالقرآن ، ومافيه من وجوه بديعية فكان بديع القرآن تكملة له .

نلمح ذلك من قوله فى بديع القرآن اذ يقول "جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا ، فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه ، وهما قدامة بن جعفر الكاتب ، وابن المعتز ، وعدتها ثلاثون بابا بعد حذف ماتوارد عليه منها ، وماتداخل عليها فيها ، وخمسة وستون بابا لمن جاء بعدها ، الى زمنى هذا على ماقدمت من الشرائط ورأيت أن أضيف الى ذلك الأصل والمضاف فذلكة أنا مخرج أسمائها ، ومستخرج شواهدها ، فاستنبطت واحدا وثلاثين بابا لم أسبق فى غلبة ظنى الى شئ منها ، الا أن يوجد فى زوايا الكتب شئ من ذلك لم أقف عليه ، فأكون أنا ومن سبقنى متواردين عليه ، فأضفت ما استنبطت الى الأصل والمضاف الذى جمعت فصارت

---

(١) هو زكى الدين أبى محمد عبد العظيم بن عبد الواحد القيروانى المصرى ولد سنة ٦٥٤ ومن آثاره بدائع القرآن ، وتحرير التحبير . انظر : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة دار الفكر ٢٣٠/١

الفذلكة مائة باب وستة وعشرين بابا كلها فى كتابى الجامع لبديع جميع الكلام الموسوم "بتحرير التحبير" ولما فتح على بعمل الكتاب الذى وسمته ببيان البرهان فى اعجاز القرآن وعلمت أنه لابد له من تتمة تتضمن مافى الكتاب العزيز من أبواب البديع فأفردت مايختص بالقرآن ، فكان ذلك مائة باب وثمانية أبواب وعند سياقة الأبواب مفصلة تتحرى ان شاء الله تعالى العدة " (١).

وقد اتضح لى من خلال مراجعتى للأصول التى ذكرها فى مقدمة كتابه (٢) أنه ذكر ستة عشر نوعا لابن المعتز وهى "الاستعارة ، والتجنيس ، والطباق ، ورد الاعجاز على الصدور والمذهب الكلامى ، والالتفات والتمام ، أو التتميم ، والاستطراد ، وتأكيد المدح بمايشبه الذم ، وتجاهل العارف ، وحسن التضمين ، والكناية ، والافراط فى الصفة ، والتشبيه وعتاب المرء نفسه ، ويقول وهو من أفراد ابن المعتز ثم ساق البيتين اللذين أوردهما ابن المعتز وهو مايعرف عند ابن المعتز "اعنات الشاعر نفسه " وحسن الابتداءات ثم يقول "هذا آخر ابواب ابن المعتز ومن هنا نبتدئ بأبواب قدامة " (٣) ثم ذكر من أبواب قدامة (٤) أحد عشر نوعا وهى على الترتيب "صحة المقابلات ، وصحة الأقسام ، صحة التفسير ، باب ائتلاف اللفظ مع المعنى ، المساوات ، والاشارة ، والارداف ، التمثيل ،

---

(١) بديع القرآن ص ١٤-١٥ .
(٢) بديع القرآن ص ١٧-٦٤ .
أما الأنواع التى لم يذكرها من أنواع ابن المعتز هى :
١ - الهزل الذى يراد به الجد .
٢ - الرجوع .
(٣) بديع القرآن ٦٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٦٥-٩٣ .

ائتلاف الفاصلة مع مايدل عليه سائر الكلام ، والتوشيح والايغال وعنه يقول "وهو آخر أبواب قدامة ، ومن هاهنا نبدأ بأبواب من بعد الرجلين أعنى ابن المعتز وقدامة "(١)

ثم مضى فى عد الفروع بعد المبتكرين الأولين ابن المعتز وقدامة وهى أبواب المتأخرين وعدتها خمسون نوعا وهى(٢) "الاحتراس ، المواربة ، والموازنة ، الترديد ، التعطف ، التفويف ، التسهيم ، التسميط ، التورية ، الترشيح ، الاستخدام ، التغاير ، المماثلة ، التسجيع ، التعليل ، الطاعة والعصيان ، والعكس والتبديل والقسم ، والسلب والايجاب ، والاستدراك والرجوع ، الاستثناء ، والتلفيف ، جمع المؤتلفة والمختلفة ، التوهيم ، الاطراد ، التكحيل ، المناسبة ، التكرار ، ونفى الشئ بايجابه ، والتفصيل ، والتذييل ، والتهذيب ، حسن النسق ، وبراعة الانسجام ، وبراعة التخلص ، والتعليق ، والادماج ، والاتساع ، المجاز ، الايجاز ، سلامة الاختراع من الاتباع ، حسن الاتباع ، حسن البيان ، التوليد ، التنكيت ، النوادر ، الالجاء ، الالتزام تشابه الأطراف ، التوأم ، ثم يقول تمت جميع أبواب المتقدمين من الأصول والفروع ومن هنا أبتدئ سياقة أبوابى التى استنبطها والأنواع التى استخرجتها"(٣) أما الأنواع التى استنبطها واستخرجتها فهى "التخيير ، والتنظير والتدبيج ، والتمزيج ، والاستقصاء ، وباب البسط ، والعنوان الايضاح ، التشكيك ، الحيرة والانتقال ، والشماتة ، والتهكم والتنذير

---

(١) المرجع السابق ٩٣ .
(٢) المرجع السابق ٩٣-٢٣٣ .
(٣) بديع القرآن ص ٢٣٣ .

والاسجال بعد المغالطة والفرائد ، والاقتدار ، والتراهة ، والتسليم ، والافتنان ، والمراجعة ، واثبات الشئ للشئ بنفيه عن ذلك الشئ ، والزيادة التى يفيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا أو تمييز المدلول من غيره ، والايهام والابهام ، والتفريق ، والجمع ، والقول بالموجب ، وحصر الجزئى والحاقه بالكلى ، والمقارنة ، والرمز والايحاء المناقضة ، والانفصال ، والابداع ، وحسن الخاتمة " (١) .

ثم يقول "تم كتاب بديع القرآن المجيد وعدة أبوابه مائة وثلاثة أبواب وتم بتمامه كتاب البرهان فى اعجاز القران" (٢) ويعلق على هذا الدكتور حفنى شرف رحمه الله بقوله "وهى تختلف عن خاتمة بقية النسخ وليس لهذا الاختلاف أى أثر لأنه من صنع النساخ" (٣) .

والذى أريد تبيانه مما تقدم أن ابن أبى الاصبع أفرد القول عن الأنواع التى وردت فى تحرير التحبير ، من أصول وفروع ، والمبتكرات التى أضافها ولم يوضح فى بديع القرآن عدد الأصول والفروع واضافاته التى ذكر أنه استنبطها ، لذلك أردت أن أبين هذه الأصول والفروع حيث ذكر ماورد فى هذا الكتاب بالجملة ولم يفرد القول فيه فأقول أن عدة أبواب البديع مائة باب وتسعة أبواب وليست كما ذكر ابن أبى الأصبع فى المقدمة مائة وثمانية أبواب وأما الأنواع التى ذكر أنها أصول سبعة وعشرون نوعا وأما الفروع التى أوردها فى كتابه فهى خمسون نوعا ، وأما الأنواع التى جاءت ضمن اضافاته

---

(١) بديع القرآن ٢٣٣-٢٥٣ .
(٢) بديع القرآن ص ٣٥٣ .
(٣) المرجع السابق ـ الهامش ص ٣٥٣ .

فقد اتضح لنا بعد المراجعة انها اثنان وثلاثون نوعا ، وهى كلها لم تسلم له وسنعرف ذلك مفصلا من خلال عرضنا لها ان شاء الله تعالى .

والكتاب الذى بين أيدينا ليس مجرد تلخيص لآراء السابقين من البلاغيين كما هو الحال عند شراح التلخيص ، ولم يكن مجرد جمع لكتب السابقين كما هو الأمر عند ابن رشيق صاحب العمدة وانما هو عمل فنى أصيل عكف عليه ابن أبى الاصبع وبين فى مقدمة كتابه أن الدرس البلاغى كان همه الشاغل فى فتوته وشيخوخته على السواء ، فقد اطلع على تراث العرب البلغاء وجمع مايعنيه من كتب بلاغية ونقدية وأطلع على تفاسير ، وكتب حديث ، وكتب أدبية كالأمالى والمحاضرات ودواوين الخطب والشعر ، والرسائل الأدبية وكتب الفقه وغيرها نلحظ هذا من المصادر التى أطلع عليها اذ يقول فى المقدمة "كتاب بديع القرآن" الذى هو تتمة للاعجاز المترجم "ببيان القرآن" أفردته من كتاب هو وظيفة عمرى ، وثمرة اشتغالى فى ابان شبيبتى ومباحثى فى أوان شيخوختى ، مع من لقيته من عقلاء العلماء وأذكياء الفضلاء ، ونبلاء البلغاء فى علم البيان وكل من له عناية بتدبر القرآن ، ونظر ثاقب فى نقد جواهر الكلام ، ومن له تمييز بين الذهب والشبه من نقود النثر والنظام ، جمعته من كتاب وكتابين منها ماهو منفرد بهذا العلم ، ومنها ماهذا العلم داخل فى أثنائه :

(١)،(٢) كنقدى قدامة .

(٣) بديع ابن المعتز .

(٤) حلية المحاضرة للحاتمى ، وكشفت عن "الحالى والعاطل"

له الذى أشار اليه فى "الحلية" فلم أظفر بمن يعترف بوقوفه عليه ، الا ابن منقذ فى "بديعه"

(٥) الصناعتين للعسكرى .

(٦)،(٧) العمدة لابن رشيق وتزييف نقد قدامة له .

(٨)،(٩) رسالة الآمدى فى الرد على قدامة ، والموازنة بين الطائيين له .

(١٠) كشف الظلامة للموفق البغدادى

(١١) النكت فى الاعجاز للرمانى

(١٢) الجامع الكبير فى التفسير له .

(١٣) البلاغة للرمانى .

(١٤) اعجاز ابن الطيب الباقلانى .

(١٥) دلائل الاعجاز للجرجانى .

(١٦) أسرار البلاغة للجرجانى .

(١٧) الوساطة لعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

(١٨) اعجاز بن الخطيب .

(١٩) شرح أسماء الله الحسنى له .

(٢٠) التفسير الكبير له .

(٢١) الكشاف للزمخشرى .

(٢٢) شرح أسماء الله الحسنى لابن أبى البرجان .

(٢٣) التفسير لابن صمادح .

(٢٤) تفسير ابن عطية .

(٢٥) الوسيط فى التفسير للواحدى .

(٢٦) أسباب النزول للواحدى .

(٢٧) فوائد القرآن للقاضى عبد الجبار .

(٢٨) أمثال القرآن لابن حبيب .

(٢٩) التمثيل والمحاضرة للثعالبي .

(٣٠) التعريف والأعلام للسهيلي .

(٣١) الروض الأنف للسهيلي أيضا .

(٣٢) الأمثال والحكم من كلام سيد الأمم لأبي أحمد العسكري .

(٣٣) الأمثال للرامهرمزي .

(٣٤) الدلائل للبيهقي .

(٣٥) الأمثال لأبي عبيد القاسم ابن سلام .

(٣٦) أمثال الزمخشري .

(٣٧) كلام بعض العلماء عن قوله تعالى "تلك عشرة كاملة"

(٣٨) كلام بعض الفضلاء على ماجاء في الكتاب العزيز من الاستثناء .

(٣٩) كلام القاضي بهاء الدين بن شداد ـ رحمه الله ـ على سورة الاخلاص فانه استخرج منها ثلاثين فائدة .

(٤٠) ما استخرج بعض الفضلاء من الأحكام الستين من حديث "حبب الي من دنياكم ثلاث" .

(٤١) ما استخرج من الأحكام من حديث "يا أبا عمير مافعل النفير" .

(٤٢) الأمثال للميداني .

(٤٣) المنصف لابن وكيع التنيسي .

(٤٤) رسالة ابن عباد في التنكيت أيضا على المتنبي ومآخذه من أبي تمام ومآخذ البحتري من أبي تمام .

(٤٥) نهج البلاغة للامام علي عليه السلام .

(٤٦) ونظم القرآن للجاحظ .

(٤٧) البيان والتبين للجاحظ .

(٤٨) الخطب النباتية للخطيب .

(٤٩) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب .

(٥٠) تنقيح البلاغة لمحمد بن أحمد العميدى .

(٥١) الفصل والوصل لابن أبى البرجان .

(٥٢) شرح الحماسة للتبريزى .

(٥٣) البديع للتبريزى .

(٥٤) شرح الأشعار السنة للعسكرى .

(٥٥) شرح المقصود لابن خالويه .

(٥٦) اليتيمة للثعالبى .

(٥٧) أجناس التجنيس للثعالبى .

(٥٨) دمية القصر للباخرزى .

(٥٩) والخريدة للعماد والكاتب الأصبهانى .

(٦٠) العقود والاعتذار .

(٦١) محاضرات الراغب .

(٦٢) شرح سقط الزند لابن البطليوس .

(٦٣) رسالة الصولى التى قدمها على شعر أبى نواس .

(٦٤) رسالة الصولى عن أبى تمام .

(٦٥) شرح الاشراق للبلاذرى .

(٦٦) السبيل الى معرفة سبيل التنزيل .

(٦٧) الغرر والدرر للشريف المرتضى رحمه الله .

(٦٨) وتنزيه الأنبياء عليهم السلام (له) .

(٦٩) طيف الخيال له .

(٧٠) كتاب الصرفة له .

(٧١) جواهر القرآن للغزالى .

(٧٢) احياء علوم الدين للغزالى .

(٧٣)، (٧٤)، (٧٥) رسالتى الخاتمة اللتين عملهما فى شعر المتنبى : احداهما فى مآخذه ، والأخرى : فى مآخذه الجميلة ، ووقعة الأدهم الحاتمى له أعنى الحاتمى .

(٧٦) المجاز للشريف الرضى - رحمه الله - .

(٧٧) المجاز لأبى عبيدة .

(٧٨) الشفا فى تعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض .

(٧٩) شرح حديث أم زرع .

(٨٠) بديع الحديث الذى لخصه منه وأفرده عنه للقاضى عياض .

(٨١) الحديقة للحجارى ، وهو صاحب المسهب فى أخبار أهل المغرب .

(٨٢) قلائد العقبان لابن خاقان .

(٨٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى .

(٨٤) مقامات البديع ورسائله .

(٨٥) مقامات الحريرى .

(٨٦) المثل السائر لابن الأثير .

(٨٧) الوشى المرقوم له .

(٨٨) الاقناع للصاحب ابن السائر لابن عباد .

(٨٩) بديع ابن اسحاق الاحدابى صاحب "كفاية المتحفظ" .

(٩٠) العقد لابن عبد ربه .

(٩١) رسالة القاضى الفاضل رحمه الله فى البلاغة .

(٩٢) بديع شرف الدين التيفاشى ، وقد جمع فيه مالم يجمع غيره ، لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر

فيها ماانتقد على غيره وبعض الأبواب التى تداخلت عليه
(٩٣) بديع ابن منقذ على مافيه من التوارد والتداخل .[1]

تلك هى المصادر التى رجع اليها ابن أبى الاصبع فى تأليفه "بديع القرآن" وهى كما يبدو لنا يغلب على معظمها الذوق الأدبى ، الذى تتسم به طريقة العرب البلغاء ، لذلك لم يذكر السكاكى ضمن مصادره التى اعتمد عليها بالرغم من أنه كان معاصرا له . وهذه الكتب كما يبدو لنا ضعف الكتب التى استعان بها عند تأليف كتابه الأول المسمى "بتحرير التحبير" حيث يقول فى مقدمته "وقد وقفت فى هذا العلم على أربعين كتابا ".[2]

وهذا يعنى أننا أمام عمل أصيل لا مجرد تلخيص ، معتمدا فى ذلك على النقد والتحليل ، والتنظيم ، وقد استخدم حسه الأدبى ، يقول منتقدا تأليفى التيفاشى وابن منقذ مما يدلنا على منهجه فى التأليف فى هذا الفن حيث فطن الى ماوقع فيه الذين سبقوا الى التأليف فى البديع من التداخل والنقل والاستعجال يقول "... وبديع شرف الدين التيفاشى وقد جمع فيه مالم يجمع غيره لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها فانتقد عليه فيها ماانتقد غيره ، وبعض الأبواب التى تداخلت عليه ، وبديع ابن منقذ على مافيه من التوارد والتداخل وتسمية أقسام الباب الواحد أبوابا وضم إنواع المآخذ وأضاف العيوب الى المحاسن والاعتداد بها فى عدة أبواب المحاسن ومخالفة الشواهد والتراجم الى فنون من الزلل

---

(١) بديع القرآن ص ٤-١٣ .
(٢) تحرير التحبير ص ٤ .

وضروب من الخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأنعم النظر فيه ، وتدبر جملة معانيه ، وان كان قلما رأيت فى هذا الفن كتابا خلا من موضع نقد بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية فمن قليل وكثير ، وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك الا من عصم الله سبحانه من أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ، والسعيد من عدت سقطاته ، وما أبرئ نفسى ، ولا أدعى سلامة وضعى دون أبناء جنسى ، غير أنى توخيت تحرير ماجمعته جهدى ، ودققت النظر حسب طاقتى ووسعى فتجنبت التداخل وتحرست من التوارد ونقحت مايجب تنقيحه ، وصححت ماقدرت تصحيحه ، ووضعت شاهدا على موضعه وربما أبقيت اسم الباب وغيرت مسماه ، اذا رأيت اسمه لايطابق معناه ، الى أن جمعت من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا "(١)

فالموضوع يلزمه تجنب التداخل ، وايراد الأمثلة الملائمة ، ومطابقة اسم الباب لمسماه ، والتنظيم يلزمه أن ينفى المتوارد ، ويبعد الشاهد النازل فى غير موطنه ، وينقح كل باب ويحرره ، والذوق هو الذى يملى عليه أن يتدبر هذا التراث البلاغى الذى أمامه ويرتبه بالصورة التى تحدثنا عنها قبل قليل .

---

(١) بديع القرآن ص ١٣-١٤ .

## أهم المواضع التى اختلف فيها عن مدرسة السكاكى :

### التحليل :

ان من سمات المدرسة الأدبية فى البلاغة العربية أن تكثر من الشواهد من نثر وشعر ومن ثم تحليلها تحليلا أدبيا رائعا يدل على أصالة المدرسة الأدبية ، ولعل من أبرز رجال هذه المدرسة ابن أبى الاصبع اذ يقف أمام الشواهد وقفات جمالية متأنية تكشف عما تنطوى عليه من أسرار ودقائق جليلة ففى باب التمام أو التتميم يحلل مافى الآية : {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}(١) فيقول فى هذه الآية ثمانية مواضع فى كل موضع منها تتميم ، وأتت على جميع أقسام التتميم من تتميم النقص ، وتتميم الاحتياط ، وتتميم المبالغة فأولها فى قوله تعالى فى تفسير الجنة {من نخيل وأعناب} لاحتمال أن تكون جنة ذات أثل وحمط ، فان لفظ الجنة يصدق على كل شجر مجتمع يستر بظل غصونه الأرض كائنا ماكان ، ومن الشجر ماله نفع عظيم عميم كالنخيل والأعناب وماله نفع قليل كالاثل والخمط ، ومع هذا فلو احترقت لانسان جنة من أثل وخمط لاشتد أسفه عليها ، فكيف اذا كانت من نخيل وأعناب ؟ ثم علم سبحانه أن الجنة وان كانت من نخيل وأعناب ، مالم تجر الأنهار من تحتها لم يثمر شجرها ، ولم ينتفع بسكنها ولم

---

(١) سورة البقرة ٢٦٦ .

تكن لها حياة البتة فتمم هذا النقص بقوله تعالى {تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار} ثم علم عز وجل أن الجنة لو جمعت الى النخيل والأعناب محل الثمرات كان وضعها أتم ونفعها أعظم ، والأسف على فسادها أشد ، فقال متمما هذا النقص "تتميم" مبالغة "لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ" ولما فرغ سبحانه من أوصاف الجنة أخذ فى وصف صاحبها ، فوصفه بالكبر لأنه لو كان شابا لرجا أن يخلفها بعد احراقها لما يجد فى نفسه من القوة ،ويأمل من طول المدة فقال محتاطا {وأَصَابَهُ الكِبَرَ} ثم علم سبحانه أنه اذا كان عقيما مع الكبر سلاه عنها قرب المدة وعدم من يهتم بضياعه بعد ، فلا يشتد أسفه عليها ، فقال عز وجل محتاطا أيضا {ولَهُ ذُرِيَّة} ثم علم أنه اذا لم يصف الذرية بالضعف احتمل الاطلاق أن يكونوا أقوياء فيترجى اخلامهم لها ، فيخفض ذلك من أسفه فقال محتاطا "ضعفاء" ثم لما فرغ من وصف الجنة أخذ فى وصف الحادث المهلك لها بقوله عز وجل {فأصابها اعصار} وعلم تبارك وتعالى أن الأعصار لايعجل فساد هذه الجنة ولايحصل هلاكها به الا بعد استمراره عليها فى مدة طويلة وهو يريد الاخبار بتعجيل هلاكها فقال {فيه نار} ثم اقتصر سبحانه من الرياح على الأعصار ، لكونه عبارة عن تقابل الرياح المثيرة للعجاج الكثيف الذى دوامه يعمى عيون الماء ويطم الآبار والأنهار ويحرق بسمومه ووهجه الأشجار ، واذا اتفق مع ذلك أن تكون فيه نار أدارها على المكان الذى يكون فيه ، بحيث لاينصرف عنه لأنه لايقصد وجهه مقابلة فينصرف مايكون فيه اليها ، ثم علم سبحانه أن النار يحتمل أن تكون ضعيفة فتطفأ لضعفها عن مقاومة مافى الجنة من الأنهار ورطوبة

الأشجار ، فاحتاط من ذلك بقوله تعالى {فاحترقت} فنفى هذا الاحتمال وأوجز فى تتميم المعنى المراد"(١) ، ثم يقول "فانظر ماتضمنت هذه الآية الكريمة من تقاسيم هذا النوع أى مافيها من ائتلاف اللفظ بالمعنى والتهذيب ، وحسن النسق ، والتمثيل وحسن البيان ، والمساواة ، لتعلم أن هذا الكتاب الكريم بأمثال هذه الآية عجز الفصحاء وبلد الأذكياء ، واعيا على البلغاء"(٢) . وفى القول السابق نظر ، اذ أن الحرف "ثم" يفيد الترتيب الزمنى وعلم الله محيط بكل شىء ، فهو يعلم سبحانه بالأمر قبل أن يكون ، وكلام ابن أبى الاصبع يتنافى مع علم الله الذى لاتخفى عليه خافية .

ويبين حسن التنكيت عند قوله تعالى : {وإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}(٣) فيقول : "يقال ماالنكتة التى لأجلها عدل من طويل الى عريض ؟ فيقال : لأن الداعى يتوجه الى السماء اذ هى قبلة الدعاء ، وهو تحتها والذى يظله منها انما هو نصف الكرة ، اذ هو تحت مكورها ، فالذى يظله اذا عرض لا طول وان كان الظرف عرضا وجب أن يوصف المظروف بالعرض دون الطول فيكون المراد - والله أعلم - ، فذو دعاء يملأ السماء ، يعنى مايتوجه اليه من السماء ، فانه الذى يطلق عليه سماء بالنسبة اليه فانه الذى يظله ، وهذا ارداف ، فان الحقيقة فذو دعاء يملأ السماء فعدل الى لفظ الارداف موجها للايجاز ، فان لفظه أوجز من لفظ الحقيقة"(٤) .

ويتعرض ابن أبى الأصبع للنواحى الاعرابية فى الآيات مع النواحى البلاغية اذ يحلل مافيها من قسمات الجمال ويبين طرائق الكلام فيها فى باب الايضاح فى قوله تعالى :

---

(١) بديع القرآن ٤٦-٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ٤٦-٤٨ .
(٣) سورة فصلت ٥١ .
(٤) بديع القرآن ص ٢١٨ .

{وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَايُنصَرُونَ}(١) اذ يقول "فان على ظاهر هذه الآية اشكالين : أحدهما من جهة الاعراب ، والآخر من جهة المعنى ، فأما الذى من جهة الاعراب فعطف ماليس بمجزوم على مجزوم ، والذى من جهة المعنى أن صدر الآية يغنى عن فاصلتها لأن توليهم عند المقابلة دليل على الخذلان ، والخذلان والنصر لايجتمعان ، والجواب أن الله هو سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا ان قاتلهم انهزم ، ثم أراد وهو أعلم تكميل العدة باخبارهم أنه مع توليه الآن لاينصر أبدا فى الاستقبال ، فهو مخذول أبدا ماقاتلهم ، فيثق المؤمنون بنصر الله تعالى على هذا العدو ويتيقنوا أنه متى قاتلهم كان مخذولا فيقدموا على لقائه كلما أرادوا ذلك بثبات قلوب وقوة نفوس ، وطمأنينة وسكينة ، لايتوقفون فى لقائه ، ولايخشون مغبة قتاله ، ولو وقع الاقتصار على مادون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد ، لأنه لايعطى قوله : {وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار} انهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك ، فان قولك ، ان جاء زيد أكرمته ، لايلزم منه أنه متى جاء على الدوام والاستمرار كان له عليك الاكرام وانما يعطى أنه ان جاءك أكرمته لتلك الجيئة ، ولما علم سبحانه وهو أعلم أن الاقتصار على مادون الفاصلة لايفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد والمقصود دوامها قال {ثم لاينصرون} ومنع الجزم ، وان عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذى وضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال

---

(١) سورة آل عمران ١١١ .

فيعلم أنه أراد وهو أعلم أنهم لاينصرون فى الحال ولا فى الاستقبال ..... وأحسن ماوقع فى هذا النظم اختار لفظة "ثم" دون سائر حروف العطف لما تدل عليه التراخى والمهلة الملائمة لما قصد من الاستقبال ، فاتضح المعنى ، وارتفع الاشكال ، فتضمنت هذه اللفظات السبع ستة عشر ضربا من البديع وهى "التعليق والمطابقة المعنوية والاحتراس والتكميل والتنكيت والمقارنة والايضاح والادماج والترشيح والايغال والايجاز ، والافتنان وحسن النسق ، والتهذيب ، وحسن البيان والمثل السائر ، واعجب ماوقع فيها أن حرفا واحدا منها وقع فيه على انفراده من ذلك ثمانية أضرب والحرف لفظة "ثم" وقع فيها الاحتراس والتنكيت والمقارنة والايضاح والادماج والتكميل . وحسن النسق والترشيح توجد هذه الضروب بوجودها وتعدم بعدمها . وبيان ذلك انا لو قدرنا موضعها الواو سقط ذلك كله" .(١)

ويحلل هذا المعنى القرآنى المبتدع الذى لم يسبق اليه ولم يتبع فيه فى باب سلامة الاختراع من الاتباع اذ يقول فى قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}(٢) يقول "فانظر الى غرابة هذا التمثيل الذى تضمن الافراط فى المبالغة مع كونها جارية على الحق ، خارجة مخرج الصدق ، وذلك حين اقتصر سبحانه كائنا من كان عن خلق مثله من التضامن والاجتماع ، ثم نزل فى

---

(١) بديع القرآن ص ٢٦١-٢٦٣ .
(٢) سورة الحج ٧٢ .

التمثيل عن رتبة الخلق اذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل الى استنقاذ النزر التفه الذى يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ، ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه فتنقل فى النزول فى التمثيل على ماتقتضيه البلاغة على الترتيب فى هذا المكان لما علم سبحانه إنه لامبالغة فى تعجيزهم عن الخلق ، والاختراع الذى لايدعيه جبار ولايتعاطاه من المخلوقين احد ، وان أوتى قدرة وأعطى قوة وكان فيه من التعالى فى الكفر والجهل مايدعى معه الالهية وينتحل الربوبية ، فنزل بهم الى استنقاذ مايسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم ليريهم عجزهم فتستبقنه نفوسهم ، وان لم تقربه ألسنتهم ، فجاء بما يقضى الظاهر أنه أيسر من الخلق وهو فى الحقيقة مثله فى العمر ، فان الظفر بنفس هذا المخلوق أيسر من الظفر بما يسلبه ، فاستنقاذ مايسلبه فى العجز عنه مثل خلقه ، ولم يسمع مثل هذا التمثيل فى بابه لأحد قبل نزول القرآن العزيز ، ولم يتناوله متناول كما فعل فى كثير من معانى الكتاب الكريم ، وهذا مثال يحذو عليه من تتبع مافى الكتاب العزيز من ذلك" (١)

ويقول عن قوله تعالى {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} (٢) يقول محللا وموضحا مبلغ الاعجاز فيها "فانظروا الى مجئ الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ، ومجئ السكون والحركة فى عجز الكلام وهما ضدان ، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ،

---

(١) بديع القرآن ص ٢٠٠-٢٠١ .
(٢) القصص : ٧٣ .

وكيف عبر سبحانه عن الحركة بلفظ الارداف "الابتغاء" فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة ، والذى أوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهى اشتراك الدعائة بالقوة ، وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل ، وسلامة الحس ، ويستلزم اضاءة الطرف الذى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدى ، المتحرك الى بلوغ المأرب ورجوه المصالح ويتقى أسباب المعاطب ، والآية سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة ، فحصل فى الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن . ألا تراه سبحانه جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال "لتسكنوا" ، و"لتبتغوا" بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة والتعليل ، والاشارة والارداف ، والائتلاف ، وحسن النسق ، وحسن البيان لمجئ الكلام متلاحما آخذة أعناق بعض بأعناق بعض ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ماعدده من النعم بلفظه الخاص ، وماتضمنته العبارة من النعم التى هى من لفظى الاشارة والارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض "ومن رحمته" وكل هذا من بعض آية عدتها احدى عشرة لفظة ، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة ، والفصاحة المتظاهرة " . (١)

---

(١) بديع القرآن ص ٧٣-٧٤ .

ويقف عند قوله تعالى : {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}(1) وقفات جمالية رائعة اذ يقول محللا جوانب الابداع فيها "فانه سبحانه وطأ بهذا الفصل الى مايأتى بعده من سرد قصة يوسف – عليه السلام – ، فتخلص تخلصا بارعا وجعل سبب براعة هذا التخلص ماجاء به فى التوطئة من التنكيت ، فان النكتة التى أشارت الى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة فى القرآن هى قوله "أحسن القصص" فان المخاطب اذا سمع هذا الوصف لهذه القصة تنبه الى تأملها ، فيجد كل قضية فيها ختمت بخير وكل ضيق الى سعة ، وكل شدة الى رخاء ، فان يوسف – عليه السلام – رمى فى الجب فنجا ، وبيع بالثمن البخس ، فنزله الذى اشتراه منزلة الولد ، وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، فعصمه الله ، ودخل السجن فخرج منه ملكا ، وظفر اخوته به ، فأظفره الله بهم ، وأظهره عليهم ، وسره الله بلقاء أخيه شقيقه فتآنس به ، وفارقه أبوه ، ثم اجتمع به وجزع لفراقه ، ثم سر بلقائه ، وعمى عن بكائه عليه فرده الله بصيرا ، وجاء به من البدو وأجلسه بمصر على سرير الملك . وغضب أعنى أباه ويوسف على بقية الأولاد ، ثم رضيا عنهم واستغفرا لهم وأسجد له أبويه واخوته تحقيقا لرؤياه من قبل فكانت القصة لذلك جديرة بأن توصف بنهاية الحسن دون غيرها من القصص"(2) .

ويبين المناسبة بين الجمل المركبة ومعانيها فى قوله

---

(1) يوسف : ٣ .
(2) بديع القرآن ص ١٦٩-١٧٠ .

تعالى : {لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ} (١) فيقول "فان معنى نفى ادراك الابصار للشئ يناسب اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ، لأن المعهود عند البصر لايدرك الأجسام اللطيفة كالهواء وسائر العناصر ، ولا الجواهر المفردة ، وانما يدرك اللون من كل متلون ، والكون من كل متكون ، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد وكذلك قوله تعالى : {وهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَار} فان ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة ، فانه سبحانه لما أثبت له ادراك الأبصار : أى ألباب الأبصار التى نفى عنها ادراكه تكميلا للتمدح حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح ، واحتراسا ممن يظن أنه اذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا ، فوجب أن نقول "وهُوَ يُدْرِكُ الأبْصار" لتثبت لذاته الوجود وزيادة ثم عطف على الأول والثانى "وهو اللطيف الخبير" ليناسب معنى آخر الكلام أوله ، وعجزه صدره ورجح لفظة الخبير على لفظة البصير لمافيها من الزيادة على الأبصار والادراك اذ ما كل من أبصر شيئا ، أو أدركه كان خبيرا به فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائدا على معنى الكلام وضعت لأجله بالايغال ، وهو ايغال متمم لمعنى التمدح ، فحصل فى هذه الآية على ذلك اثنا عشر ضربا من البديع وهى : التعطف الذى هو قوله : {لاتُدْرِكُه الأبْصَارُ} وهو يدرك الأبصار لمجئ لفظة "الأبصار" فى أول الكلام وآخره ، والمقارنة لاقترانه بالمطابقة فى قوله : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك

---

(١) الأنعام : ١٠٣ .

الأبصار} والادماج لما أدمج فى التعطف من الاحتراس ، والمناسبة التى هى أم الباب ، والترشيح بالمناسبة الى الايغال ، والايغال ... والاشارة لدلالة اللفظ القليل على المعانى الكثيرة ، والمجاز لحذف المضاف من قوله ، {وهو يدرك الأبصار أى ذوى الأبصار لتقرب ألفاظ التعطف بعضها من بعض ، فيكون ذلك أحسن وأبين ، والتخيير للعدول فى الفماله عن البصير ، والمدرك الى الخبير ، والايجاز ، فان هذه الآية تسع لفظات تضمنت اثنى عشر ضربا من البلاغة "(١) .

وقد أشار "الطيبى" فى تفسيره الى قوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار} اشارة قريبة من معنى ابن أبى الاصبع فيقول "ذكر ادراكه "الأبصار" والتلويح الى المحافظة التامة لئلا يسترق الرائى النظر الى الخالق وفى ذكر اللطيف الخبير "الرمز الى المراقبة الكاملة لجنبات الصدور ، وخفيات الهواجس ليكون المريد واقفا على مواقف الاخبات والخضوع آخذا أهبة الحذر عن الشرك الخفى"(٢) .

وابن أبى الاصبع حين يتطرق للشواهد محللا جوانب الجمال فيها نراه يعقد موازنة بينها وبين الأمثلة الشعرية موضحا الفرق بين قافية البيت وفاصلة الآية التى يعدها وجها من وجوه اعجازه ، ولن تنتج الموازنة غير علو القرآن بلاغة وسموه اعجازا . ويعقد ابن أبى الاصبع هذه الموازنات الأدبية بين القرآن والشعر والنثر كاشفا بذلك عن وجه من وجوه الاعجاز . فمثلا فى باب "التذييل" يقول "... وعظم

---

(١) البديع ص ١٤٦-١٤٧ .
(٢) كتاب الغيب فى الكشاف عن قناع الريب للطيبى ص ١٩٥ .

الناس قدر قول المتنبى" البسيط :

تُمسِى الأَمَانِى صرعَى دونَ مبلغهِ

فَمَا يقولُ لشئٍ ليتَ ذَلِكَ لِى

ولم يزل سيف الدولة ولها بهذا البيت معظما له ، مثنيا عليه مقرا له بأنه لايلحق سبقا ولا يأتى أحد فى بابه من المبالغة ، بمثل ما أتى به ، حتى قال ابن نباتة السعدى فيه "البسيط" .

لَم يَبقَ جُودُكَ لِى شَيْئاً أؤَمِّلُهُ

تَركتَنِى أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

وقد استوفيت الكلام على هذين البيتين والتفصيل بينهما فى كتاب "تحرير التحبير" وانما ذكرتهما هاهنا على خلاف شرط هذا الكتاب ، لينظر الناظر فيه بين ماوقع من المبالغة ، وبين قوله تعالى من باب التذييل "وله كل شئ" لما تستغرق لفظه "كل" من جميع الأشياء التى يقع ، وأحدهما على البسيط والمركب والقديم والمحدث والخالق والمخلوق ، وان كان وقوعها على كل موجود سوى الله تعالى ، وكل معدوم ممكن الوجود " (١) .

ويعقد موازنة بين قول البحترى فى وصف الابل التى براها السير .

كالقسى المعطفات بل الاسهم ، مبريه بل الأوتار .

"فان هذا البيت جمع التشبيه ، والتتميم فى موضعين ، وحسن النسق والتهذيب ، والايغال ، وذلك أنه شبه هذه

---

(١) بديع القرآن ص ١٥٧ .

الركائب بالقسى، وهو من التشبيه البليغ الذى ماوراءه مطمع ولم يقف عند ذلك حتى تمم معنى الوصف ليقع التشبيه من أكثر الوجوه التى يقرب بها المشبه من المشبه به فقال "المعطفات" لما فى خلق الابل من الحدب الانحناء ، فكان التشبيه بذلك أوقع والمعنى فى الوصف أتم ، ثم انتقل على مقتضى طريق البلاغة من الأدنى الى الأعلى .

فنسبها بعد التشبيه بالقسى الى الأسهم ، لأنها أنحف من القسى ، ثم تمم معنى الوصف ليقع التشبيه الثانى موقع الأول فى القرب فقال "مبرية" ثم انتقل من الأسهم مبرية الى "الأوتار" التى هى أنحف من الأسهم ، وكل ذلك على الترتيب المرضي الذى استحق الكلام بسببه وصفه بالتهذيب ، ونسق جمل البيت بعضها على بعض بلفظة "بل" التى هى للاضراب ليشير الى أنه غلط أولا فى تشبيهها بالقسى ، اذ كانت أنحف منها ، فشبهها بالأسهم ، ثم تبين أنه غلط أيضا فانتقل الى تشبيهها بالأوتار" ولذلك أضرب عن كل تشبيه كان آخذا فيه وأخذ فى غيره ، وجعل الأوتار قافية لشدة مشابهتها بتلك الركائب ، اذا كانت لم تبق الا أعصابا جافة فكانت أشبه الأشياء بها وأقرب اليها من كل ماتقدم من الكلام ، ولم يخرج عن الألفاظ الملائم بعضها لبعض ، ليأتى الكلام موصوفا بالائتلاف ، اذ الأسهم من أنسب الأشياء للقسى والأوتار أنسب وأقرب اليها ، وهذا أفضل بيت وقع فيه الاستقصاء لمولد .....

واذا نظرت بين بيت البحترى وبين قوله تعالى :

---

(١) بديع القرآن ص ٢٤٨-٢٤٩ .

{أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وأَصَابَهُ الكِبَرُ ولَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}(١) .

علمت مقدار مافى نظم القرآن من البلاغة وتبينت أن الاعجاز فيه بالفصاحة وذلك إنه سبحانه بعد قوله "جنة" التى اقتصر على ذكرها لكان كافيا ، فلم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها "من نخيل وأعناب" اذ لفظة الجنة تطلق على أى شجر كان ساتر بظل ورقة الأرض ، فاذا قال من نخيل وأعناب كان مصاب ربها بها أعظم ، ثم لم يقف عند ذلك حتى قال سبحانه "تجرى من تحتها الأنهار" متمما لوصفها بذلك ، ثم كمل وصفها بعد التتميم بأن قال عز وجل "له فيها من كل ثمرات" وذلك لما علم سبحانه وهو أعلم أن الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب لايكون به وصفها كاملا فأتى بكل من الجنان ليشتد الأسف على افسادها ثم قال فى وصف صاحب الجنة "وأصابه الكبر" ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تنظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر "وله ذرية" ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف ، ثم ذكر استئصال تلك الجنة التى ليس لهذا الذى أصابه الكبر ، وليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال "فأصابها اعصار" ولم يقتصر على ذكر الاعصار للعلم بأنه لاتحصل به سرعة الهلاك فقال "فيه نار" ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر سبحانه وتعالى باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لاتفى باحتراقها لما فيها من

---

(١) البقرة : ٢٦٦ .

الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله "فاحترقت" وهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله " (١).

ويعقد موازنة أيضا بين قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} (٢) وبين بيت من الشعر وحديث للرسول صلى الله عليه وسلم وقول لعلي ابن أبي طالب وهذا نص الموازنة :

".... وأما الآية الثانية فاستوفت أقسام الزمان في قوله تعالى : {والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون" . فان ايمان هؤلاء المؤمنين بما أنزل الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ايمان في الحال ، وبما أنزل من قبله في الماضي وايمانهم بالآخرة ايمان في الاستقبال ثم زاد ايمانهم بالآخرة وصفا اذ أخبر أنه ايمان متيقن ، ليدل بذلك على قوة تصديقهم للنبي صلى الله عليه وسلم ووثوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقينا لاشك فيه ولا شبهة ، فحصل في هذه الآية مع نهاية المدح صحة الأقسام في اللفظ ، والمبالغة في معنى المدح ، والايغال في الفاصلة اذ زاد بها المعنى ماحصلت الا بها واذا نظرت بين معنى هذه الآية التي عدتها اثنتا عشرة لفظة وبين قول زهير ، وهو أجمل بيت جاءت فيه صحة التقسيم وأبلغه .

وأعلمُ مَافي اليوم والأمسِ قبلَه

ولكنني عن علم مافي غدٍ عم

علمت مابين البلاغتين وذلك أن عدة البيت ثلاث عشرة

---

(١) بديع القرآن ص ٢٤٩-٢٥٠ .
(٢) البقرة : ٣-٤ .

لفظة وفيه من زيادة اللفظ التى لم يؤت بها الا لأجل الوزن والقافية لفظتان فان ملخص معنى عجز البيت كله أن يقول : ولا أعلم مافى الغد فاضطره الوزن والقافية الى أن قال ماقال . والحظ كم بين قافية البيت وفاصلة الآية وماتضمنته الآية من مدح المؤمنين فى الأزمنة الثلاثة ، ومافى اجماع ذلك المدح من الاشارة الى الايمان بجميع كتب الله التى أنزلها ، وجميع رسله التى أرسلها ، وبما سيكون من أمر البعث ، ومانطقت به الكتب من جميع مافيه من الحساب والمساءلة والصراط والميزان والجنة والنار ، وجميع أصناف الثواب والعقاب ، وتفاصيل هذه الجملة التى لو عددت معانيها بألفاظها الموضوعة لها لملأت الأكوان ، وكانت كما أخبر عنها الرحمن بقوله : {وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} (١) فسبحان المتكلم بهذا الكلام وأين يقع البيت من الآية ، فان بينهما من البعد مابين المتكلم بهما بل أين هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "ليس لك من مالك الا ماأكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت" (٢) بل أين البيت من قول على عليه السلام ، من الكلام الذى قال فيه أبو عبيدة فى كتاب الأمثال : ارتجل الامام على عليه السلام . تسع كلمات قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن : ثلاث فى المناجاة وهى قوله كفانى عزا أن تكون لى ربا وكفانى فخرا أن أكون لك عبدا ، أنت لى كما أحب فوفقنى لما تحب ، وأما التى فى العلم

---

(١) لقمان : ٢٧ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء باب دعاء النبى اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف رقم ٢ حديث ٩٦١ .

فقوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، تكلموا تعرفوا ماضاع امرؤ عرف قدره ، وأما التى فى الأدب فقوله "أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وهذه الكلمات أردت ايرادها ، فانها الداخلة فى هذا المعنى" (١) .

ويتضح لنا مما تقدم أن ابن أبى الاصبع قد اعتمد على مقاييس فى تحليلاته أو موازناته التى من خلالها نظر الى وجوه الاعجاز القرآنى ، ولعل هذه المقاييس التى استخدمها ابن أبى الاصبع هى خير دليل يوضح مدى أصالة الاتجاه الذى طرقه ابن أبى الاصبع وهو الاتجاه الأدبى وقد جعل أساليب البديع فى كتابه هى المقياس الرئيسى لتحليلاته وموازناته .

وابن أبى الاصبع لايكتفى بتحليل الشواهد فى الآية للأبواب الواردة فيها وانما يعدد الأنواع البديعية جميعها فى الآية ، انظر اليه وهو يحلل قوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢) اذ يقول (٣) وما رأيت ولا رويت فى الكلام المنثور الموزون كآية من كتاب الله تعالى "استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من البديع وعددها سبع عشرة لفظة وهى قوله تعالى "وقيل ياأرض" وتفصيل ماجاء فيها من البديع : المناسبة التامة فى أبلعى وأقلعى للأرض والسماء ، والمجاز فى قوله "ياسماء" فان الحقيقة : ويامطر

---

(١) بديع القرآن ٧٠-٧٢ .
(٢) هود : ٤٤ .
(٣) بديع القرآن ص ٣٤٠ .

السماء أقلعى ، والاشارة فى قوله "وغيض الماء" فانه سبحانه وتعالى عبر بها بين اللفظين من معان كثيرة ، لأن الماء لايغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض مايخرج من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء ، والارداف فى قوله تعالى "واستوت على الجودى" فانه عبر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوسا متمكنا لازيغ فيه ولا ميل لطمأنينة أهل السفينة بلفظ قريب من لفظ الحقيقة ، والتمثيل فى قوله تعالى "وقضى الأمر" فانه عبر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بعدما من لفظ الحقيقة بالنسبة الى لفظ الارداف ، والتعليل لأن غيض الماء علة الاستواء وصحة التقسيم حين استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذى ينبع من الأرض ، وغيض الماء الحاصل على ظهر الأرض ، والاحتراس فى قوله تعالى "وقيل بعدا للقوم الظالمين" محترسا من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عم من لايستحق الهلاك ، فجاء سبحانه بالدعاء على الهالكين ليعلم أنهم مستحقو الهلاك ، فان عدله منع أن يدعو على غير مستحق للدعاء عليه ، والانفصال فان لقائل أن يقول ! ان لفظة القوم مستغنى عنها فانه لو قيل "وقيل بعدا للظالمين" لتم الكلام ، والانفصال عن ذلك أن يقال : لما سبق فى صدر الكلام قبل الأية قوله تعالى {وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه} وقال سبحانه قبل ذلك مخاطبا نوحا عليه السلام : {ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون} فاقتضت البلاغة أن يؤتى بلفظة القوم التى آلة التعريف فيها للعهد ، ليتبين

أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله تعالى {وكلما مر عليه ملأ من قومه} ووصفهم بالظلم وأخبر بسابق علمه أنهم هالكون بقوله {ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون} فحصل الانفصال عن الاشكال وعلم أن لفظة القوم ليست فضلة فى الكلام والمساواة لأن لفظ الآية لايزيد على معناه ولا ينقص عنه وحسن النسق فى عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقفت أولا فانه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع ، ثم عطف على ذلك أمر السماء بالاقلاع ثم عطف غيض الماء على ذلك ، ثم عطف على ذلك قضاء الأمر بهلاك الهالكين ونجاة الناجين ، ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجودى ثم عطف على ذلك الدعاء على الهالكين ، فجاء عطف هذه الجمل على ترتيب وقوعها فى الوجود وائتلاف اللفظ مع المعنى لكون كل لفظة لايصلح فى موضعها غيرها والايجاز لأنه سبحانه اقتص القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشئ فى أخصر عبارة بألفاظ غير مطولة ، والتسهيم لأن من أول الآية الى قوله تعالى "أقلعى" يقتضى آخرها والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة ، والتركيب سليم من التعقيد وأسبابه ، وحسن البيان من جهة أن السامع لايتوقف فى فهم معنى الكلام ويشكل عليه شئ منه ، والتمكين لأن الفاصلة مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى مكانها غير قاتمة ولا مستدعاة والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك مع جزالة اللفظ كما ينسجم الماء القليل فى الهواء . وما فى مجموع ألفاظ الآية من الابداع ، وهو الذى سمى به هذا الباب

اذ فى كل لفظة بديع وبديعان ، لأنها كما تقدم سبع عشرة لفظة تضمنت واحدا وعشرين ضربا من البلاغة سوى مايتعدد من ضروبها ، فان الاستعارة وقعت فيها فى موضعين : وهما استعارة الابتلاع والاقلاع ، فانظر : رحمك الله الى عظمة هذا الكلام وما انطوى عليه نظمه وما تضمنه لفظه لتقدره حق قدره "(١)

وتبدو سمة الوضوح عند ابن أبى الاصبع جلية فهو حريص على ألا يترك بابا من أبواب الكتاب ورد فى أمثلته غموض أو ابهام الا وضحه وبينه فها هو يزيل الاشكال البيانى الذى قد يتوجه على التكرار والتداخل فى الآية : {لَايَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(٢) يقول :

"فانه عز وجل سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان ، وأوجب لهم الطاعة ، فان قيل : على ظاهر الآية اشكال من جهة التداخل والتكرار فان معنى عجزها داخل فى معنى صدرها ، فهو مكرر وان اختلف لفظه وهذا عيب يتحاشى عنه نظم القرآن العزيز ، فان من لايعصى مطيع ، أجاب الامام فخر الدين بن الخطيب عن ذلك بأن قال : "لايعصون الله" فى الحال "ويفعلون مايؤمرون فى المستقبل" .

وكنت قد أجبت عن الاشكال بجواب قبل أن أسمع جواب الامام فخر الدين ، فقلت : الوصف بالطاعة والعصيان على ثلاثة أقسام : نقول زيد لايعصى ويطيع ، ونقيضه لايطيع ويعصى ، والواسطة لايعصى ولايطيع ، والاول وصف أعلى والثانى وصف أدنى والثالث وصف متوسط والحق سبحانه أراده ــ وهو أعلم ــ أن

---

(١) بديع القرآن ص ٣٤١-٣٤٣ .
(٢) التحريم : ٦ .

يصف الملائكة بالوصف الأعلى فلو اقتصر عز وجل على قوله : "لايعصون" احتمل أن يوصل بقولك ، ولايطيعون ، فلا يوفى ذلك بالمعنى المراد فان وصفهم بأعلى الأوصاف ، يوجب أن يقول : ويفعلون فتكمل الوصف" (١) .

واذا كان طريق البلاغة الانتقال من الأدنى الى الأعلى على الترتيب فان ظاهر نظم الآية : {عَالِمُ الغَيْبِ والشهَادَةِ} (٢) يوجب اشكالا بيانيا فالغيب لدى الحس أعلى منزلة مما يراه بحواسه ، فيرفع غموض الأشكال ابن أبى الاصبع بقوله : (فان قيل فقد جاء فى الكتاب العزيز مواضع غير هذا الترتيب فما العذر عنها كقوله تعالى : {عَالِمُ الغَيْبِ والشهَادَةِ} فان التمدح بعلم الغيب أبلغ من التمدح بعلم الشهادة وقد حصل الانتقال من الابلغ الى ماهو دونه . قلت : علم الشهادة فى حق الله سبحانه أبلغ فاننا لانعقل أن علم الشهادة يعلم الا بواسطة الحواس ومتى فقدنا الحواس فقد علم الشهادة . وعلم الغيب لايفتقر فى تحصيله الى الحواس ، وقد ثبت بالبرهان القاطع تنزيه الحق سبحانه عن الحواس وثبت أنه يعلم علم الشهادة وحصول علم لايعلمه الا من له حواس لمن لم تكن له حواس أبلغ وأعجب من حصول علم لايفتقر من حصوله الى الحواس ، فثبت أن علم الشهادة هاهنا أبلغ" (٣) .

وقوله تعالى : {وإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى اليَتَامَى فَانْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً} (٤) .

---

(١) بديع القرآن ص ١١٦-١١٧ .
(٢) الرعد : ٩ .
(٣) بديع القرآن ص ١٥٩ .
(٤) النساء : ٣ .

يبين مافيها من غموض واشكالات فيحللها ابن أبى الاصبع واحدة فواحدة قاصدا الايضاح فيقول : (فان ظاهر الآية يتوجه[1] عليه اشكالات منها لم عدل عن العدد الصحيح الى المعدول ؟ فقال سبحانه "مثنى وثلاث ورباع" ولم يقل اثنتين وثلاث وأربع ولم عطفت جملها بالواو المقتضية للجمع حتى التبس الأمر فيها ؟ فجاء ظاهرها يدل على اباحة الجمع بين تسع نسوة ، ولم نزل عن الأربع لمن يخاف ألا يعدل بين النساء الى الواحدة ؟ ومن لايعدل فى الأربع يجوز أن يعدل فى الثلاث ، ومن لم يعدل فى الثلاث يجوز أن يعدل فى اثنتين ، ولم لم يأت لفظ الواحدة معدولا ليناسب ماقبله من العدد المعدول ؟ والجواب عن الأول أن ذلك للايجاز ، لأن قول العرب : مثنى وثلاث ورباع يسد مسد اثنتين ، اثنتين وثلاث ثلاث ، وأربع أربع ، مع التكرار ، ومثنى وثلاث ، ورباع أخصر من الأول لأن المراد من الآية تعريف ماأبيح للناكح من الجمع بين حرائر النساء ، تعدل عن الصحيح الى المعدول توخيا للايجاز ، وأما الجواب عن عطف الجمل بالواو دون "أو" فلأن الخطاب لكافة المسلمين لا للواحد منهم ، فوجب العدول عن "أو" فى العطف الى "الواو" المقتضية للجمع ، لأن الخطاب للجمع ليصيب كل مكلف ماأبيح له من الجمع ، ولو عطف "بأو" لاختص الحكم بالمفرد الواحد من المكلفين ، وأما الجواب عن النزول من الأربع الى الواحدة ، ولم ينزل على الترتيب الى الثلاث ، ثم من الثلاث الى الاثنتين فلقصد بناء الكلام على الاختصار ، فان

---

(١) بديع القرآن ١٧٤-١٧٥ .

النزول على الترتيب يفضى الى اطالة فى الكلام له مندوحة عنها ، فلأجل ذلك قدر أنه قال : فان خفتم ألا تعدلوا فى اثنتين فواحدة ، وألغى الوسائط ، لدلالة ماذكره على مالغاه فأتى النظم على السنن المحمودة من البلاغة ، فان من خاف ألا يعدل فى اثنتين كان من ألا يعدل فى الثلاث أحرى ، فضلا عن الأربع .

وأما قول السائل لم لم يأت لفظ الواحدة معدولا ، لأن العرب انما جعلت العدول للأعداد ، والواحدة والواحد كل منها أول للعدد وليس من المعدود ، ولأن العدول فى هذه الأعداد انما جاءت للاختصار ليقوم مقام العدد المكرر ، وهذا العدد مأمون فى الواحدة ، فلأجل ذلك جاء لفظها على أصل وضع غير معدول" (١) .

وقد يمر باب بديعى يشتبه بباب آخر فيوضح الفرق ابن أبى الاصبع بينهما ، وبين مواطن الالتباس ، ففى باب التمزيج نراه يبين الفروق بين الأبواب البديعية : التمزيج والتكميل والافتنان والتعليق ، والادماج فيقول : (٢) "والفرق بينهما أن التمزيج لايكون الا بالفنون ومعانى البديع والمعانى فيه ظاهرة ، وان كان فى الكلام فنان فلابد أن يظهر أحدهما ويخفى الآخر بخلاف التكميل ، فان التكميل بالفنون ومعانى النفس ، لامعانى البديع ، ولابد أن يكون الفنان فيه اما ظاهرين معا أو مخفيين معا وهما فى التمزيج يظهر أحدهما ويخفى الآخر .

والفرق بين التمزيج والافتنان : أن الافتنان مثل

---

(١) بديع القرآن ١٧٤-١٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢٤٦-٢٤٧ .

التكميل في كونهما لايكون الا بالفنون دون المعاني ، لأن التكميل يكون فيه الفنان ظاهرين أو مخفيين أبدا ، وهما في الافتنان يجوز ظهورهما وخفاء أحدهما .

والفرق بين التمزيج والتعليق : أن الفنين يكونان ظاهرين معا وأحدهما متعلق بالآخر يلزم من ثبوته ، ومن عدمه بخلاف التمزيج في الاتيان بالمعاني والفنون فيه ، ويكون أحد الفنين ممتزجا بالآخر متحدا به .

والفرق بين التمزيج والادماج : أن الادماج لايكون الا بالمعاني البديعية دون الفنون .(١)

وقد قايس المقابلة بالمطابقة فيوضح الفرق بينهما ابن أبي الاصبع "... فالفرق بين الطباق والمقابلة اذا من وجهين : أحدهما أن الطباق لايكون الا بالجمع بين ضدين فردين فقط ، والمقابلة لاتكون الا بما زاد على الضدين من الأربعة الى العشرة .

والوجه الثاني : أن المقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد" .(٢)

وقد يقترب لونان من البديع فيبين ابن أبي الأصبع مابينهما من فروق دقيقة ، فالاستعارة قد تلتبس بالتشبيه المحض "البليغ" فيوضح مابينهما من فروق فيقول(٣) "ولما كانت الاستعارة تفيد المبالغة في التشبيه التبست بالتشبيه المحض في بعض المواضع فاحتاجت الى الفرق ، وهو أن تعلم أن من حق الاستعارة أن يطوى معها ذكر المستعار "ألبتة فلا يعرف

---

(١) بديع القرآن ٢٤٦-٢٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣١-٣٢ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٦-٢٧ .

الا بدلالة الحال عليه أو فحوى الكلام كقول زهير :

لَدَى أسدٍ شاكِي السِّلاحِ مقذفٍ
له لِبدٌ أظفاره لم تقلمِ

ومن ثم يتناسى البليغ التشبيه عند أخذه فى الاستعارة ويضرب عنه صفحا كقول أبى تمام :

ويصعد حتى يظن الجهول
بأن له حاجة فى السماءِ

ومن هاهنا اختلف العلماء فى قوله تعالى : {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} (١) . فذهب المحققون من علماء البيان الى أن هذا تشبيه بليغ لا استعارة ، لكون المستعار له مذكورا ، وهم المنافقون ، وقال من سماه استعارة :

قد طوى ذكر المنافقين فى الجملة بحذف المبتدأ ونظيره قول الفرزدق للحجاج :

أسدٌ عليَّ وفى الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافرِ

وهذا ليس بشئ ، فان الكلام فى الآية الكريمة قد صدر بأداة التشبيه ، والضمير المضاف اليه فى مثلهم عائد الى المنافقين (٢) .

ويوضح الفرق فى باب التمام بينه وبين التكميل وهو فرق دقيق حيث لم يفطن له أكثر المؤلفين ولم يفرقوا بينهما فيقول فى باب التمام "..... وتعريفه أن تأتى فى الكلام

---

(١) البقرة : ١٧ .
(٢) بديع القرآن ص ٢٧ .

كلمة اذا طرحت من الكلام نقص معناه فى ذاته ، أو فى صفاته ولفظه تام وان كان فى الموزون نقص وزنه مع نقص معناه فيكون الاتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معا ، فان تممت الوزن فقط فتلك من الحشو المعيب ولا يخلو اما أن يرد على معنى تام فى ذاته أو فى صفاته أولا ، فان كان الأول فهو التكميل ، وان كان الثانى فهو التتميم وقد غلط أكثر المؤلفين فى هذا الموضع ولم يفرقوا بين التتميم والتكميل.(١)

ويشير فى موضع آخر الى الفرق بين التكميل والتذييل فيقول "... والفرق بينه وبين التكميل ، أن التكميل يرد على المعنى المفتقر بعد التمام الى التكميل ولا كذلك التذييل : ثم التكميل مختص بمعانى البديع والفنون والتذييل لايختص بشئ من الكلام دون شئ ، فالتذييل أعم .(٢)

وهكذا لن يمر باب بديعى يقترب من باب آخر أو يلتبس به الا وضح ابن أبى الاصبع الفرق بينهما مؤيدا ذلك بالشواهد(٣) النثرية والشعرية وسمة الذوق هى السمة التى استخدمها فى تحليلاته مبينا مواطن الجمال والأسرار والدقائق التى انطوت عليها الأمثلة والتى بينها من خلال تحليلاته التى لاتبتغى بها بدلا ولا تجد عنها حولا .

تلك هى أهم المواضع التى اختلف فيها ابن أبى الاصبع عن السكاكى الذى اعتمد على التقعيد ، والتقسيم .

---

(١) نفس المرجع ص ٤٦ .
(٢) بديع القرآن ص ١٥٥-١٥٦ .
(٣) انظر مثلا ص ٣٧ ، ٤٦ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ١٧٢ ، ... الخ .

## حول اضافات ابن أبى الاصبع

لقد اضطربت آراء الباحثين حول جديد ابن أبى الاصبع ، بل لقد وجد الاختلاف حول مخترعاته لدى باحث واحد .

ففى كتاب حققه رأى أن مبتكراته تسعة عشر نوعا سليمة[1] من التداخل والتوارد ، وفى كتاب آخر من تأليفه[2] أدعى أن الانواع التى سلمت له أربعة عشر نوعا ، وهذا الاختلاف نراه – حين جعل – التشكيك والاستقصاء والقرائن ضمن الأنواع التى سلمت له فى الكتاب الذى حققه فى حين نجده فى كتابه الآخر يحذف الأنواع السابقة ويجعلها ضمن الأنواع المسبوق اليها من السابقين وليست من جديده . وهو كما ترى اضطراب واضح وجلى

وقال باحث آخر أن الأنواع التى سلمت لابن أبى الاصبع ثلاثة عشر نوعا سليمة من التداخل والتوارد[3] . وهى : التمزيج الاستقصاء الهجاء فى معرض المدح – التشكيك – الاسجال بعد المغالطة – النزاهة – التسليم – المراجعة – القول بالموجب – حصر الجزئى والحاقه بالكلى – المناقضة – الفرائد – المقارنة – .

ولما رأيت هذه الاختلافات من قبل الباحثين ، رأيت من المفيد أن أعرض للألوان التى ابتكرها ابن أبى الاصبع جميعها

---

(١) هى على النحو التالى فى بديع القرآن : التمزيج ص ٢٤٦ العنوان ص ٢٥٧ ، الايضاح ص ٢٥٩ ، التشكيك ص ٢٧٩ ، الحيدة ص ٢٨٠ ، الشماتة ص ٢٨٢ ، الاسجال ص ٢٨٦ ، الفرائد ص ٢٨٧ ، الاقتدار ص ٢٨٩ ، السليم ص ٢٩٥ ، الافتتان ص ٢٩٥ ، اثبات الشئ ص ٣٠٣ ، التفريق ص ٣١٣ ، القول بالموجب ص ٢١٤ ، حصر الجزئى ص ٢١٥ ، المقارنة ص ٣١٨ ، الانفصال ص ٣٢٦ ، الابداع ص ٣٤٠ .

(٢) ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة ص ٣٠٧-٣٢٦ .

(٣) الصبغ البديعى لاحمد موسى ص ٣٠٠ .

متحريا فى ذلك الدقة والتمحيص حتى يتسنى لنا أن نعرف ما أضافه من فنون بديعية جديدة دون أن يكون فى تلك الفنون منازعة ما .

(١) التخيير :

وعرفه بقوله "هو أن يأتى الشاعر أو الناثر بفصل الكلام ، أو بيت من الشعر يسوغ أن يقفى بقواف شتى ، فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل يدل اختباره لها على حذقة ، كقول الشاعر :

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن
فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقول ، ماله حال ، ماله نشب ، الى غير ذلك ولكن قوله : "ماله قوت" وجدتها أبلغ من الجميع وأدل على الفاقة وأمس بذكر الحاجة ، وأبين للضرورة وأشجى للقلوب ، وأدعى للاستعطاف ، فلذلك رجحت على كل ماذكرناه (١)

وهذا النوع الأول من ضربى التخيير لو قارنا بينه وبين ماذكره ابن أبى الاصبع فى باب ائتلاف الفاملة مع مايدل عليه سائر الكلام" والذى ذكر فيه "وهو من مخترعات قدامة وسماه من بعده التمكين ، وهو أن يمهد الناثر لسجعه فقرته والشاعر لقافية بيته ، تمهيدا تأتى به القافية متمكنة فى مكانها مستقرة على قرارها ، مطمئنة فى موضعها غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى البيت كله تعلقا

---

(١) بديع القرآن ص ٢٣٣-٢٣٤ .

تاما ، بحيث لو طرحت من البيت لاختل معناه واضطرب مفهومه ، ولا يكون تمكنها . بحيث يتقدم لفظها بعينه في أول صدر البيت .... (١) للاحظنا معناه نفس ماضمنه الضرب الأول من ضربي التخيير فهو يعني أن تكون السجعة أو الفاصلة أو القافية في الشعر دالة على مهارة صاحبها وأنه على بصيرة بالكلام . فهو من الأنواع المتداخلة على ابن أبي الاصبع ولم يسلم له . كما رآه صاحب الصبغ البديعي .

أما النوع الآخر من ضرب التخيير "وهو أن يؤتى (٢) بقطعة من الكلام ، أو بيت من الشعر جملة ، وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير كقوله تعالى : {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} (٣) هذا النوع من التخيير نجده في عبارة قدامة في نقد النثر اذ يقول : "وأما التخيير فكالاقامة مثنى مثنى أو فرادى فرادى وكتخيير الله عز وجل في كفارة اليمين في الطعام أو الكسوة أو تحرير رقبة . (٤)

فالباب ليس لابن أبي الاصبع فيه فضل . بل هو مسبوق اليه كما ترى .

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٦ .
(٣) المائدة : ٨٩ .
(٤) نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر وهو لعبد الله أيوب ص ١٤٧-١٢٨.

(٢) التنظير :

ويعرفه بقوله "أن ينظر الانسان بين كلامين اما متفقى المعانى أو مختلفى المعانى ليظهر الأفضل منهما . مثال الأول قول يزيد بن الحكم الثقفى :

يابدرُ والأمثالُ يضـ
ربها لذى اللب الحكيمُ
دمْ للخليلِ بوده
ماخيرُ ودٍّ لايدومُ
واعرف لجارك حقه
والحقّ يعرفه الكريمُ
واعلم بأن الضيف يو
ما سوف يحمد أو يلوم

فنظر بين هذه الوصايا وبين قوله تعالى : {وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} (٢) "وما جمعت هذه الآية من الوصايا وما حصل فى نظمها من صحة التقسيم لاستيفائها جميع أقسام من تجب الوصية به والاحسان اليه" (٣) ومعنى ذلك أنه يعقد موازنة أدبية بين قرآن وشعر والمقارنة بهذا المعنى تتداخل مع الباب الذى ذكره ابن أبى الاصبع من

---

(١) بديع القرآن ٢٣٨ .
(٢) النساء : ٣٦ .
(٣) بديع القرآن ص ٢٣٩ .
ملاحظة : هذا النوع أعنى التنظير لم يرد ضمن مبتكرات ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير وانما انفرد بذكره فى بديع القرآن .

أبواب البلاغيين التي جعلها فروعا . ونعني به باب الموازنة " اذ يقول في تعريفها "هي مقارنة المعاني بالمعاني ليعرف الراجح في النظم من المرجوح كقول السموءل :

ونُنكِرُ إن شِئنا على الناسِ قولَهُم
ولا يُنكِرُونَ القولَ حِينَ نقولُ

فانك اذا وازنته بقول الله سبحانه وتعالى : {لايُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألونَ} تبين لك مابين الكلامين من الفرق ، وأمثال هذا الكلام كثير ، وهذا أحد وجوه الاعجاز ، وهو قياس القرآن بكل معجزة من الكلام[(١)] .

ولم يسلم هذا النوع لابن أبي الاصبع لتداخله مع باب آخر عده في الفروع وهو الموازنة .

(٣) التدبيج :

عرفه بقوله : "هو أن يذكر المتكلم[(٢)] ألوانا يقصد الكناية بها ، والتورية بذكرها عن أشياء من وصف ، أو مدح أو هجاء ، أو نسيب أو غير ذلك من الفنون أو لبيان فائدة الوصف بها ، كقوله تعالى : {ومِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وحُمرٌ مُختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سُودٌ}[(٣)] .

ثم يقول "وألطف خبء وقع في هذه الآية اشارته سبحانه فيها بقوله تعالى : {مختلف ألوانها} الى مافي الألوان من الوسائط بين مركباتها وهي لاتدخل تحت الحصر فعبر تبارك

---

(١) بديع القرآن لابن أبي الاصبع ص ٩٥-٩٦ .
(٢) بديع القرآن لابن أبي الاصبع ص ٢٤٢ .
(٣) فاطر : ٢٧ .

وتعالى - عنها بعبارة غير حاصرة لها واكتفى بذكر الاختلاف عن تعديد الألوان"[(١)] . وهذا النوع مسبوق اليه من ابن سنان الخفاجي حيث سماه المخالف والحقه بالطباق[(٢)] ، وليس من مستخرجات ابن أبى الاصبع كما يقول ابن حجة الحموى .

(٤) التمزيج :

"وهو أن يمزج المتكلم معانى البديع[(٤)] بفنون الكلام بشرط أن يكون ذلك فى الجملة الواحدة ، أو الجمل من النثر والبيت الواحد من الشعر أو البيوت" ثم وضح أن التمزيج يلتبس بأربعة أبواب من البديع وهى التكميل والافتنان ، والتعليق ، والادماج ، وقد ذكر ابن حجة الحموى التمزيج فى باب الافتنان عرضا وفيه يقول "ذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التمزيج لم ينظمه أصحاب البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فرق دقيق لأن الافتنان لايكون الا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كما تقدم والتمزيج يخالف وهو الجمع بين الفنون والمعانى[(٥)] .

وقد مثل له ابن أبى الاصبع بقوله وقد جاء من هذا الباب فى الكتاب العزيز قوله تعالى : {قل رب أحكم بالحق}[(٦)] "فانها امتزج فيها فنا الأدب والهجاء بمعنى الارداف والتتميم"[(٧)] وأوافق البلاغيين تسليمهم هذا النوع لابن أبى

---

(١) بديع القرآن ص ٢٤٣ .
(٢) سر الفصاحة ص ٢٣٤ .
(٣) خزانة الأدب ص ٥٣٨ .
(٤) بديع القرآن ص ٢٤٦ .
(٥) خزانة الأدب لابن حجة ص ٨٠ .
(٦) الأنبياء : ١١٢
(٧) بديع القرآن ص ٢٤٧ .

الاصبع وأنه من مبتكراته .

(٥) الاستقصاء :

ويعرفه بقوله "وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه[1] فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لايترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا" ومعنى هذا أن ابن أبي الاصبع يعني في هذا الاستقصاء المعنوى في التعبير أو الوصف للتبرير الأدبي ، يقول "كقول البحترى في وصف الابل التي براها السير والسرى وأنضاها مكايدة جذب البرى ، فقال فيها ماأجمع الناس على تقديمه في بابه وهو قوله :

كَالْقِسِيِّ الْمُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْهُمِ
مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ

فان هذا البيت جمع التشبيه ، والتتميم في موضعين ، وحسن النسق ، والتهذيب ، والايغال ...."[2] .

ثم يقول : "واذا نظرت بين بيت البحترى وبين قوله تعالى : {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}[3] علمت مقدار مافي نظم القرآن من البلاغة وتبينت أن الاعجاز فيه بالفصاحة[4]

والمهم أن هذا النوع ذكره محقق بديع

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٧-٢٤٨ .
(٣) البقرة : ٢٦٦ .
(٤) بديع القرآن ص ٢٤٩ .

القرآن من الأنواع التى سلمت للمؤلف ، ثم خالف رأيه هذا فى كتاب آخر "ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة" وقال ".. فهم أن هذا النوع جديد ولم يسبق اليه ، وجعله استقصاء المتكلم المعنى ، والاتيان بجميع لوازمه وأوصافه الذاتية ، بحيث لايترك لمن يتناول الكلام بعد قائله الأول فيه مقالا ، ونسى أن هذا الاستقصاء سببه حسن الصورة ، وائتلاف الألفاظ بعضها مع بعض – كما عرف بهذا الاسم من قبل – هذا الذى يؤدى الى الاحاطة بالمعنى من نواحيه ...." (١) .

ولا أوافق المؤلف فيما ذكر ، ذلك لأن هذا النوع الذى ذكره ابن أبى الاصبع لم يذكره أحد قبله بهذا المعنى ولم يمثل له من قبل ثم ان ماذكره حفنى شرف ليس حجة دامغة حيث ينص عليه بالامثلة والشواهد التى تؤيد ماذهب اليه مع أن مناقضة أقواله مرة يسلمه وأخرى لايسلمه يدل دلالة واضحة على أنه لم يفهم المعنى الصحيح لمعنى الاستقصاء .

ومع ذلك فانى أوافق صاحب الصبغ البديعى أن هذا النوع من مبتكرات ابن أبى الاصبع وليس لأحد سواه فضل اختراعه .

(٦) البسط :

"وهو ضد الايجاز وغير الاطناب . وهو أن يأتى المتكلم الى المعنى الواحد الذى يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ، لا لقصد افهام البليد واسماع البعيد ، والتقرير والتوكيد ، بل للاتيان بمعان من معانى

---

(١) ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة ص ٢٨٨ .

البديع ومعانى النفس لايتأتى مجيؤها فى اللفظ الوجيز" .[(١)]

ومعنى الكلام السابق أنه يقصد بالبسط التفصيل المعنوى النفسى والتفصيل البديعى معا أنظر اليه وهو يقول : "بل للاتيان بمعان من معانى البديع ومعانى النفس لايتأتى مجيؤها فى اللفظ الوجيز وهو شئ لايفيده الاطناب لانه يهدف الى التفصيل فى المعنى أولا وأخيرا .

وهذا يعنى أننا نخالف البلاغيين فى قولهم : "فهذا النوع بعينه الذى يعرف بالاطناب وان فرق بينهما"[(٢)] ونسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع كما يسلمه له ابن حجة الحموى فيقول : "انه من مستخرجات ابن أبى الاصبع"[(٣)] .

(٧) العنوان :

وعرفه بقوله :"هو أن يأخذ المتكلم فيما عرض له من وصف أو فخر أو مدح أو عتاب ، أو هجاء ، أو غير ذلك من الفنون ثم يأتى لقصد تكميله وتوكيده بأمثلة من ألفاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة وقصص سالفة"[(٤)] .

ثم يقول "ومنه نوع عظيم جدا وهو مايكون عنوان العلوم وذلك أن نذكر فى الكلام ألفاظا تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها وقد جاء النوعان معا فى الكتاب العزيز فمن النوع الأول قوله تعالى : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}[(٥)] الى آخر الكلام فان

---

(١) بديع القرآن ص ٢٥١-٢٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥١ الهامش .
(٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٥١٢ .
(٤) بديع القرآن ص ٢٥٧ .
(٥) الأعراف : ١٥٧ .

هذا عنوان قمة بلعام .

ومن النوع الثانى قوله تعالى : {ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُزجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} (١) الآية فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية " (٢) .

وهذا الباب كما يلاحظ غير مسبوق اليه ابن أبى الاصبع ولا يتلاقى مع التلميح كما يقول صاحب الصبغ البديعى (٣) ، اذ الفرق واضح بينهما لذلك نسلمه لابن أبى الاصبع كما يسلمه له محقق بديع القرآن .

(٨) الايضاح :

ويفسره ابن أبى الاصبع بقوله : "وهو أن يذكر المتكلم كلاما فى ظاهره لبس ،ثم يوضحه فى بقية كلامه . والاشكال الذى يحله الايضاح يكون فى معانى البديع من الالفاظ ، وفى اعرابها ومعانى النفس دون الفنون" (٤) .

ومن أمثلة هذا النوع لرفع الاشكال قوله تعالى : {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أنَّى شِئْتُمْ} (٥) فان ظاهر هذه الآية يحتمل اباحة الوطء فى أى محل شاء الزوج من المحلين وفى ذلك من الاشكال مالا يخفى عن ذى عقل ودين ، لكن لما تقدم قوله تعالى : {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ} والحرث موضع البذور ومحل الزرع ورجاء النبت ومظنة النمو والزيادة علم

---

(١) النور : ٤٣ .
(٢) بديع القرآن ص ٢٥٧ .
(٣) الصبغ البديعى أحمد موسى ص ٢٩١ .
(٤) بديع القرآن ص ٢٥٩ .
(٥) البقرة : ٢٢٣ .

أن المراد بقوله : "أنى شئتم ، تخيير الواطئ فى الهيئات التى يأتى أهله عليها فى المحلين فيكون أنى شئتم من الهيئات أو يكون بمعنى متى ، فيكون المعنى متى شئتم من الزمان والله أعلم"(١) .

ولا أوافق صاحب الصبغ البديعى قوله(٢) : "... وغير خاف انطباق هذا النوع بأمثلته على ماعرف باسم التفسير كما أسلفنا ، فهذا النوع مما سبق به وليس له فيه من فضل سوى اطلاق اسم الايضاح عليه بدل التفسير" .

ذلك لأن الفرق واضح بين التفسير والايضاح ، فالتفسير "تفصيل الاجمال"(٣) ، والايضاح رفع الاشكال ذلك لأن المفسر من الكلام لايكون فيه اشكال" كما يقول ابن حجة الحموى . ومعنى هذا أنا نسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع كما يسلمه له أيضا محقق بديع القرآن .

(٩) التشكيك :

وهو أن يأتى المتكلم فى كلامه بلفظة(٤) تشكك المخاطب هل هى حشو ، أو أصلية لا غنى للكلام عنها ، مثل قوله تعالى : {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}(٥) "فان لفظة بدين الجار والمجرور تشكك السامع هل هى فضلة ؟ اذ لفظة ، تداينتم" تغنى عنها أم هو يحتاج

(١) بديع القرآن ص ٢٧٠ .
(٢) الصبغ البديعى أحمد موسى ص ٢٩١-٢٩٢ .
(٣) خزانة الأدب لابن حجة ص ٤٠٩ .
(٤) بديع القرآن ص ٢٧٩ .
(٥) البقرة : ٢٨٢ .

اليها والجواب أنها أصلية ، لأن لفظة الدين لها محامل فى اللسان تقول : داينت فلانا المودة يعنى جازيته ..." .[1]

فلفظة بدين شككتنا ثم انتهت بنا الى مرحلة يقينية وهى أنها لازمة وليست بحشو ولافضلة " .

وابن أبى الاصبع يذكر بعد نوعا تستعمل فيه "أو" أداة للتشكيك لا للاباحة ولا التى للتخيير مثل قوله تعالى : {أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء} .

وهذا النوع وان عرض له ابن رشيق فى كتابه ، سلم للمؤلف ذلك لان كلمة معنى التشكيك عند ابن رشيق هو مايعرف عند ابن المعتز بتجاهل العارف أما عند ابن أبى الاصبع تختلف عن هذا المفهوم السابق . لذلك نسلم هذا النوع لابن أبى الاصبع كما سلمه له محقق بديع القرآن .

(١٠) الحيدة والانتقال :

وهو باب يهدف الى الحيدة عن مرحلة جدلية والانتقال الى أخرى ينقطع فيها الخصم ويبهت ، يعرفه ابن أبى الاصبع بقوله : "وهو ان يجيب المسئول بجواب لايصلح أن يكون جوابا[2] عما سئل عنه أو ينتقل المستدل الى الاستدلال غير الذى كان أخذا ، فيه وانما يكون هذا بلاغة اذ أتى به المستدل بعد معارضته بما يدل على أن المعارض لم يفهم وجه استدلاله ، فينتقل عنه الى استدلال يقرب من فهم الخصم يكون فيه قطعه عن المعارضة ، فيكون استدلاله الأول محتملا للمعارضة ،

---

(١) بديع القرآن ص ٢٧٩ .
(٢) ابن أبى الاصبع ص ٢٨٠ .

واستدلاله الثانى لايحتمل مايبطله بوجه صحيح ولا بوجه سقيم كما جاء فى مناظرة الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - مع الجبار لما قال له الخليل "رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ"(١) فقال الجبار : "أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ" ثم دعا من وجب عليه القتل فأعتقه ومن لايجب عليه فقتله فعلم الخليل - عليه السلام - أنه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل - صلوات الله عليه - الى استدلال لايجد الجبار له وجها يتخلص منه فقال : {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} فانقطع الجبار وكان منه ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عنه حيث قال "فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرْ"(٢)

ويعد هذا النوع ضمن الأنواع التى سلمت ولم يسبق اليه أحد من البلاغيين الذين تقدموه كما يسلمه له أيضا محقق الكتاب .

(١١) الشماتة :

باب أدبى فنى يعمد الى اشتشفاف المعنى النفسى القائم بالنص لم يشرحه ابن أبى الاصبع وانما أورد أمثلة له منها قوله سبحانه تعالى : {آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ}(٣) وقوله تعالى : {هَذَا مَاكَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَاكُنتُمْ تَكْنِزُونَ}(٤) .

ويقول احد الباحثين : "... فبذلك تكون الشماتة

---

(١) البقرة : ٢٥٨ .
(٢) بديع القرآن ص ٢٨٠-٢٨١ .
(٣) يونس : ٩٠ .
(٤) التوبة : ٣٥ .

بتعريف المؤلف لها وهو قوله : "اظهار المسرة بمن نالته محنة أو أصابته نكبة "جديد من المؤلف" ويكون تحسينها معنويا لأنها أمر نفسى يعترى المتكلم ، فيعبر بما يفيد معناها "[1] .

وأقول ان هذا النوع قريب من التهكم ويلتبس به بل ان بعض الأمثلة التى أوردها تنطبق على التهكم كقوله : {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[2] ولا أرى أن هذا النوع سلم للمؤلف الا اسمه اما مضمونه فهو من قبيل الاستعارة التهكمية .

(١٢) باب التهكم :

وهو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة[3] فى موضع النذارة ، والوعد فى مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له ، واستهزاء به كقوله تعالى : {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[4] وقوله تعالى : {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[5] .

وهذا النوع هو ماعرف عند البلاغيين المتقدمين باسم الاستعارة التهكمية وقد تكلم عنه الامام جار الله الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ عند تفسير قوله تعالى : {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}[6] فقال : "ان المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه – فى زعمه – من أمر الله على سبيل التهكم"[7] ومعنى ذلك أن هذا النوع مسبوق

---

(١) ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة ص ٣١٥ .
(٢) الدخان : ٤٩
(٣) بديع القرآن ص ٢٨٣ .
(٤) النساء : ١٣٨ .
(٥) الدخان : ٤٩ .
(٦) الرعد : ١١ .
(٧) الكشاف للزمخشرى ص ٢٧٢ .

اليه لفظا ومعنى ومعروف قبله . وليس له فى هذا الباب فضل ابتكار .

(١٣) التندير :

وحده بقوله : "هو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستظرفة وهو يقع فى الجد والهزل ومن لطيف ماجاء منه فى الجد وبديع قوله تعالى : {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}(٢) وهو من أمثلة المبالغة من نصه هو حيث يقول : "انظر الى مبالغته سبحانه وتعالى فى وصف المنافقين بالجبن والخوف ، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف "تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ" ولم يرد ذكر التنديرفى النص اذن فلا التهكم ولا التنديرمن مخترعات ابن أبى الاصبع ونخالف ابن حجة الحموى اذ يذكر أن التهكم من مخترعات ابن أبى الاصبع ولم يره فى كتب السابقين من أئمة البديع ، ويقول : "انه أزال بكارة أشكاله وكان أبا عذرته وأرضع الأذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته "(٤) .

(١٤) الاسجال بعد المغالطة :

وعرفه بقوله(٥) : "هو أن يقصد المتكلم غرضا من ممدوح فيأتى بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض اسجالا منه على الممدوح

---

(١) بديع القرآن ص ٢٨٥ .
(٢) الأحزاب : ١٩ .
(٣) بديع القرآن ص ٢٨٥ .
(٤) خزانة الأدب لابن حجة ص ١٢٣ .
(٥) بديع القرآن ص ٢٨٦ .

به ، وبيان ذلك أن يشترط شرطا يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يخبر بوقوعه مغالطة ، وان لم يكن قد وقع بعد ليقع المشروط ..." وهذا القسم أعنى مايكون فيه مغالطة يقع فى الشعر وغيره من كلام البشر ولايقع فى الكتاب العزيز ومن أمثلته :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَمَا عِنْدِي لَهُ عُدَدُ
إِلَّا ارْتِعَادِي وَتَصْفِيقِي بِأَسْنَانِي
فَإِنْ هَلَكْتُ فَمَوْلَانَا يُكَفِّنُنِي
هَبْنِي هَلَكْتُ فَهَبْنِي بَعْضَ أَكْفَانِي

وقد يقع مغالطة وذلك فى الكتاب العزيز كقوله : {رَبَّنَا آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ}(١) .

وقد عد البلاغيون هذا النوع من مبتكرات ابن أبى الاصبع السالمة له وأوافقهم فى ذلك فهو لم يسبق اليه فله الفضل فى اختراعه .

(١٥) الفرائد :

ويقول(٢) : "وهو مختص بالفصاحة دون البلاغة ، لأنه عبارة عن اتيان المتكلم فى كلامه بلفظة "تنزل منزلة" الفريدة من حب العقد وهى الجوهرة التى لانظير لها تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته ، وجزالة منطقه ، وأصالة عربيته بحيث تكون هذه اللفظة اذا اسقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها ، وقد جاء من ذلك فى الكتاب العزيز غرائب لايقع مثلها لمخلوق

---

(١) آل عمران : ١٩٤ .
(٢) بديع القرآن ص ٢٨٧ .

فمن قوله تعالى : {الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ}(١) وقوله سبحانه : {فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجيا}(٢) فألفاظ هذه الجملة كلها من هذا الباب وأجزلها قوله تعالى : {استيأسوا} وأفصحها قوله سبحانه {خلصوا نجيا} وقل أن تجتمع الفصاحة والبلاغة فى جملة من هذا الباب الا فى هذه الجملة ، فان هاتين اللفظتين تضمنتا مع الفصاحة الايجاز" .

ولست أدرى كيف يناقض نفسه محقق بديع القرآن ففى بديع القرآن يسلم هذا النوع للمؤلف وهو على حق - وفى كتابه الآخر يقول بأنه مسبوق اليه ويعلل تعليلا واهيا لاقيمة له حيث يقول : "... أنه يقصد بالفرائد أن تكون اللفظة فريدة فى دلالتها على معناها أى لايقوم غيرها مقامها فى هذه الدلالة ، وبذلك يكون باب ائتلاف اللفظ مع معناه أولى بباب الفرائد"(٣) .

ثم يقول : أما اذا كان المؤلف يقصد بفصاحة اللفظ فى اللغة والاستعمال فهذا قد سبقه غيره اليه أمثال ابن سنان الخفاجى وابن الأثير اللذين تكلما كثيرا عن فصاحة اللفظة مفردة ومركبة"(٤) .

ولو رجعنا الى تعريف باب ائتلاف اللفظ مع معناه وجدناه يقول : "وتلخيص تفسير هذه التسمية أن تكون : ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها غير لائقة بمكانها وكلها موصوف بحسن الجوار ..."(٥).

---

(١) يوسف : ٥١ .
(٢) يوسف : ٨٠
(٣) (٤) ابن أبى الاصبع بين رجال البلاغة ص ٢٩٦ .
(٥) بديع القرآن ص ٧٧ .

وبهذا يتضح لك الفرق ونسلم هذا الفن لابن أبى الاصبع وله الفضل فى ابتكاره .

(١٦) الاقتدار :

ويهدف الباب الى القوة الفنية وبين معناه قول ابن أبى الاصبع : "وهو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدة صور اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه ، وعلى صياغة قوالب المعانى والأغراض ، فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة وطورا يبرزه فى صور الارداف وآونة يخرجه مخرج الايجاز ، وحينا يأتى به فى ألفاظ الحقيقة كقول امرئ القيس : (١)

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عَلَيَّ بأنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فقلـتُ لَـهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِه
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ثم أتى بهذا المعنى بعينه فقال :

فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مقار القتل شدت بيذيل

يقول : "فان ملخص معنى هذا البيت "فيالك من ليل طويل فبسط الصفة ليحصل من البسط ماحصل من التشبيه الدال على سير النجوم ، ليدل بذلك على طول الليل ثم أخرج هذا المعنى بلفظ الارداف فقال :

---

(١) بديع القرآن ص ٢٨٩ .

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِى مَصَامِّهَا
بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ (١)

وهكذا يهدف ابن أبى الاصبع فى هذا الباب الى ابراز معنى فى معارض فنية مختلفة الصور متباينة القسمات .

ويبدو لى أن هذا النوع مما سلم للمؤلف ، كما يقول محقق بديع القرآن .

(١٧) النزاهة :

وهذا الباب يوضح معناه فيقول (٢) : "وهو مختص غالبا بالهجاء وان وقع نادرا فى غيره من الفنون ، فانه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره من الفحش حتى يكون الهجاء كما قال فيه أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء فقال : هو الذى اذا انشدته العذراء فى خدرها لايقبح عليها مثل قول جرير :

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جُمِعَتْ أَحْسَابُهَا
يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالا"

فأبو عمرو بن العلاء كما أشار ابن أبى الاصبع يفضل الهجاء غير ذى السباب والافحاش وكذلك تأثيره ابن أبى الاصبع فى ذوقه ، غير أن ابن أبى الاصبع جعل من النزاهة فى الهجاء بابا بلاغيا يجتلب له الشواهد شعرا وقرآنا ولم يقصره على الهجاء وحده ، وكم من بلاغى لحق بأبى عمرو بن العلاء على مر العصور ولم يجعل من النزاهة بابا بلاغيا ، انا لنسلم لابن

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٢ .

أبى الاصبع الباب فله فضل التسمية وتوسيع معنى الباب واجتلاب الشواهد وعده من أنواع البديع ولا نوافق محقق بديع القرآن على ما اعترض به من أن ابن أبى الاصبع مسبوق فى هذا الباب بأبى عمرو بن العلاء فهذا سئل عن ذوقه فأجاب أما الأول فاعتد من المحاسن البديعية أن يتنزه الهجاء عن ألفاظ السباب والفحش وهو فى صيغته هذا غير مسبوق .

(١٨) التسليم :

وهو أحد وسائل الاقناع الجدلى ويفسره ابن أبى الاصبع بقوله[1] : "وهو أن يفرض المتكلم فرضا محالا اما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون ماذكره ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله سبحانه : {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ}[2] .

وخلاصة معنى هذا الكلام أن ليس مع الله اله ، وكأن قائل ذلك قال : لو سلمنا أن معه سبحانه الها للزم من ذلك التسليم ذهاب كل اله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم فى العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض إلٰهين فصاعدا محال - لما يلزم منه من المحال"[3] .

وعندى أن هذا النوع لم يسبق اليه ابن أبى الاصبع فهو

---

(١) بديع القرآن ٢٩٥ .
(٢) المؤمنين : ٩١ .
(٣) بديع القرآن ص ٢٩٥ .

مسلم له كما يسلمه له صاحب المبغ البديعي ومحقق بديع القرآن .

(١٩) الافتنان :

باب أدبي يضم فنين متضادين أو مختلفين أو متوافقين وهو "أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنين اما متضادين أو مختلفين أو متوافقين" (١) .

وقد جاء في الكتاب العزيز : "من هذا الافتنان نوع غريب وهو الجمع بين التعزية والفخر وذلك في قوله تعالى : {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢) فان سبحانه عزى جميع المخلوقات من الانس والجن وسائر أصناف الحيوانات ومن مشى على الأرض من كل من قابل الحياة وملائكة السموات ، وتمدح بالانفراد بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات ، مع وصفه سبحانه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والاكرام وحق له سبحانه" (٣) .

وهذا النوع "وان كان يلتبس بالادماج الا أن الادماج تضمين المتكلم للكلام معنى آخر بشرط ألا يصرح به ولا يشعر في كلامه بأنه مسبوق لأجله بخلاف الافتنان" (٤) .

ولا أوافق صاحب المبغ البديعي على أن هذا النوع ينطبق على الادماج والفرق كما أسلفت ، إذن فلنسلم هذا النوع لابن أبي الاصبع كما يسلمه له محقق بديع القرآن .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩٥ .
(٢) الرحمن : ٢٦-٢٧ .
(٣) بديع القرآن ص ٢٩٩ .
(٤) هامش بديع القرآن ص ٢٩٥ .

(٢٠) المراجعة :

ويفسره ابن أبى الاصبع بقوله (١) : "هو أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول جرت بينه وبين محاور له فى الحديث أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة وأبلغ اشارة وأرشق مجاورة وأعدل سبك وأسهله وأعذب ألفاظ وأجزلها اما فى بيت واحد أو أبيات أو جملة واحدة أو جمل ومن شواهده الشعرية قول عمر بن أبى ربيعة المخزوى :

بَيْنَمَا يَنْعَتْنَنِى أَبْصَرْنَنِى
مِثْلَ قِيدِ الرُّمْحِ يَعْدُو بِيَ الأَغَرُّ

قَالَتِ الْكُبْرَى تَرَى مَنْ ذَا الْفَتَى
قَالَتِ الْوُسْطَى لَهَا هَذَا عُمَرُ

قَالَتِ الصُّغْرَى وَقَدْ تَيَّمْتُهَا
قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

ومن شواهده فى الكتاب العزيز : {قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ} (٢) .

ولم يسلم البلاغيون ، هذا الباب لابن أبى الاصبع فهذا ابن حجة الحموى يقول : "المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوضل الى حكم فى البديع مانظمتها فى أسلاك أنواعه وذكر ابن أبى الاصبع أنها من اختراعاته ، وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الانواع البديعية الغريبة كالتهكم والافتنان والتدبيج والهجاء فى

---

(١) بديع القرآن ص ٣٠٠ .
(٢) البقرة : ١٢٤ .

معرض المدح والاشتراك والالغاز ، والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع – أعنى المراجعة – السؤال والجواب"(١) .

(٢١) اثبات الشئ للشئ بنفيه عن غير ذلك الشئ :

وهو باب يهدف الى استخدام المهارة الجدلية فى التعبير فى فنون المدح والاخبار ... ويفسره "وهو أن يقصد المتكلم أن يفرد انسانا بصفة مدح لايشركه فيها غيره فينفى تلك الصفة فى أول كلام عن جميع الناس ويثبتها له خاصة كقول الخنساء فى أخيها صخر :

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلاً
مِنَ الْمَجْدِ إِلاَّ وَالَّذِى نِلْتَ أَطْوَلُ

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ لِلنَّاسِ مِدْحَةً
وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلاَّ الَّذِى فِيكَ أَفْضَلُ

ويسلم البلاغيون هذا الباب لابن أبى الاصبع وأوافقهم فى ذلك فله الفضل فى اختراعه .

(٢٢) باب الزيادة :

وهى التى تفيد اللفظة فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا وتمييزا لمدلوله عن غيره :

هذا الباب أراه مسبوقا اليه حتى انه لايفسر هذا الباب وانما يكتفى بتسميته ثم يعقبه بالشواهد وهذا الباب بعينه أحد أنواع التكميل وقد حدثنا ابن أبى الاصبع عنه فى باب

---

(١) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ١٤٤

التمام من أبواب البلاغيين السابقين .. قال مفرقا بين التكميل والتتميم : "... ولا يخلو اما أن يرد على معنى تام فى ذاته أو فى صفاته أولا ، فان كان الأول فهو التكميل وان كان الثانى فهو التتميم" (١) .

والأمثلة التى وردت فى بابى التكميل ، والزيادة التى تفيد اللفظ فصاحة ... أمثلة متداخلة فلا فضل لابن أبى الاصبع فى اختراع الزيادة لانه قديم مسبوق اليه .

(٢٣) الابهام :

وحده بقوله : "وهو أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متغايرين لايتميز أحدهما عن الآخر ، والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب أن الاشتراك لايقع الا فى لفظة مفردة لها مفهومان لايعلم أيهما أراد المتكلم ، والابهام لايكون الا فى الجمل المؤتلفة المفيدة ويختص بالفنون كالمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والفخر والرثاء والنسيب وغير ذلك ولا كذلك الاشتراك" .

ومنه نوع آخر يقع لأحد أمرين : اما لجودة الخاطر ، واما لامتحان قوة الايمان من ضعفه ، ثم ساق لها الامثلة .

ومحقق بديع القرآن يزعم أن السكاكى سبقه الى هذا الباب ، ولو رجعنا لمفتاح السكاكى تحت اسم التوجيه لوجدناه يقول : "التوجيه وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من قال للأعور ليت عينيه سواء وللمتشابهات من

---

(١) بديع القرآن ص ٤٦ .
(٢) بديع القرآن ص ٣٠٦-٣٠٧ .

القرآن مدخل فى هذا النوع باعتبار" .(١)

ومعنى ذلك أن ابن أبى الاصبع يقصد بالابهام المعنى الذى ذكره السكاكى وان كان يفصل فيه فنيا ثم يردفه بنوع ثان لم يذكره السكاكى .

هذا الى أن ابن أبى الاصبع لم يتصل بكتاب السكاكى ولم يرجع اليه والا لأورده فى مراجعه ، لهذا فنحن لانوافق محقق البديع على نزاعه فى اختراع ابن أبى الاصبع لباب الابهام لأسباب لعل من أهمها أن له فضل التسمية ثم جاء بنوع آخر لم يذكره السكاكى ، ولم يتصل ابن أبى الاصبع بالسكاكى ولم يذكره كذلك ضمن مراجعة التى رجع اليها فالباب مسلم له فى رأينا .

(٢٤) باب التفريق والجمع :

ويعرفه بقوله : "وهو أن يفرق المتكلم بين كلامين مرتبطين متلاحمين بكلام يتلو به الأول من كلامه ، يوهم السامع أنه غير مرتبط ليفيد بذلك معنى لايفيده الكلام لو جاء على مقتضى النظم وترتيبه ، ثم يعود فيجمع ماتفرق من الكلام بما كان يجب أن يقدم لتأهيله لنفع الأول وملاءمته له ، وارتباطه به ، وكونه فى الظاهر لايصلح أن يجاوزه غيره" .(٢)

كقوله تعالى : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً}(٣) .

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٢٢٦ .
(٢) بديع القرآن ص ٢١٣ .
(٣) الأنعام : ٤٢-٤٤ .

ثم يقول : "ومقتضى حسن الجواب فى النظم أن يقول هاهنا : أخذناهم بغتة فأوهم ظاهر النظم أن قوله : "فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ بعد قوله : "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ" غير ملائم ، وأن الأليق أن يقال : أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ولو جاء النظم على توهم السامع لحصل الاخلال بما أفاده الفصل من المعانى لأن الاخبار بفتح أبواب كل شئ عقيب معاملتهم بما يبطل أعذارهم ، وينبئهم بأمر معاصيهم ، ويسلكهم فى خير الكتب المنزلة من الله ـ المتضمنة الوعيد بأخذهم من وسط ما أستدرجهم به من النعم ، لتكون من المحبة أشد ، وألم الأخذ أعظم والعذاب أشق ، ثم قال بعد الاخبار بفتح أبواب النعيم العميمة وأخذناهم ، فاجتمع ماتفرق من الكلام وانتظم ما أنفصم من ذلك النظام وهذا سر من أسرار البلاغة ، ولا يهتدى اليه الا أهله" (١) .

وقد نقلت كلام ابن أبى الاصبع فى هذا الموضع كله ، ذلك لأنه كلام جيد ونفيس وجدير بالقبول والاعجاب .

ونسلم هذا النوع ضمن مبتكراته التى عدها كما يسلمه له محقق البديع .

(٢٥) باب القول بالموجب :

وفى تفسيره يقول : "هو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام (٢) فيعمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبنى عليها من كلامه مايوجب عكس معنى المتكلم ، لأن حقيقة القول

---

(١) بديع القرآن ٣١٣-٣١٤ .
(٢) نفس المرجع ص ٣١٤ .

بالموجب رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه " .

ومنه قول ابن حجاج :

قُلْتُ : ثَقَّلْتُ إذا أتَيْتُ مِرَارًا

قَالَ ثَقَّلْتَ كاهلى بالأيادى

قُلتُ : طَوَّلْتُ قَالَ لِى بَلْ تَطَوَّلْـ

ـتَ وأبْرَمْتَ قالَ حَبْلَ ودادى

ورأى لابن أبى الاصبع فضل ابتكار لهذا الباب ، ولم يسبق اليه ، قال صاحب الايضاح والقول بالموجب ضربان :

"أحدهما : أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شئ ، أثبت له حكم فثبت فى كلامك تلك الصفة كلام لغير ذلك الشئ من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}(١) فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الاخراج ، فأثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم"(٢) .

والثانى : "حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه " .

وهذا الذى يعنيه ابن أبى الاصبع وهو مايعرف بالاسلوب الحكيم وقد مثل له صاحب الايضاح بمثال ابن أبى الاصبع السابق الذكر .

---

(١) المنافقين : ٨ .

(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة : لعبد المتعال الصعيدى ص ٦٩ .

(٢٦) باب حصر الجزئي والحاقه بالكلى :

ويعرفه بقوله : "هو أن يأتي المتكلم الى نوع[1] مافيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الأنواع منه والأجناس" كقوله تعالى : {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[2] فانه سبحانه وتعالى بعد اخباره بأن عنده مفاتح كل غيب اذ اللام للجنس هاهنا مجملا فى القول ، تمدح بأنه يعلم مافى البر والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد وحاصر الكليات والمولدات ، ورأى سبحانه أن الاختصار على ذلك لايكمل به معنى التمدح ، لاحتمال أن يظن ضعيف أنه يعلم الكليات دون الجزئيات ، فان المولدات الثلاث ، وان كانت جزئيات بالنسبة الى العالم فكل واحد منها كلى بالنسبة الى ماتحته من الاجناس المتوسطة والأنواع وأصنافها . فقال لكمال التمدح "ماتسقط من ورقة الا يعلمها" ، وعلم أن علم ذلك قد يشاركه فيه من مخلوقات كل من خلق له ادراكا ، وهداه الى طريق ذلك فشارك فيه ، فتمدح سبحانه بما لايشارك فيه بقوله : {وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ} ثم ألحق الجزئيات بعد حصرها بالكليات حيث قال : {وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ}[3] .

وقد سلم البلاغيون . وأوافقهم القول هذا النوع لابن أبى الاصبع فهذا ابن حجة يقول : "هذا النوع الغريب اخترعه

---

(١) بديع القرآن ص ٣١٥ .
(٢) الأنعام : ٥٩ .
(٣) بديع القرآن ص ٣١٦ .

الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع"[(١)] ثم يقول : وهذا النوع صعب المسالك فى نظمه عزيز الوقوع والتحميل"[(٢)] .

(٢٧) باب المقارنة :

باب أدبى يفسره ابن أبى الاصبع بقوله[(٣)] : "هو أن يقترن بديعان فى كلمة من الكلام ، والفرق بين هذا الباب وباب الابداع عبارة عن الاتيان ببديعين فصاعدا فى الكلمة المفردة من غير اقتران"

ومن أمثلة ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى : {وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}[(٤)] "فانه قد اقترن فى لفظين من هذه اللفظات ضربان من البديع ـ التنكيت والمبالغة مقترنة به لقائل أن يقول : ما النكتة التى رجحت اختصاص الظهور بالحل دون الرؤوس ؟ فيقال : النكتة فى ذلك الاشارة الى ثقل الأوزار ، لأن الظهور أحمل للثقل من الرؤوس، ومايلزم من ذكر الظهور عجز الرؤوس من حمل هذه الأوزار من المبالغة فى ثقلها مقترنا بالتنكيت ... "[(٥)] .

ومن شواهده الشعرية قول ادريس بن اليمان :

وَكُنْتَ إِذَا اسْتُنْزِلْتَ مِنْ جَانِبِ الرِّضَى
نَزَلْتَ نُزُولَ الْغَيْثِ فِى الْبَلَدِ الْمَحْلِ
وَإِنْ هَيَّجَ الْأَعْدَاءُ مِنْكَ حَفِيظَةً
وَقَعْتَ وُقُوعَ النَّارِ فِى الْحَطَبِ الْجَزْلِ

(١) خزانة الأدب لابن حجة ص ٣٧١ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧١ .
(٣) بديع القرآن ص ٣١٨ .
(٤) الأنعام : ٣١ .
(٥) بديع القرآن ص ٣١٨ .

ومن قول الشاعر :

لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى نَزَعْنَا عَشِيَّةً
وَقَدْ مَاتَ شَطْرُ الشَّمْسِ وَالشَّطْرُ مُدْنَفُ

فقد قرن فى هذا البيت الارداف بالاستعارة ، لأنه عبر عن الغروب بموت شطر الشمس فى أوائل العجز وهذا هو الارداف ، واستعار للشطر الآخر الدنف وهو شدة المرض فى آخر العمر ، وهذا بليغ حيث أتت المقارنة منه فى قسم واحد من البيت"(١) .

ثم يقول "ومن المقارنة قسم آخر ، وهو مايقرن الشاعر به شعره من شعر غيره وهو عكس الابداع"(٢) .

وهذا النوع أراه من ابتكارات ابن أبى الاصبع ولم يسبق اليه كما أشار بذلك محقق البديع وصاحب الصبغ البديعى .

(٢٨) باب الرمز والايماء :

"وهذا الباب فحواه أن يريد المتكلم اخفاء مافى كلامه مع ارادته افهام المخاطب ماأخفاه فيرمز له فى ضمنه رمزا يهتدى به الى طريق استخراج ماأخفاه فى كلامه ، والفرق بينه وبين الوحى والاشارة أن المتكلم فى باب الوحى والاشارة لايودع كلامه شيئا يستدل منه على ماأخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره بل يوحى مراده وحيا خفيا لايكاد يعرفه الا أحذق الناس فخفاء الوحى والاشارة أخفى من خفاء الرمز والايماء"(٣) وحاصل كلامه أن الوحى والاشارة أخفى من خفاء الرمز والايماء وهى

---

(١) بديع القرآن ص ٣٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢١ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٢١ .

مصطلحات متداخلة بعضها ببعض ولذلك فان ابن رشيق جعل الرمز فرعا من أنواع الاشارة (١) وهذا يعني أنه مسبوق بهذا الباب من ابن رشيق وان جعل الرمز بابا مستقلا بذاته فليس له فضل ابتكار له .

(٢٩) باب المناقضة :

يقول في تعريفها (٢) :

(أ) "وهو تعليق الشرط على نقيضين :

ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق على عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه في الظاهر ، اذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين .

ومثال ذلك قول النابغة الذبياني :

وإنَّكَ سوفَ تحلُمُ أو تناهَى

إِذَا ماشِبْتَ أو شابَ الغرابُ

فانه علق حلم المخاطب على شيبه وهو ممكن ، وعلى شيب الغراب وهو مستحيل ، ومراده شيب الغراب لأن حاصل مقصوده قوله : انك لاتحلم حتى يشيب الغراب والغراب لايشيب أبدا فأنت لاتحلم أبدا ، والفرق بين هذا الباب وبين باب نفي الشئ بايجابه ، أن هذا الباب ليس فيه لفظ نفي ولا ايجاب ، ونفي الشئ بايجابه ليس فيه شرط ولا معنى شرط . ثم يقول

(ب) ومن المناقضة :

معنى آخر يرجع أصله الى الأول ، وهو أن يأتي المتكلم

---

(١) العمدة لابن الرشيق ص ٢٧٤ .
(٢) بديع القرآن ص ٣٢٣-٣٢٤ .

فى لفظ الوعد بما يدل على الوعيد ، فيسر المخاطب ويسوءه فى وقت واحد بكلام واحد ، فيتوجه على ذلك اللفظ اشكال يوضحه مابعده ، ومثال هذا النوع :

قوله تعالى : {إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}(1)

فقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا وعد ، ووصف كشف العذاب بالقلة وعيد . ففى هذا الكلام مايسر وما يسوء فى حال واحدة وكلام واحد ..."(2) .

ثانيا : ومن المناقضة نوع آخر : وهو مناقضة المتكلم غيره فى معنى ما ، كمناقضة ابن حجاج دريد بن الصمة قوله :

صَبَا مَاصَبَا حَتَّى علا الشَّيْبُ رَأْسَهُ
فَلَمَّا عَلاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أَبْعِدِ

فقال ابن حجاج :

لَاتَغْتَرِرْ بِمَشِيبِهِ
فَالشَّيْخُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

ولا يسلم محقق البديع هذا الباب لابن أبى الاصبع لأنه قد سبقه اليه ابن منقذ فى بديعه حيث تكلم عنه تحت اسم المعارضة والمناقضة ويقول عنها : "وهو أن يناقض الشاعر كلامه أو يعارض بعضه بعضا "(3) .

ومن شواهده قول أبى نواس :

كَأَنَّ بَقَايَا مَابَقَى مِنْ حَبَابِهَا
تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِى سَوَادِ عِذَارِ

فشبه الحباب بالشيب والحمرة بالعذار ثم قال :

---

(1) الدخان : ١٥ .
(2) بديع القرآن ص ٣٢٤ .
(3) بديع ابن منقذ ص ٨٧ .

تَرَوَّتْ بِهِ ثُمَّ انفرى عَنْ أَدِيمِها
تَفَرِّى لَيْلٍ عَنْ بَيَاضِ نَهَارِ (١)

فناقض الذى جعله كالنهار ثم رجع فصيره أسود كالليل وجعله أبيض كالنهار وبمقارنة ماجاء فى بديع ابن منقذ به فى بديع ابن أبى الاصبع نلاحظ عند ابن أبى الاصبع مناقضة ظاهرية متعمدة لغرض معنوى مقصود ، فى حين نجدها عند ابن منقذ حلية لفظية ولم يقصد اليها الشاعر قصدا وتعد عيبا وقع فيه ثم هناك ضرب ينفرد به ابن أبى الاصبع من المناقضة وهو أن يخالف شاعر أو كاتب معنى أدبيا لآخر غيره .

وننتهى الى أن الباب كله مسلم لابن أبى الاصبع كما يسلمه له صاحب الصبغ البديعى .

(٣٠) باب الانفصال :

ويفسره بقوله : "هو أن يقول المتكلم كلامه يتوجه عليه (٢) فيه دخل ، فلا يقتصر عليه حتى يأتى بما ينفصل به عن ذلك اما ظاهرا أو باطنا يظهره التأويل كقوله تعالى فى القسم الثانى منه : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} (٣) فإن لقائل أن يقول جملة قوله تعالى : يطير بجناحيه لافائدة فى الاتيان بها ظاهرا اذ كل طائر يطير بجناحيه وهذا اخبار بمعلوم . والانفصال عن ذلك أن يقال : انه سبحانه وتعالى أراد وهو أعلم أن يدمج فى هذا الخبر النهى عن قتل الحيوان الذى لايؤذى عبثا بدليل قوله تعالى :

---

(١) بديع ابن منقذ ص ١٥٢-١٥٣ .
(٢) بديع القرآن ص ٣٢٦ .
(٣) الانعام : ٣٨ .

"إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ" ففى مساواته بين ذلك وبين المكلفين فى قوله تعالى أمم أمثالكم - اشارة الى أن الانسان يدان بما يفعله مع كل جسم قابل للحياة ... " .

وهذا النوع لم يسبق اليه وانما له الفضل فى ابتكاره وقد سلمه له محقق بديع القرآن .

(٣١) باب الابداع :

وهو من مبتكرات ابن أبى الاصبع ويعرفه بقوله (١) : "وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعا أو بديعين بحسب قوة الكلام ، وما يعطيه معناه بحيث يأتى فى البيت الواحد والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع ، ولا تخلو لفظة منه من بديع ، ثم يقول وما رأيت ولا رويت فى الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من البديع وعددها سبع عشرة لفظة وهو قوله تعالى : {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٢) .

وقد سبقت الاشارة اليها فى موطن التحليل ولا حاجة لاعادة ماجاء عنها .

(٣٢) حسن الخاتمة :

وهذا الباب أراه مسبوقا اليه من القاضى أبى الحسن

(١) بديع القرآن ص ٣٤٠ .
(٢) هود : ٤٤ .

الجرجاني عندما قال : "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلاك والتخلص وبعدهما الخاتمة فانها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء" (١) .

وقد عقد ابن رشيق في كتابه بابا للمبدأ والخروج والنهاية وقال في النهاية وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر مايبقى منها في الاسماع وسبيله يكون محكما ... " (٢) .

وبعد فنلخص من هذا العرض السابق لمبتكرات ابن أبي الاصبع أن مجموع الأنواع التي سلمت له بعد المناقشة اثنان وعشرون بابا وهي على النحو التالي : التمزيج ، والاستقصاء والبسط ، والعنوان ، والايضاح والتشكيك ، والجيدة والانتقال والاسجال بعد المغالطة ، والفرائد والاقتدار ، والنزاهة ، والتسليم ، والافتنان ، واثبات الشئ للشئ بنفسه والابهام ، والتفريق والجمع ، وحصر الجزئي والحاقه بالكلي ، والمقارنة والانتقال ، والابداع ، والقول بالموجب ، والمناقضة .

تلك هي الأنواع التي سلمت له ، بعد العرض والتحليل وان كان صاحب كشف الظنون نوه (٣) الى أن ابن أبي الاصبع قد سبق الى ثلاثين لونا سلم له منها عشرون واعتل عليه باقيها ولم يتبين السالم من المعتل . فاعتمدت على ماعندي من مصادر فحكمت على تسعة أنواع له بالتداخل والتوارد فيها وثلاثة وعشرين نوعا سليمة من التداخل هي التي له خالصة كما أن هناك أبوابا اختلفت تسميتها في البديع والتحرير ، ففي

---

(١) الوساطة للجرجاني ص ٤٨ .
(٢) العمدة لابن الرشيق ص ٢١٣ .
(٣) كسف الظنون لحاجي خليفة ص ٢٣٠ .

البديع ورد باسم "باب ائتلاف الفاصلة مع مايدل عليه سائر الكلام ، وهو فى التحرير باب ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت ، وان كان المفهوم فى التسمية واحد ، وقد ورد باب الاقتدار فى البديع ثم تغيرت التسمية مع بقاء المفهوم والشواهد على وضعها فصار باب التصرف فى التحرير .

أثر القرآن فى بديع القرآن :

لاشك لقد كان للقرآن أثر مباشر فى توجيه آراء ابن أبى الاصبع البلاغية ، والنقدية ، وقد أشار هو الى قيمة القرآن فى دراسات البيان ، وصلته بعلوم البلاغة فى ثنايا كتابه .

وابن أبى الاصبع التزم منهجا سار عليه ، وهو أنه يبدأ القول فى أبوابه بالتعريف ثم يأتى بأمثلة من القرآن تبين هدفه ، والفن الذى يريد الاشارة اليه ، ثم يتبع الشواهد القرآنية بشواهد أخرى من الشعر والنثر لتطبيق الفن عليها وذلك فى بعض الفنون من أبوابه ان أراد المفاضلة بينها .

وقد أكثر من شواهد القرآن حتى غلبت على كثير من أبوابه كما فى باب المناسبة ، والتمام ، والتنكيت ، والتخيير ، والايضاح ، وغيرها .

وقد يبين مايحدث من اشكال بين الآيات فيوضح الفرق بينها يقول فى قوله تعالى : {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ}(١) وكذلك جاءت آية الروم فانه سبحانه وتعالى قال فيها : {وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}(٢) يقول : "فان البليغ اذا نظم كلاما وجب عليه أن يلائم بين ألفاظه ، ليأتى كلامه موصوفا بالائتلاف ، بحيث لا

---

(١) يونس : ٣١ .
(٢) الروم : ١٨-١٩

تأتى لفظة منافرة لأخواتها موضوعة فى غير موضعها ، فان الكلام اذا وقع فيه مثل ذلك عيب بسوء الجوار .

ولما أوجبت البلاغة أن يأتى خبر "ان" فى سورة الأنعام بصيغة اسم الفاعل فى قوله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى}(١) يكون اسم الفاعل المضاف يدل على المضى والفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال دون المضى و الآية سيقت للتمدح بالقدرة المطلقة التى هى صفة ذاتية لله سبحانه ، والاعتداد بالنعم على عباده فكان التمدح بها من الاتيان بصيغة اسم الفاعل من الاتيان بصيغة الفعل ، لما يدل عليه اسم الفاعل من المضى المطلق الدال على العدم ، فان مجئ ذلك على ماجاء عليه يستفاد منه قدم القدرة ، ويلزم من قدمها قدم الموصوف بها ولما علم - سبحانه وتعالى ، أن تمدحه بمجرد فلق الحب والنوى فى بطن الأرض غير تام لانه لاينتفع به حتى يخرج نباته الى ظهر الأرض ، فحينئذ تكون نعمة يعتد بها ويمتن على العبيد لانتفاعهم به ، وليظهر لأعينهم به قدرة مخرجه ومخترعه ، أخبر بأنه يخرج نباتا من الأرض ليتم معنى التمدح ووجب أن يكون الخبر عنه بصيغة الفعل المضارع ليقع الاخبار به على ترتيب وقوعه فى الوجود ولايتقدم منه مايجب تأخيره ، ولايتأخر مايجب تقديمه اذ كان انفلاق الحب والنوى فى بطن الأرض مقدما على خروج النبات الى ظهر الأرض ، فكان زمن انفلاق الحب والنوى ماضيا بالنسبة الى زمن خروج النبات ، وخروج النبات مستقبلا بالنسبة اليه استقبالا أوله زمن الحال وآخره زمن الاستقبال ، فكان مقتضى البلاغة الاتيان بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال

---

(١) الأنعام : ٩٥

بعد اسم الفاعل المضاف الدال على المضى فوقع هذا التهذيب فى هذا الحرف مدمجا فى فى الكناية - وهو أعلم - كنى بالحى عن النبات لكونه مغتذيا ناميا ، وكنى بالميت عن الأرض لكونها جماد ، وكان حمل هذا الكلام على هذا التأويل أولى من حمله على مايدل الظاهر من كون الحى والميت من الحيوان لكون الحى والميت من الحيوان لايلائم ذكر الحب والنوى ، فيجب الرجوع الى تأويلنا لما تقدم من ذكر الحب والنوى ليرتبط بعض الكلام ببعض ، ويتم المعنى المراد من التمدح بهذه الأفعال ، والاعتداد بهذه النعم على الحيوان ، فكان مقتضى البلاغة تقديم ذكر الحب على ذكر النوى لكونه قوت المخاطب المعتد عليه بهذه النعم وقوت دوابه وجب أن يقتصر على ذكر الحب دون النوى لأن فى ذكر النوى اشارة الى مايعتد به على المخاطب أيضا من الثمرات التى يتفكر بها و تتنوع له الملاذ بسببها فكان ذكرها من كمال معنى التمدح ، ثم لما علم سبحانه أن القدرة المطلقة اذا وصفت بايجاد النبات والتصرف فى الجماد دون ايجاد الحيوان ، كان الوصف ناقصا فاستأنف الاخبار عنه باخراج الميت من الحى ، لأن المعنى الأول قد تم الكلام فيه ، وحسن السكوت عليه ... فقال بعد ذلك متنقلا عن الاخبار عن اخراج النبات من الجماد الى الاخبار عن اخراج الحيوان من الحيوان لتمام المعنى الذى كان بدون ذلك ناقصا وصار قوله : "ويخرج الميت من الحى" مكملا ، وأتى فى هذه الجملة باسم الفاعل لأنه خبر مبتدأ مستأنف تقديره ، وهو مخرج الميت من الحى ، ليأتى نظم الجملة الثانية على ماأتى عليه نظم الجملة الأولى ،

حيث قال عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} فجاء خبر ان اسما فكذلك أوجبت البلاغة أن يأتى خبر المبتدأ فى الجملة الثانية اسما ، واقتصر سبحانه على التمدح باخراج الميت من الحى واكتفى بذلك دون اخراج الحى من الميت ، لكون اخراج الميت من الحى أعسر من اخراج الحى من الميت" .(١)

وقد علت مكانة الشاهد القرآنى فى بديع ابن أبى الاصبع خاصة حين نراه يدرك ماللشاهد القرآنى من روعة بمقارنته بالنصوص الشعرية والنثرية ، لذلك أكثر من الاشارة اليه ، وايراده ثم المقارنة بين فنون القول فيه ، وفيما جاء من النصوص ، كما فعل فى باب الموازنة حين يورد بيت السموءل :

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

فيقول : "فانك اذا وازنته بقول الله سبحانه {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} تبين لك مابين الكلامين من الفرق ، وأمثال هذا الباب كثيرة . وهذا أحد وجوه الاعجاز وهو قياس القرآن بكل معجز من الكلام" .(٢)

ويعقد موازنة بين قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}(٣) وبين قول زهير وهو أبلغ بيت قيل فى صحة التقسيم :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

---

(١) بديع القرآن ص ٢٦٧-٢٧٠ .
(٢) بديع القرآن ص ٩٦ .
(٣) البقرة : ٤

فيقول : "... وأما الآية .. فاستوفت أقسام الزمان في قوله تعالى : {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} فان ايمان هؤلاء المؤمنين بما أنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ايمان في الحال وبما أنزل من قبله ايمان في الماضي وايمانهم في الآخرة ايمان في الاستقبال ثم زاد ايمانهم في الآخرة وصفا اذ أخبر أنه ايمان متيقن ليدل بذلك على قوة تصديقهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ووثوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقينا لاشك فيه ولاشبهة فحصل في هذه الآية مع نهاية المدح صحة الأقسام في اللفظ ومبالغة في معنى المدح ،والايغال في الفاصلة اذ زاد بها المعنى زيادة ماحصلت الا بها ، واذا نظرت بين معنى هذه الآية التي عدتها اثنتا عشرة لفظة وبين قول زهير ، وهو أجل بيت جاءت فيه صحة التقسيم وأبلغه .

علمت مقدار مابين البلاغتين وذلك أن عدة البيت ثلاث عشرة لفظة وفيه من زيادة اللفظ التي لم يؤت بها الا لأجل الوزن والقافية لفظتان فان ملخص معنى عجز البيت كله أن يقول : ولا أعلم مافي الغد ، فاضطره الوزن والقافية الى أن قال ماقال ، ، والحظ كم بين قافية البيت وفاصلة الآية وماتضمنته الآية من مدح المؤمنين في الأزمنة الثلاثة " (١) .

ويرى ابن أبي الاصبع أن فواصل القرآن هي الغاية في الاعجاز فبعد أن أورد مجموعة من الآيات عن فواصل القرآن

---

(١) بديع القرآن ص ٧٠-٧١ .

يقول في قوله تعالى : {لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} (١) يقول : "فلزمت التاء قبل النون في أشياء كثيرة من فواصل القرآن العزيز تعجز الفصحاء أشد تعجيزا ، لمجيئها سهلة منسجمة كما ترى ، فسبحان المتكلم بهذا الكلام" (٢) .

فالشاهد القرآني هو المثل الأعلى عنده ، لذلك وضعه في رؤوس الأبواب كما رأينا مما تقدم ، ولم يجعل همه في هذا رصد جميع ماجاء من فنون البديع في كتابه هذا ، فقد نبذ عددا من هذه الفنون لتكلفها ولأنها لم تسم الى مرتبة بلاغة القرآن كما نبه هو الى ذلك (٣) .

---

(١) الأعراف : ٨٨

(٢) بديع القرآن ص ٢٢٩ .

(٣) انظر مثلا الصفحات ٣٠، ٦٣، ١٥٨ وغيرها .
يقول : وبقية فروع التجنيس لم نأت لها أمثلة في الكتاب العزيز لما يدل عليه نظمها من التكلف والتصنع ص ٣٠ .
ويقول في باب التشبيه : "وهذا النوع لم يأت مثله في الكتاب العزيز ، لكونه لايأتي الا مصنوعا مقصودا" .

# الخـــاتمـــة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله سيد البلغاء ، أفصح العرب لسانا وأحكمهم بيانا وأفضلهم كلاما .

وبعـــد :

فقد قامت هذه الدراسة على الاستقراء الكامل.والتتبع الواعى لكل فن من فنون علم البديع عند المتأخرين ، كما اعتمدت على الشرح والتحليل ، والترجيح وبعدت عن الأحكام العامة بغير دليل .

وقد أظهرت هذه الدراسة "علم البديع" فى صورة جديدة تختلف عن الصورة التى عهدناها عند أصحاب التلخيص وشراحه .

ويمكن تلخيص النتائج التى توصلت اليها من خلال تلك الدراسة فيما يلى :

(أ) لقد رأيت أن تقسيم ابن أبى الاصبع لما ورد فى كتابه من أنواع البديع الى أصول وفروع ، لايعنى بتلك القسمة تفضيل الأصول على الفروع ، والا لما أورد فن "تشابه الأطراف فى الفروع" ، وفن "التمام أو التتميم" فى الأصول لأننى أرى أحقية المصطلح الأول بالأصول ، والآخر بالفروع ، لو كنت أفاضل بينهما ، وانما يعنى بالأصول ماجاء عند ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وبالفروع ماورد بعدهما . وقد اختلف العلماء بعد ابن المعتز على تسمية النوع الواحد بمسميات عدة مما جعل ابن

سنان يضج من هذه الظاهرة ويرفضها ، ويرى أن هذا كله يرجع الى معنى واحد ، وهذا يدل على ماكان يتمتع به ابن سنان من ذوق أدبى رفيع . وهذه فى نظرى من أهم النتائج التى توصلت اليها . اذ أن تعدد المسميات لمعنى واحد لاتعنى شيئا بل هى حمل ثقيل على البلاغة العربية .

ثم تأكدت مما اختلف عليه الباحثون حول نشأة البديعيات ،حيث تثبت بعد مراجعة أقوال الباحثين أن أول من نظمها الأديب المصرى ، على بن عثمان بن على بن سليمان أمين الدين السلجمانى الاربلى المتوفى سنة ٦٧٠هـ . وقد استعنت فى ذلك برأى للدكتور شوقى ضيف فى كتابه البلاغة تطور وتاريخ .

(ب) الكشف عن قوة العلاقة بين علم التفسير ، والبلاغة العربية ، وقد اتضح لى ذلك بعد دراستى لتفسير أبى السعود ، وتأثره بمسائل علم البلاغة التى استعان عليها بشواهد من القرآن الكريم .

وقد انصف أبو السعود علم البديع من جور المتأخرين اذ عدوه ذيلا فى البلاغة العربية يأتى بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة وذلك لأنه اعتبره علما مستقلا له مقاماته وسياقاته ، ولذلك فهو لم يقتصر على اخراج اللون البديعى وقيمته البلاغية ، وانما تعداه الى نسق الكلام ليوضح ماوراء هذا النسق من أسرار بلاغية كما فعل فى باب الالتفات وسائر ألوان البديع وتلك نظرة جيدة لأنها تربط خصائص الصياغة بفنون البلاغة وقد استفاد فى ذلك كثيرا من الزمخشرى والبيضاوى .

وفي مبحث التجريد يذكر أبو السعود تعريف الخطيب القزويني ، حيث ذكر من الصور التي أوردها الخطيب القزويني فيه "دخول في" في المنتزع منه .

وأما مبحث الاستطراد فقد أورد أبو السعود عدة تصورات حيث أمكن الرد من خلاله على ابن أبي الاصبع المصري فيما ذهب اليه من أن الاستطراد لم يرد في القرآن الكريم الا في موضع واحد .

وعن مبحث الالتفات فقد سار على رأى الجمهور بأنه التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة ، المتكلم أو الخطاب ، والغيبة .

وأما المذهب الكلامي فقد تحدث عنه تحت مصطلح "البرهان العقلي" وأحيانا تحت الاحتجاج النظري وقد جعله فنا من فنون علم البيان .

(ج) ومن خلال تحليلنا لسورة الرعد تبين لنا أن أكثر الفنون ورودا في القرآن الكريم ، وكلام العرب البلغاء فني الطباق والمقابلة ، وأقلها ورودا الاستخدام والاستطراد وحاولت أن أجد اسبابا لشيوع هذين الفنين أعني – الطباق والمقابلة – في الكلام الرفيع مما يدل على أصالتهما ، واستعنت في ذلك برأى للدكتور محمد أبو موسى .

أما عن مبحث الفواصل فقد قمت بعمل احصاء شامل لفواصل القرآن الكريم ، تبينت من خلاله أن أكثر الحروف أى نهايات الفواصل ورودا في القرآن الكريم النون ثم الميم ، ويليها الراء ، فاللام ، وأقلها مجيئا ، الغين والواو ، الشين ، ولم يرد حرف الخاء في الفواصل مطلقا .

ثم خصصت سورة التكوير لدراسة الفواصل ، وقد ناقشت فيها رأى الشيخ عبد القاهر من أن أجراس الحروف ليست لها قيمة تذكر وبينت أن القيمة الصوتية للجناس لاتنكر فى بعث خواطر النفس واثارة استحسانها ، وهز أعطافها وحث الأريحية والطرب فى داخلها شريطة أن يصيب الموقع ودقة التوزيع ، وأن يلائم المعنى .

(د) يرى ابن الأثير أن الالتفات فى قوله تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} من باب الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد وقد وهم فى ذلك فهو رجوع من المتكلم الى الغيبة لأن الاسم الظاهر وهو "رب" من قبيل الغيبة ، وقد استدركت عليه هذا فى موضعه من البحث .

ثم هو يطلق تسمية "خطاب النفس" على ماعرف عند المتأخرين باسم "المتكلم" .

(هـ) وفى مبحث ابن أبى الاصبع فقد ذكر أن عدة أبواب كتابه مائة وثمانية أبواب والصواب أنها مائة وتسعة أبواب لا كما ذكر .

ثم لاحظت أن معالجته لفن البسط ، تختلف عن فهم السابقين له فهو لايعنى به الاطناب كما قال به المتأخرون وانما الذى يعنيه التفصيل المعنوى النفسى والتفصيل البديعى معا وهذا لايفيده الاطناب الذى يرمى الى التفصيل فى المعنى لاغير .

ثم تأكدت مما اختلف عليه الباحثون حول اضافاته وقد أثبتت ذلك فى البحث .

# المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم .

أولا : المصادر القديمة .

(٢) الاتقان ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٣) أساس البلاغة ، أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨) ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٤) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١) تحقيق هـ ، ريتر ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥) الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة ، محمد بن على محمد الجرجانى ، (ت ٧٢٩) تحقيق د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة ، القاهرة ١٩٨١م

(٦) اعجاز القرآن ، أبى بكر محمد الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣) تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، المطبعة الرابعة .

(٧) الاكسير فى علم التفسير ، سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الصرصرى الطوفى (ت ٧١٦) تحقيق عبد القادر حسين ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ، القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٨) أنوار الربيع فى أنواع البديع ، لابن معصوم المدنى (ت ١١٢٠) ، تحقيق شاكر هادى شكر مطبعة النعمان ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .

(٩) الايضاح فى علوم البلاغة ، الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩) ، شرح وتعليق د . محمد عبد المنعم خفاجى . الطبعة الثانية .

وطبعة مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة (دون تاريخ) .

مطبعة مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ١٣٩٠/١٩٧١م .

(١٠) البحر المحيط ، أبى حيان الأندلسى (ت ٧٥٤) دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(١١) البديع ، عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦) تحقيق كراتشفوفسكى ، دار الحكمة ، دمشق ، الطبعة ، (دون تاريخ) .

(١٢) بديع القرآن ، ابن أبى الاصبع المصرى (ت ٦٥٤) تحقيق حفنى محمد شرف ، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة الطبعة الثانية (دون تاريخ) .

(١٣) البديع فى نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق د . أحمد بدوى ود . حامد عبد المجيد ، ومراجعة ابراهيم مصطفى ، شركة ومكتبة ، ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر (دون تاريخ) .

(١٤) البرهان فى علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى (ت ٧٩٤) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢ .

(١٥) بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطى (ت ٩١١) ، دار المعرفة ، بيروت (دون تاريخ) .

(١٦) البيان والتبين ، أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ .

(١٧) تأويل مختلف الحديث ، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، دار الجيل بيروت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ .

(١٨) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله ابن مسلم ، بن قتبة الدينورى (ت ٢٧٦) ، محقق السيد أحمد صقر ط٢ ، ١٣٩٣/١٩٧٣ ، دار التراث القاهرة .

(١٩) تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر ، وبيان اعجاز ابن أبى الاصبع المصرى (ت ٦٥٤) تقديم وتحقيق د. حفنى محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامى القاهرة ١٣٨٣هـ .

(٢٠) التعريفات للشريف على بن محمد الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٢١) تفسير ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠) "جامع البيان عن تأويل آى القرآن" دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

(٢٢) تفسير روح المعانى فى القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى (ت ١٢٧٠) هـ ، دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٣) تفسير أبى السعود (ت ٩٨٢) "ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم" تحقيق عبد القادر عطا ، دار

الفكر بيروت ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢٤) تفسير الفخر الرازى ، محمد الرازى فخر الدين (ت ٦٠٤هـ) ، دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢٥) تفسير القرآن العظيم لعماد الدين أبى الفداء اسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ) ، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م .

(٢٦) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ، على بن عيسى الرمانى (ت ٢٩٦هـ) تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام (دار المعارف) المطبعة الثانية ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م .

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن ، عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، (ت ٦٧١ هـ) ، دار احياء التراث العربى . بيروت ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م .

(٢٨) جوهر الكنز ، أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبى (ت ٧٣٧٠ هـ) تحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٠م .

(٢٩) حاشية الدسوقى على شرح السعدى ، ضمن شروح التلخيص للخطيب القزوينى ، مطبعة عيسى الحلبى وشركاه ، مصر ، بدون تاريخ .

(٣٠) الحجة فى علل القراءات السبع ، أبى على القارى ، تحقيق على النجدى ناصف ، د. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح شلبى ، ومراجعة محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣١) حسن التوسل الى صناعة الترسل ، شهاب الدين محمود الحلبى (ت ٧٢٥ هـ) ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٦م/١٣٩٦هـ .

(٣٢) الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار احياء التراث العربى ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ .

(٣٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ، (ت ٨٣٧ هـ) ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، مكتبة البيان .

(٣٤) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ، (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م .

(٣٥) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخافجى ، القاهرة ، مطبعة المدنى ، ١٤٠٤م .

(٣٦) ديوان أبى تمام ، تحقيق د. شاهين عطية ، مراجعة بولس الموصلى ، دار صعب ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣٧) ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت .

(٣٨) ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤م .

(٣٩) ديوان بشار بن برد ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، مراجعة ، محمد شوقى أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

(٤٠) ديوان حسان بن ثابت الأنصارى ، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقى ، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ط/٣ ، ١٩٨٣م .

(٤١) ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه الاعلم الشنتمرى ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

(٤٢) ديوان طرفة بن العبد ، دار بيروت ، للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٤٣) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمرى ، تحقيق لطفى الصقال ، ريه الخطيب ، مراجعة فخر الدين قباوه ، دار الكتب العربى ، حلب ، ط/١ ، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م .

(٤٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م .

(٤٥) ديوان الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة ، (ت ١١٤هـ) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٤٦) ديوان النابغة الزبيانى ، تحقيق وشرح محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٦م .

(٤٧) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، شهاب الدين أحمد بن محمد عمر الخفاجى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م .

(٤٨) سنن الترمذى ، "أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره" ، (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق وتعليق ابراهيم عطوه عوض ، دار احياء التراث العربى ، بدون تاريخ .

(٤٩) سنن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، (ت ٢٧٥هـ) تعليق عزة عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث حلب الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٥٠) سنن ابن ماجة "أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى" (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى المكتبة العلمية بيروت دون تاريخ .

(٥١) شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان ، جلال الدين السيوطى ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

(٥٢) شروح التلخيص ، الخطيب القزوينى ، مطبعة عيسى الحلبى وشركاه ، مصر ، دون تاريخ .

(٥٣) الصاحبى ، أبى الحسين أحمد بن فارس ، (ت ٣٩٥) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، وشركاه ، القاهرة ، دون تاريخ .

(٥٤) صحيح مسلم "أبو الحسين مسلم بن الحجاج" ، (ت ٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ .

(٥٥) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة العلوى ، (ت ٧٤٩هـ) ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٥٦) العمدة لابن رشيق القيروانى ، (ت ٤٥٦ هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٥٧) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ، بهاء الدين السبكى ، (ت ٧٧٣هـ) ، طبعة عيسى الحلبى ، مصر .

(٥٨) عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوى ، (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق د. عبد العزيز الناصر المانع ، دار المعارف للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥٩) فتح البارى لشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ، (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ومحب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، القاهرة ، وطبعة دار الفكر ، (دون ذكر للطابعة وتاريخها) .

(٦٠) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن على بن محمد الشوكانى ، (ت ١٢٥٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٦١) فتوح الغيبة فى الكشاف عن قناع الريبة ، للطيبى ، تحقيق ودراسة جميل محمد الحسين ، رسالة دكتوراه تحت اشراف د. المحمدى عبد العزيز الحفناوى ، جامعة الأزهر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٦٢) الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر البغدادى ، (ت ١٠٣٧هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، دون تاريخ .

(٦٣) الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزيه ، (ت ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

(٦٤) فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبى ، (ت ٧٦٤ هـ) تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٤م

(٦٥) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م .
(٦٦) قانون البلاغة فى نقد النثر والشعر لأبى طاهر محمد بن حيدر البغدادى ، (ت ٥١٧هـ) ، تحقيق د. محسن غياض عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٦٧) كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، دار الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
(٦٨) كتاب الصناعتين . الكتابة والشعر ، أبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٦٩) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطنى الرومى الحنفى المشهور بحاجى خليفة ، (ت ١٠١٧هـ) ، دار الفكر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
(٧٠) الكشاف للزمخشرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .
(٧١) لسان العرب ، لابن منظور ، (ت ٧١١هـ) . طبعة دار المعارف ، دون تاريخ .
(٧٢) المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير ، (ت ٦٣٧هـ) ، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفى و د. بدوى طبانة ، دار الرفاعى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٧٣) مجموعة من التفاسير ، البيضاوى والنسفى والخازن وابن عباس ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣١٩هـ .
(٧٤) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها ، وبن جنى ، تحقيق على النجدى حافظ و د. عبد الفتاح اسماعيل شلبى ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
(٧٥) مسند الامام أحمد بن حنبل ، (ت ٢٤١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
(٧٦) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى ، تأليف العالم أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى ، (ت ٧٧٠هـ) ، صححه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ، مصطفى السقا ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠م .
(٧٧) المطول على التلخيص ، التفتازانى ، مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ .
(٧٨) معانى القرآن ، أبى زيد الفراء ، (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق أحمد يوسف
(٧٩) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم أحمد العباسى ، (ت ٩٦٣هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .
(٨٠) معترك الأقران فى اعجاز القرآن ، لسيوطى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الفكر العربى ، دون تاريخ .

(٨١) مفتاح العلوم ، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكى ، (ت ٦٢٦هـ) ، ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٨٢) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٨٠٨هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م . وضع الحواشى خليل شحادة ، وراجعه سهيل زكار .

(٨٣) الملل والنحل ، لأبى الفتح محمد الشهرستانى ، (ت ٥٤٨هـ) تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، دارالفكر (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

(٨٤) المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع ، لأبى محمد القاسم السجلماني الأنصارى (ت ) تحقيق علال الغازى مكتبة العارف ، المغرب ، دون تاريخ .

(٨٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنى ، (ت ٦٨٤) تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار المغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

(٨٦) الموازنة ، لأبى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى ، (ت ٣٧٠هـ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م .

(٨٧) مواهب المفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب المغربى طبعه عيسى البابى الحلبى ، مصر .

(٨٨) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، دار عطوه للطباعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

(٨٩) نقد النثر ، المنسوب لقدامة بن جعفر وهو لعبد الله ابن أيوب ،المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٩٠) نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز للرازى ، فخر الدين الرازى ، (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق بكرى شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى .

(٩١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير ، (ت ٦٠٦هـ) تحقيق محمود محمد الطناحى ، وطاهر أحمد الزاوى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٩٢) نهج البلاغة للشريف الرضى ، تحقيق الشيخ محمد عبده ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، دون تاريخ .

(٩٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ، لعلى بن عبد العزيز الجرجانى ، (ت ٣٦٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوى ، دار القلم ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

ثانيا : المراجع .

(٩٤) أثر القرآن فى تطور النقد العربى ، د. محمد زغلول سلام ، مكتبة الشباب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م .

(٩٥) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ، د. محمد محمد أبو شهبه ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م (دون ذكر الطبعة ومكانها) .

(٩٦) ابن أبى الأصبع بين علماء البلاغة ، د. حفنى شرف ، الطبعة الأولى بدون تاريخ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

(٩٧) أضواء البيان في ايضاح القرآن ، محمد الأمين الشنقيطى مطبوعات الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ١٤٠٣هـ .
أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطى ، عالم الكتب ، بدون تاريخ .

(٩٨) الاعجاز البيانى فى ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره ، د . محمد أحمد يوسف القاسم ، دار المعارف الدولية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٩٩) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعى دار الكتاب العربى ، بيروت ، (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

(١٠٠) اعراب القرآن وبيانه ، محيى الدين الدرويش ، دار الارشاد بحمص ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

(١٠١) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ، د. عبد الفتاح لاشين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، دون تاريخ .

(١٠٢) البديع من المعانى والألفاظ ، د. عبد العظيم المطعنى دار وهدان للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٦هـ ١٩٧٦م .

(١٠٣) البديعيات فى الأدب العربى ، على أبو زيد ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(١٠٤) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدى ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، دون تاريخ .

(١٠٥) البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ، دون تاريخ .

(١٠٦) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د. محمد محمد أبو موسى ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، دون تاريخ .

(١٠٧) البيان العربي ، د. بدوي طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(١٠٨) تأملات في سورة الرعد ، د. حسن محمد باجودة ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١٠٩) التفسير الأدبي لسورة الرعد ، د. كامل سلامة الدقس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، دون تاريخ . تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، دار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

(١١٠) تفسير التحرير والتنوير ، للشيخ محمد طاهر بن عاشور دار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

(١١١) التفسير والمفسرون ، د. محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(١١٢) دراسات في العقائد الاسلامية ، د. عرفان عبد الحميد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(١١٣) دلالات التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

(١١٤) شعر صفي الدين الحلي ، د. جواد غلوش ، بغداد ، ١٣٧٩هـ .

(١١٥) الصبغ البديعي ، د. أحمد موسى ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

(١١٦) ضياء الدين بن الأثير وجهوده فى النقد والبلاغة ، د . محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الثانية ، دون تاريخ .

(١١٧) علم البديع ، د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة ١٩٧٤م .

(١١٨) علم البديع عند العرب ، لكراتشكوفسكى ، ترجمة وتقديم محمد الحجيرى ، دار الكلمة للنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .

(١١٩) الفاصلة فى القرآن ، محمد الحسناوى ، المكتب الاسلامى دار عمار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٢٠) فن الجناس ، على الجندى ، دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٥٤م .

(١٢١) فنون بلاغية ، البيان والبديع ، د. أحمد مطلوب ، دار البحوث العلمية للنشر ، العراق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(١٢٢) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الثامنة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(١٢٣) قدامة بن جعفر والنقد الأدبى ، د. بدوى طبانة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م .

(١٢٤) قراءة فى الأدب القديم ، د. محمد محمد أبو موسى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨م

(١٢٥) مباحث فى علوم القرآن ، د. صبحى الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٣٨٥هـ .

(١٢٦) المدائح النبوية ، د. زكي مبارك ، مطبعة الشعب ، القاهرة ، دون تاريخ .

(١٢٧) المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

(١٢٨) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

(١٢٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .

(١٣٠) مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث ، (رسالة دكتوراه) ، اعداد الباحث ابراهيم محمد عبد الله ، اشراف د. كامل امام النحوي ، جامعة الأزهر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١٣١) من أسرار التعبير القرآني ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، د. محمد محمد أبو موسى ، طبعة دار الفكر ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(١٣٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العليم الزرقاني ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ .

(١٣٣) نشأة التفسير ومناهجه ، د. بسيوني محمود فودة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

(١٣٤) النظم القرآني لسورة الرعد ، محمد سعد الدبل ، عالم الكتب (دون ذكر للطبعة وتاريخها) .

# فهرس الموضوعات

الصفحة

## الباب الثالث

## البديع وقضية الاعجاز

الصفحة

الصفحة

تم تحميل هذا الكتاب من
مكتبة لسان العرب



lisanarabs.blogspot.com